زهدي الفاتح

المسلمون والحرب الرابعة

دار البيان
الكويت

المسلمون في الحرب الرابعة

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقياً: تبيين
الكويت

الطبعة الأولى : ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م

الطبعة الثانية : ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م

زهدي الفاتح

المسلمون في الحرب الرابعة

دار البيان
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

العرب الذين .. لا يقرأون ! ..

في عام ١٩٥٧ ، نشر موشي دايان كتاباً ، ترجـــم الى الانكليزية ، عن حرب السويس ١٩٥٦ ، ضمنه خطـة مفصلة عن هجـوم اسرائيلي مقبـل على سيناء . وقد نفذت هذه الخطة حرفياً خلال حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

وحين ساله احد الصحفيين عن سبب نشره خطة هجومية عسكرية سرية للغاية على هذا النحو من التفصيل ، في كتـــاب سيّار ، من الطبيعي ان يقرأه العدو والصديق ،

اجاب دايان :

« ان العرب لا يقرأون ! .. »

الفصل الأول

ليست مصادفة ، كما ليس من قبيل المبادرة الشخصية ، أن يفتتح حسني الزعيم ، رائد الانقلابات العسكرية في عالمنا العربي ، بعد مضي أقل من شهرين على نجـــاح انقلابه ، جلسة مجلس الوزراء في ٢٦ أيار ١٩٤٩ ، بالقول :

« لقد وردتني معلومات تقول إن اليهود راغبون في التفاهم مع العرب بشروط مرضية ، تحت ضغط الرئيس ترومان ، والسيد شومان ، وزير الخارجية الفرنسية . وقد علمت أن وزير خارجيتهم شاريت (شرتوك) موافق على القدوم إلى الأراضي السورية ، أي إلى القنيطرة ، للاجتماع إلى وزير الخارجية السورية . فما قولكم في هذا الأمر ؟ .. »[١]

ذلك لأن الولايات المتحدة الاميركية ، يحدوهـا القلق المتزايد من كراهية شعوب الشرق الأوسط للاميركيين، كانت في ذلك الحين دائبة البحث عن « **قادة مبصرين** » ، يستطيعون تحقيق تسوية سلمية مـــع اسرائيل ، وإنهاء الصراع العربي — الاسرائيلي .

---

(١) الأمير عادل ارسلان، «الحياة» اللبنانية ، الأعداد من ١٨ إلى ٢٦ آب ١٩٤٩ .

في بداية العام ١٩٤٩ ، وفقت واشنطن بالزعيم حسني الزعيم في دمشق ، الذي كان يطمح الى حكم سورية .

وعندما شرع حسني الزعيم في التحري عن مدى ردود الفعل لدى موظفي السفارة الأميركية بدمشق ، بشأن الخطـة التي عقد العزم على تنفيذها ، والتي لم يكن يعرف بأمرها في العالم العربي كله ، سوى شخص مدني واحد [1] ، اشتهر فيا بعد بـ « زعامته الاشتراكية » في سورية ، وبدوره الرئيسي الغامض في الاسراع بتحقيق الوحدة السورية – المصرية ، ومن ثم الانقلاب عليها ..

.. أقول ، عندما شرع الزعيم يتحرى عن ردود فعل عزمـــه ، أدهشه الموقف الإيجـــابي المشجع الذي لمسه من كل أميركي فاتحه بالموضوع .

هكذا شعرت واشنطن ، حين نفذ الزعيم خطته الانقلابية ضد حكم الرئيس المغفور له شكري القوتلي ، انها وفقت في الحصول على ضالتها المنشودة في زعيم عربي قوي ، يستطيع مجابهة « ضغط الرعـــاع » والمساعدة على إيجاد حل لمشكلة فلسطين [2] .

ويبدو أن حسني الزعيم شـــاء أن يثبت للضاغطين على الرئيس ترومان وإدارته الديموقراطية [3] انه حقاً « الزعيم العربي القوي »

---

(١) كما قال حسني الزعيم لبعض المقربين إليه إثر نجاح انقلابه .

(٢) ص ٣٢ من « التحدي في الشرق الأوسط » للكاتب السياسي الأميركي المعروف هاري ب . أليس .

(٣) جاء في المذكرات التي نسبتها مجلة « لايف » الاميركية للرئيس ترومان ، في العدد الصادر يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٦ ، قوله :

« في الحقيقة ، ان الضغط لم يمارس مع الدول الأخرى بشكل لم يسبق له مثيل=

الذي « يستطيع مجابهة ضغط الرعاع، والمساعدة على إيجاد حل لمشكلة فلسطين » ، فعاد ، لمناسبة مرور شهرين تماماً على انقلابه ، في الثلاثين من أيار ١٩٤٩ ، إلى الحديث عن : « إلى متى نترك الجيش تحت السلاح ، في جبهة تنتشر فيها الأمراض كالملاريا وغيرها ؟ .. » وان فيجيه ، ممثل الوسيط الدولي الدكتور رالف بانش في اجتماعات لجان الهدنة وقتذاك ، أبلغه أن بانش يوصي الحكم السوري الجديد بالموافقة على عقد الاجتماع مع شرتوك ، ملحاً بضرورة الاسراع في تحقيق ذلك !!..

وتعمد حسني الزعيم في اليوم التالي ، ٣١ أيار ١٩٤٩ ، أن ينفرد بوزير خارجية حكومته الأمير عادل ارسلان ، ليقول له :

« علينا ضغط شديد للاجتماع بشرتوك . وأعتقد أن لا مناص لنا من عقد هذا الاجتماع . فتدبر الأمر » .

يلح عليه الأمير ارسلان لتوضيح سر الاجتماع ، فيرد الزعيم بأن إحدى الدول الكبرى (...) تضغط على سورية لعقد الاجتماع .

= فحسب ، بل ان البيت الأبيض نفسه كان عرضة لمثل ذلك الضغط الرهيب . ولا اعتقد انني تعرضت طيلة مدة رئاستي لمثل ذلك الضغط والالحاح !.. ولقد أزعجني السلوك المشين لقادة الصهيونية المتطرفين ، بل أثارني وأغضبني . فقد كانت تلك الأبواق المسعورة تلح بكل ثقلها على البيت الأبيض ليستغل نفوذه في الضغط على الدول الأخرى !.. »

لكن الرئيس ترومان يعترف ، من جهة أخرى ، باستخفافه بتحذيرات مستشاريه من التمادي في تأييد السياسة الصهيونية ، « لأن ذلك يضر مصلحة واشنطن بتأليب الرأي العام العربي ضدها .. »

« غير اني تغافلت عن رأي هؤلاء ، لأني كنت اعتقد ان جميع موظفي وزارة الخارجية لم يكونوا يعرفون شيئاً مما يجري للاجئين اليهود في اوروبا .. » !!

لكن الأمير ارسلان يفاجأ عند اجتماعه ، في اليوم ذاته ، بفيجيه ، ممثل بانش ، بأن هذا لم يسمع للمرة الأولى بأمر الاجتماع السوري – الاسرائيلي المقترح إلا من حسني الزعيم نفسه .

لم ييأس حسني الزعيم من بذل المزيد من محاولات إقنـــاع أعضاء حكومته أو غيرهم من المسؤولين السوريين للاجتماع إلى أحد المسؤولين الاسرائيليين،رغم كل الاعتراضات والاحتجاجات والتهديد بالاستقالة، إذ راح يخطط بعد ذلك لفرض الأمر الواقع عليهم .

فقد جاء صلاح الدين الطرزي ، المستشار الحقوقي للوفـد السوري إلى اجتماعات لجان الهدنة ، إلى الامير عادل ارسلان ، بوصفه وزيراً للخارجية ، في الخامس من حزيران ١٩٤٩ ، يسلمه مذكرة باللغـــة الفرنسية من فيجيه ، جاء فيها بالحرف :

« أبلغت الحكومة الاسرائيلية أمس ممثـــل الدكتور بانش في تل أبيب (أي فيجيه) انها لا توافق على اجتماع تمهيدي بين الممثلين السوريين والاسرائيليين للبحث في جدول أعمال المقابلة العتيدة بين السيد شاريت (شرتوك) ومعالي الامير عادل ارسلان .

وبدلاً من ذلك ، يقترح السيد شاريت أن يتألف جدول أعمال المقابلة من المواد التالية :

١ – القضايا الخاصة بعقد اتفاق الهدنة .

٢ – القضايا العامـــة المتعلقة بالعلاقات السلمية بين البلدين في المستقبل .

وقد أبلغ السيد شاريت ممثل الوسيط (الدولي) في تل أبيب انه

سيكون سعيداً ، إذا تلقى الجواب السوري على هذا الاقتراح على الحد الأقصى مساء الثلاثاء ٧ حزيران ، وهو يقترح أيضاً أن يجري اجتماع الوزيرين في ٩ حزيران .

وما دامت المباحثات التمهيدية ، التي اقترحت الحكومة السورية إجراءها لوضع جدول أعمال تلك المقابلة ، لن تجري ، فإن المستر بانش يرتأي أن تحدد الحكومة السورية جدول الأعمال وترسله بالبرق .

وان ممثلي الأمم المتحدة يضعون أنفسهم تحت تصرف الحكومة السورية ، لكي ينقلوا الملاحظات التي ترغب في تقديمها بصدد المقابلة مع شاريت ، ولتسهيل الاستشارات بين الطرفين . »

من الواضح أن حسني الزعيم انفرد بإجراء الاتصالات ،التي تتحدث عنها مذكرة ممثل الدكتور رالف بانش ، مع اسرائيل ، اعتقاداً منه أن هذه طريقة قد تفلح في إرغام وزرائه أو بعض المسؤولين السوريين على التفاوض مع الاسرائيليين ، بعد أن خابت آماله بالاجتماع شخصياً إلى بن غوريون ، لرفض هذا الأخير .

وقد بقي الزعيم حتى آخر لحظة من حياته يوهم نفسه ان التفاوض مع اسرائيل امر طبيعي سيتحقق بأي شكل ، بل لا مفر من تحقيقه . فها هو يرد على اعتراضات واستنكارات الأمير عادل ارسلان ، بقوله :

« وأي بأس في أن تجتمع إلى شرتوك ، في أرض سورية ، كالقنيطرة مثلا ؟.. »

لكن ، كيف اتصل حسني الزعيم باسرائيل ؟..

في السادس من حزيران ١٩٤٩ ، استدعى الأمير عادل ارسلان سفير إحدى الدول الكبرى في دمشق ، ليسأله في غضب :

– لماذا تريدوننا أن نقابل شرتوك.. ألم يكف ما أصابنا من خداع اليهود والتساهل معهم ؟..

كان جواب سفير الدولة الكبرى التي وجـــدت في حسني الزعيم « قائداً مبصراً » و « زعيماً عربياً قوياً يستطيع مجابهة ضغط الرعاع والمساعدة على إيجاد حل لمشكلة فلسطين » ، هو التالي :

« ان موقفك هذا يدفعني إلى أن أفشي لك سراً خطيراً . ولكني أستحلفك بشرفك ألا تبوح بأنني فعلت ذلك ..

لقد استدعاني حسني الزعيم منذ اسبوعين ، وأبلغني أنه قرر الاجتماع الى بن غوريون شخصياً . وطلب إلي تنظيم هذه المقابلة بصورة سرية . وفي الحال ابرقت النبأ الى حكومتي ، فاتصلت هي بالحكومة الاسرائيلية وعرضت عليها اقتراح الزعيم ، فاعتذر بن غوريون عن مقابلة الزعيم ، ولكن شرتوك اقترح ان تجري المقابلة بينه وبين وزير الخارجية(السورية). وعلى الأثر نقلنا هذا الجواب الى الزعيم ، فوافق على عقد الاجتماع بين الوزيرين . وأبلغنا أنـــه يقترح أن يعقد ممثلو الدولتين اجتماعـاً تمهيدياً لوضع جدول أعمال الاجتماع بين الوزيرين . وقد نقل هذا الاقتراح الى تل ابيب السيد فيجيه ، ممثـــل بانش ، فأرسل شرتوك جوابه بواسطتها ، وهو الجواب الذي ارسله فيجيه اليك، ظناً منه انك مطلع على الاقتراح، وموافق عليه .. » [1]

---

(١) الامير عادل ارسلان « الحياة » ، الاعداد من ١٨ إلى ٢٦ آب ١٩٤٩ .

كان حسني الزعيم يسعى بأي شكل من الأشكال ، إلى تنفيذ عهد قطعه على نفسه لواشنطن ولبعض الجهات الأخرى ، التي وجدت في انقلابه « نقطة انطلاق صالحة لشن الحرب على الرجعية والاقطاع في دمشق »[1]. **بدليل ان عربياً لم يكن على معرفة مسبقة بخطته الانقلابية غير زعيم حزب اشتراكي – اليوم – نشأ في احدى مدن سورية ، يقال انه استغل أشد ظروف حرب ١٩٤٨ حراجة ليشن ثورته الاشتراكية على « الرجعية والاقطاع » في سورية ، بعد ان تمكن ، في تلك الظروف الخطيرة، من تهريب كميات من سلاح الجبهة السورية مع العدو الى ريف مدينته !!**[2]..

وحين فشل حسني الزعيم في تنفيذ عهده ، كان على « حافظ سره » الوحيد أن يتخلص منه بانقلاب سامي الحناوي ، ليلة الرابع عشر من آب ١٩٤٩ ، أي بعد انقلاب الزعيم بنحو أربعة أشهر ونصف الشهر .

وإذا كان لانقلاب الحناوي من أهداف معينة ، ففي اعتقادي انها لم تكن تتعدى إزالة آثار أبشع جريمة ارتكبت بحق الانسان العربي، إذ لم يكن الزعيم بالرجل الذي يمكن الركون إليه لإخفاء الرؤوس المخططة لجريمته ، والأيدي الفاعلة التي ساعدته على ارتكابها . هذا ، بالإضافة إلى أن الابقاء على الزعيم حياً كان يعني كشف مخطط التدمير والتجويع والتجهيل وسلب الأوطان الذي نفذ جزء منه خلال العقدين المنصرمين من السنين بأيدي نفس أولئك الذين أوحوا بالقضاء

---

(١) ص ٢٩٥ من « الشرق الأوسط في السياسة العالمية » للمؤرخ الاميركي لينشوفسكي.

(٢) كما روى المرحوم محسن البرازي لعدد من أصدقائه .

على حسني الزعيم ، وكان بينهم « حافظ سرد » الوحيد ، بالاضافة إلى هذا الذي يروي لنا الكاتب الصهيوني هامباراجي انطباعاته عن لقائه به ، إذ يقول بالحرف الواحد [1] :

« انني لا انكر على العرب ما يشكونه من اسرائيل ، غير ان تضخيم هذه الشكاوى وتحويلها الى نوع بشع من الكراهية العرقية ، يعني ان العرب ينكرون على غيرهم من الحقوق ما يدعونه لأنفسهم. وقد تناقشت في هذا الموضوع مطولاً مع السيد (...) في دمشق عام ١٩٥٥ ، ولم يكن انئذ وزيراً للخارجية ، وكنت استقصي آراءه في قضية فلسطين ، على اعتبار انه قائد اشتراكي ، فلاحظت انسجامه معي في كثير من النقاط ذات العلاقة بهذا الموضوع . وكم كنت ارجو لو ان السيد (...) قال في العلن ما أسره في مجلس خاص » .

رغم فشلها في سورية ، مؤقتاً ، لم تيأس أميركا ..

فعجزها ، كما يقول الكاتب السياسي الاميركي المعروف هاري اليس [2] ، « في سورية عن خلق زعيم يستطيع أن يساعدها على الخروج من ورطة فلسطين ، لم يفقد رجال الدولة الاميركيين أملهم . بل كانوا لا يزالون يتوقعون أن يظهر إلى الوجود زعيم عربي من هذا النوع . وقد ظل هذا الأمل عنصراً مهماً في تفكير واشنطن ، إلى أن أطاحت كتلة من ضباط الجيش المصري بالملك فاروق ، فتشبثت أنظار رجال الدولة الاميركيين بالبكباشي الشاب (...) ، الذي بدأت اتصالات الاميركيين به قبل الثورة ، وبطرق بعيدة عن الأساليب القانونية المألوفة . وكانت إحدى النتائج المهمة لتلك الاتصالات

---

(١) ص ٢٦٢ من كتابه « اتهام الشرق الاوسط » .

(٢) ص ٣٤-٣٥ من كتابه « التحدي في الشرق الاوسط » .

المبكرة ، ان نمت صداقات شخصية بين الضابط المذكور وبين عدد من الشخصيات الاميركية ، التي أوكل إليها رسمياً الاهتمام بالشؤون المصرية . كان أحد هذه الشخصيات السيد وليم ليكلاند ، السكرتير الثاني للسفارة الاميركية في القاهرة ، الذي كان يجتمع بـ (...) دون كلفة ولا استئذان . أما الشخصية الثانية فهو كيرميت روزفلت ، الذي كان رئيساً لقسم المخابرات الاميركية في الشرق الاوسط ، مما أكسبه خبرة واسعة بشؤون الشرق الاوسط . كما كان ثمة العديد من الشخصيات الاميركية الأخرى التي عملت في مصر لحساب منظمات صناعية خاصة .

وقد أتاحت هذه العلاقات بين الاميركيين أولئك وبين (...) ، فرصة لتبادل الآراء على نحو قلما أتيح مثله بين الغربيين وبين أي زعيم لبلد شرقي .. » !!..

ويزعم هاري اليس أن الفضل في توقيع اتفاقية الجلاء عن قناة السويس في ٢٧ تموز ١٩٥٤ بين المصريين والبريطانيين ، يعود بالدرجة الأولى إلى أصدقاء (...) الاميركيين ، وعلى رأسهم كيرميت روزفلت ، رئيس المخابرات الاميركية في الشرق الاوسط !.

يبدو أن واشنطن فكرت أن باستطاعتها تحقيق ثلاثة أهداف في آن واحد ، إذا هي تمكنت من الاعتماد على « زعيم عربي قوي بمصر » :

١ - القضاء على النفوذ البريطاني في الشرق الاوسط ، وهو هدف لا تعاديه في العالم أي قوة سوى بريطانيا .

٢ - فرض تسوية سلمية مع اسرائيل ، وتصفية القضية الفلسطينية برمتها .

٣ - القضاء على العناصر الوطنية ، التي تصورت اميركا ، أو صوّر لها محركو سياستها وراسموها انها لم تعد تصلح لادارة المنطقة، وافساح المجال امـــام ظهور ، واذا امكن خلق عناصر تقدمية اشتراكية تستطيع ان تلبي، في حسابات ناصحي واشنطن ومخططي سياستها ، تطلعات شعوب المنطقة وآمالها . وكان الرأي السائد في الدوائر التنفيذية المسؤولة بواشنطن ان تلك العناصر الوطنية هي عناصر رجعية اقطاعية ، متطرفة في وطنيتها من جهة ، ومعادية لأي نفوذ اجنبي من جهة أخرى ، وساعية بكل طاقاتها الى القضاء على اسرائيل من جهة ثالثة .. وهذا هو الأهم ..

هكذا،نستطيع أن نفهم لماذا كان الفضل الأول في توقيع اتفاقية جلاء بريطانيا عن القناة يعود إلى الاميركيين ... أصدقاء رجـــال الثورة المصرية !..

ويذهب المؤرخ الاميركي جارلس كريمز [١] إلى حد التأكيد بأن الحكومة الاميركية أظهرت من العطف على الثورة المصرية والحماسة لها،ما جعلها تهتم باختيارها كأداة أساسية لتحقيق أغراضها في المنطقة كلها . ويذكر كريمز بأن من جملة أغراض واشنطن في المنطقة ، العمل على تصفية جميع المشاريع البريطانية الدفاعية عن المنطقة، بدءاً بميثاق الدفاع عن الشرق الأوسط في تشرين الأول ١٩٥١ ، وانتهاءاً بميثاق بغداد في كانون الثاني ١٩٥٥ .

فيما يربط المؤرخ الاميركي لينشوفسكي [٢] بين ما يسميه «عجز» الولايات المتحدة عن الانضمام إلى حلف بغداد لرغبتها في عدم إحراق

---

(١) ص ٣٠١ من كتابه « العرب والعالم » .

(٢) ص ٢٦٣ من كتابه « الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ».

جسور علاقاتها مع مصر ، وبين احتجاجات اسرائيل التي اعتبرت الحلف عملاً عدائياً موجهاً ضدها ، إذ يقول لينشوفسكي بالحرف :

« ان عجز الولايات المتحدة عن دخول الميثاق – ميثاق بغداد – يعود سببه الى رغبة اميركا في عدم احراق الجسور في علاقاتها مع مصر ، كما يعود الى احتجاجات اسرائيل المتوالية التي هاجمت الميثاق واعتبرته عملاً عدائياً موجهاً ضدها .. » .

ويركز الكثير من المؤرخين والكتاب ، لا سيما منهم ذوو الصلات الوثيقة بالدوائر الصهيونية ، على الزعم بأن اسرائيل كانت بدورها ، ربما انطلاقاً من مواقف وأطماع وأحلام واشنطن أو بالعكس ، تعلق الآمال الكبار على ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ المصرية ، حتى ان بن غوريون نفسه وقف في الكنيست بعد أقل من شهر على قيام الثورة يحيي انطلاقتها ، ويقول بالحرف : **« ان اسرائيل ترغب في أن ترى مصر حرة مستقلة تقدمية »**[1]. لكن مصر الثورة لم تكن وقتذاك في حال تسمح لها بالرد على هذه « التحية » ..

وتشير إحدى المجلات الاوروبية [2] إلى أسباب انتعاش آمال اسرائيل بعد ليلة ٢٣ تموز المصرية ، فتقول :

« .. أدت سيطرت الضباط على الحكم يوم ٢٣ تموز ١٩٥٢ إلى فيض من البلاغات والنداءات إلى الشعب ، وإحداث الكثير من البرامج وإجراء العديد من المقابلات الصحافية . وكان دور فلسطين في كل ذلك كدليل على خيانة الملك فاروق ، أكبر من دورها كهدف يفرض المسؤولون الجدد تحقيقه بتحرير فلسطين .

---

(١) ص ٦٥ من كتاب « أعوام التحدي » لبن غوريون .

(٢) مجلة « لي نوفيل اوبزرفاتور » العدد المؤرخ ٤ أيلول ١٩٦٧ .

ولما وقف بن غوريون في الكنيست وحيّا الانقلاب، واصفاً إياه بأنه فرصة لمصر كي تعيد النظر في سياستها الخارجية، لم يقابل هذا الترحيب بأي رد رسمي في القاهرة.

والحقيقة أن النظام الجديد لم يكن يستطيع آنذاك النظر إلى الشمال أو إلى الشرق، فقد كانت أهدافه الرئيسية: تطهير الجيش، الجلاء البريطاني عن منطقة القناة، الإصلاح الزراعي، وإعادة توحيد وادي النيل - ..؟!.. - .

وأي قراءة واعية للصحافة المصرية المراقبة من قبل العسكريين بين اعوام ١٩٥٢ و ١٩٥٤، تدل على ضآلة اهتمام النظام الجديد باسرائيل. وقد عقد كل من محمد نجيب وعبد الناصر وصلاح سالم أكثر من عشرين مؤتمراً صحافياً في تلك الفترة، حضرها مندوبون عن صحف اجنبية كثيرة. وبوسعي ان اشهد بأن الموضوعات ذات العلاقة بالقضية الفلسطينية كانت في منتهى الندرة ..»

ويكشف المؤرخ الصهيوني المعروف ايرل برغر [1] النقاب عماذا وبمَ وكيف كانت اسرائيل تفكر وتخطط حينذاك. فيؤكد بأن اسرائيل كانت «تعتقد أن هناك نقاطاً أساسية يمكنها الاتفاق عليها مع حكم لاحق (لحكم فاروق) في مصر، سواء من النواحي السياسية أو الاقتصادية. إذ ليس هناك احتمال في أن تهدد اسرائيل وجود مصر كدولة، **كما ان للبلدين مواقف مماثلة بالنسبة للهاشميين، وكلاهما يريد اخراج بريطانيا من الشرق الأوسط».**

ولا يخفي ايرل برغر أن «هذه الآمال انتعشت على عهد الثورة المصرية».

---

(١) ص ١٦٩ - ١٧٢ من كتابه «العهد والسيف».

كيف ؟..

يجيب برغر قائلاً :

« لكي نفهم جيداً شعور الاسرائيليين في ذلك الحين ، يجب أن نفهم كيف التقت آمالهم في الصلح مع العرب على عهد الثورة المصرية . ذلك أن المبدأ الذي قام عليه وجود اسرائيل منذ البداية، هو أن العرب سيعملون يوماً على التعاون معهم ، وان هذا التعاون سيصبح بالنسبة للعرب ضرورة أدبية وسياسية واجتماعية واقتصادية . وان ظروف العرب وحاجاتهم التاريخية ستضطرهم أخيراً للعمل مع اسرائيل يداً بيد ، كلاً منهم يكمل الآخر ... فاسرائيل جسر يصل بين الغرب المتقدم والشرق المتخلف ... فلماذا لا تنقل اسرائيل إلى العرب العلم والثقافة والخبرة والمعرفة، وكذلك الثورة الاجتماعية والاقتصادية؟..»

« لكن كل هذه النظريات – يستطرد المؤرخ الصهيوني ايرل برغر – لم تفعل فعلها في نفوس العرب ، مما أكد لاسرائيل أن القوى التي تغذي مشاعر العداء ضدها في العالم العربي ، **هي الفئات الرجعية من رجال الاقطاع والسياسيين القدامى والمشايخ، وجميع الفئات التي تخسر كثيراً اذا سادت في المنطقة اشتراكية اسرائيل النموذجية**[1] .. وكان بن غوريون شديد الإيمان بالقضاء على هذه الفئات جميعاً ، حينما دعا الكنيست ، قبل ثورة الضباط الأحرار في مصر ، إلى التحلي بالصبر ، لأن السلام لن يكتب لاسرائيل ، ما دام العالم العربي تحت حكم الرجعيين ، **وان الخطوة التي يجب ان تسبق الصلح مع اسرائيل هي اقامة ديموقراطيات شعبية اشتراكية تحل الحكومات الرجعية في الدول العربية ..** »

---

(١) قال تيودور هرتزل ، على الصفحة ١٠٥ تاريخ ١٦ حزيران ١٨٩٥ من « يومياته » ، ان الدولة اليهودية ستكون أكثر من نموذج للاشتراكية.

ويزعم برغر ، أنه لهذه الأسباب كلها « كانت حاجة اسرائيل إلى ثورة الضباط الأحرار في مصر أشد من حاجـــة المصريين أنفسهم . إذ كانت الثورة بالنسبة لاسرائيل كالفجر يشرق في أحلك ساعات الليل . وهكذا بدا رجال الثورة وكأنهم الفجر الذي كانت اسرائيل تنتظره -!!..- ، خاصة وان أولئك الضباط كانوا جميعاً صغاراً في سنهم ، صغاراً في بورجوازيتهم ، يتطلعون إلى البقاء في الحكم على أساس أهداف داخلية كلهـــا : تطهير البلاد من الفساد ، القضاء على سوء الإدارة ، إزالة الاضطهاد والظلم الاجتماعي والاقتصادي ... إلى آخره .. » .

ويخلص برغر إلى القول :

« ومما زاد في طمأنينة اليهود الاتصالات الجانبية التي جرت مع الضباط الأحرار قبل عهد الثورة . فقد قال يروحام كوهين -.؟.- الذي تعرف بالبكباشي (...) جيداً منذ حصار الفالوجة ، أن الانطباع الذي انعكس في نفسه من خلال تلك المعرفة هو ان **كفـــاح مصر الحقيقي سيكون على أيدي هؤلاء الضباط في مصر ذاتها ، وليس على أرض فلسطين**. كما أن هناك ضباطاً اشتركوا في محادثات الهدنة ، ثم حافظوا على اتصالاتهم بفئات الجناح اليساري في اسرائيل .. »

على هذا ، فمن الطبيعي أن يكون يوم توقيع ميثاق بغداد ، كانون الثاني ١٩٥٥ ، محزناً للغـــاية بالنسبة لاسرائيل ، التي كانت تعلق كل تلك الآمال ، التي شرحها مؤرخها برغر ، على ثورة اجتماعية اقتصادية سياسية في بلد عربي - بالغ التأثير على المنطقة كلها - ، وضع قادتها نصب أعينهم :

١ - القضاء على من يسمون بالاقطاعيين والرجعيين والمشايـخ ،

وكل من يخسر بتطبيق الاشتراكية النموذجية ، والبــدء في ترسيخ دعائم دولة ديموقراطية شعبية اشتراكية .

٢ - إخراج البريطانيين من الشرق الأوسط ، والقضاء ، بالتعاون مع قوى عالمية أخرى طامعة ، على كل أثر للنفوذ البريطاني .

مما يعني التفرغ الكامل لتحقيق هذين الهدفين وعدم الاهتمام بوجود اسرائيل ، خاصة وان هذه كان لها ، منذ البداية ، من الأهداف مـا يماثل هذين الهدفين .

والحقيقة أن أي مؤرخ معاصر لم ينجح في تصوير تأثير إنشاء حلف بغداد على اسرائيل وموقفها الحقيقي منه ، مثلما نجح مؤرخها ايرل برغر نفسه ، حينما قال بالحرف الواحد [١] :

« كان توقيع ميثاق بغداد بمثابة صدمة عنيفة للاسرائيليين الذين لاحظوا أن عليهم أن يتحملوا الكثير من مرارة الصراع بـين مصر والعراق ، وتسابقهما لإثبـات من هو أقدر على خدمة القضية العربية : مصر بحيادها ، أم العراق بتحالفه مع الغرب !!... وعدا عن هذا ، فإن تركيا ، التي كانت خير صديق لاسرائيل في المنطقة كلها ، تركيا التي اعترفت باسرائيل وتاجرت معهــا وساندتها في مجلس الأمن ، تدخل الآن في ميثاق عسكري مع العراق ، البلد العربي الوحيد الذي رفض التوقيع على اتفاقية الهدنة ... وأسوأ من ذلك كله ، رضيت تركيا ، في ميثاق بغداد ، أن تتعاون مع العراق على تنفيذ مقررات منظمة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ، وكان من الطبيعي أن يتساءل الاسرائيليون عما إذا كان ميثاق بغداد قد عنى فعلاً مساعدة الحركة

---

(١) ص ١٨٢ من كتابه « العهد والسيف » .

الرامية إلى اقتطاع أجزاء كبيرة من اسرائيل، تنفيذاً لمشروع التقسيم. وعلى العموم، لاحظت اسرائيل عند اعلان ميثاق بغداد انها أصبحت في عزلة تامة، وان هدف العدوان عليها كان في الميثاق من الوضوح بحيث يصعب ان تنظر اليه اسرائيل نظرة فلسفية مترفعة!..»

في اعتقادي انها ليست مصادفة أيضاً، أن «يقضى» بعد سنوات قلائل لإعلان ميثاق بغداد، على الحكم العربي الهاشمي في العراق، حيث كان قد جرى قبل أشهر من ذلك حدث تاريخي مهم في حياة المنطقة، أسفر عن اصطناع تغيير واضح في سلوك سورية نحو اسرائيل، ها هو الفريق المتقاعد عبد الكريم زهر الدين [1] يكشف عن طبيعة السلوك الجديد ومصدره، حينما يقول بالحرف:

«كانت الأوامر المحفوظة لدى قيادة الجبهة (السورية) في زمن الوحدة توحي بضرورة التحفظ وضبط الأعصاب وتجنب الاشتباكات مع اسرائيل قدر الامكان. كان الزوارق الاسرائيلية كانت تصل حتى الضفة الشرقية من بحيرة طبريا. أي انها كانت باعمالها هذه تتحدى المخافر السورية تحدياً صريحاً وتتحرش بها تحرشاً مفضوحاً، مما جعل جنودنا يقعون في أزمة نفسية قاسية لأنهم كانوا يشاهدون تحديات اليهود العلنية دون التمكن من الرد عليها بسبب الأوامر المشددة والحظر المفروض على استعمال القوة وفتح النار ابان عهد الوحدة..» !!..[2].

لذلك كان انقلاب ٢٨ ايلول ١٩٦١ الذي أسفر عن انفصال سورية عن مصر الثورة، بمثابة «ضربة هزت أركان اميركا هزاً

---

(١) كان قائداً للجيش السوري في الفترة التي أعقبت انفصال سورية عن مصر يوم ٢٨ ايلول ١٩٦١.

(٢) ص ١٧٨ من كتابه «مذكراتي عن فترة الانفصال في سورية».

لدرجة ان دين راسك كاد ان يصفع وجهه حينما وصله الخبر (هذا قول السفير عمر ابو ريشة بخصوص موقف دين راسك) . فلقد عطل كل سياستها وقلبها رأسا على عقب . وقابلت الصحف (الاميركية) التي تنطق بلسان الصهيونية نبأ الانقلاب بوجوم وحزن شديدين »[1] .

٢

أردت على الصفحات السابقة أن أضع أمام القارىء ما كان ، ولا يزال ، يراد لنا من وراء الانقلابات العسكرية والثورات المجنونة المحمومة ، وما يستهدفونه من نسف أسس الشرعيـة والدستورية من بلادنا .

وليس غريباً أن تتفق كل من الصهيونية العالمية والاتحاد السوفياتي (والشيوعية الدولية) والولايات المتحدة الاميركية ، على أن طريق تحقيق أطماع كل منها ، وأهداف كل منها، في البلاد العربية والاسلامية، هو طريـق سيادة منطق الانقلابات العسكرية والثورات الشيوعية والفوضى الاشتراكية الثورية على هذه البلاد .

ففي كتابه « أعوام التحدي » ، يؤكد بن غوريون ان اسرائيل ستبقى عنصراً غير مرغوب به في المنطقة ، إلى أن تسيطر طبقـة العسكريين ومفلسفو ومبدعو فتاوى كل ما تأتيه هذه الطبقة ، مشيراً إلى أن الهوة ستزول حتماً بين اسرائيل ودول المنطقة حالمـا تسود الاشتراكية والعسكرية على حياة دول المنطقة .

---

(١) من تقرير النقيب محمد حجار الملحق العسكري السوري بواشنطن ،ص ٢٧٧ من المصدر السابق .

ولا يفوتني هنا سرد حادثة تعكس مـــدى حرص اسرائيل على سيادة الاشتراكية في المنطقة ، واهتمامها البالغ باستمرار الأنظمة الاشتراكية والعسكرية الموجودة ، مما يوضح ثقة اسرائيل البالغـــة بأسلوب تفكيرها القديم ، قدم وجودها ،ان لم نقل تخطيطها المسبق ، الذي كشفه آنفاً المؤرخ الصهيوني ايرل برغر ، والقائل ، على لسان بن غوريون ، أن لا أمل لاسرائيل في الصلح مع العرب إلا بالقضاء على الرجعيين ، وإقامة دول شعبية اشتراكية محل الأنظمة الرجعية في المنطقة .

فعلى « أثر احتدام الجدل بين الكونغرس ووزارة الخارجية (في أميركا) ، بسبب رفض المجلس إدراج مصر في عداد الدول المستفيدة من فائض القمح ، وكون هذا التصرف من المجلس يحد من صلاحيات الرئيس الدستورية في اتخاذ أي إجراء يراه كفيلاً بتحقيق المصلحة القومية .. أوفد الرئيس جونسون السيد دين راسك وزير الخارجية ، لإقناع لجنة الشؤون الخارجية بوجهة نظر الحكومة بضرورة العمل على تحسين العلاقات المتردية مع مصر ، خاصة وأن القمح إنما يرسل لإشباع الشعب الجائع ، وليس من العدالة والانسانية في شيء الضن على إنسان بما يمسك رمقه ، ويحفظ الحياة !..

ولم يكتف الرئيس جونسون برسول واحد ، بـــل أتبعه بنائبه همفري . وذلك إجراء لم يسبق له مثيل في عهد الرئيس جونسون على الأقل . وكان المعروف ضمناً — حينذاك — ان رفض مشروع الرئيس لم يكن بسبب الثورة الجامحة الحانقة على مصر ورئيسها فحسب ، بل بسبب نفوذ وضغط الأعضاء الضالعين مع اسرائيل ، الذين حسبوا — وهم الذين يجهلون أبعاد ومرامي المكائد والمصائـد الصهيونية — انهم

يرضون بذلك اسرائيل ، فيكونون كمن يرمي عصفورين بحجر واحد: فينفسون عن حقدهم على الرئيس المصري ، و (يبيضون) وجوههم مع اسرائيل !!..

ذهب السيد همفري يرافقه السيد راسك إلى المجلس لإقناعه بسحب اعتراضه على استئناف شحن القمح إلى مصر ، وكانت الحجة التي ساقاها لتبرير وساطتهما أن اسرائيل انتقدت بشدة اعتراض المجلس على إرسال القمح إلى مصر !... وان السفير الاسرائيلي في واشنطن لم يترك سبيلاً لم يسلكه لإقناع المسؤولين الأميركيين بضرورة استرضاء مصر .. **بل ان رئيس وزراء اسرائيل ، قد بادر حالاً ، حين بلغه اعتراض المجلس ، فاتصل هاتفياً بالرئيس جونسون مناشداً اياه بذل كل جهد لاثناء المجلس عما يراه .. هكذا والله !!..**

ونشرت « الواشنطن بوست » في صدر عددها صباح اليوم التالي تفاصيل القصة بكاملها ، تحت عنوان – اسرائيل تؤيد الرئيس جونسون في مساعدة مصر !! – . » [1]

ومن يقرأ المقالات التي يكتبها المعلق الصهيوني المشهور جون كيمشي في مجلة « آرش » التي يصدرها غاري روتشيلد في باريس ، يلاحظ أن الصهيونية ترى الوضع في الشرق الأوسط على النحو التالي : اسرائيل – من جهة ، وأوضاع عربية محلية ضعيفة ومخلخلة وممزقة – من جهة أخرى .

وفي رأي اسرائيل ، كما أوضحه كيمشي في مقالته « السلام – أي

---

(١) سعد جمعة في « المؤامرة ومعركة المصير » ص ١٠٧–١٠٨ .

سلام اسرائيل – عن طريق الثورات »، انه لماذا تقبل اسرائيل التعامل مع العرب كدول ، إذا كانت تستطيع التعامل معهم كبلديات لا تملك من القدرة ما يمكنها أن تفرض وضعاً سياسياً لا بالنسبة إليها ، أي إلى اسرائيل ، ولا بالنسبة للدول الكبرى ؟..

وفي الحملة المركزة على الملك حسين (الرجعي) شخصياً في الأندية والصحافة والأوساط اليهودية العالمية ، أحاديث مفادها :

لماذا يطلب من اسرائيل التعامل مع الملك حسين « المطالب بعودة الضفة الغربية ، والمرتبط بالحنـــين إلى القدس الاسلامية ، والمشترك بفعالية في جامعة الدول العربية ، وغير العـازم على قبول أي نوع من الصلح مع اسرائيل» .. إذا كان بإمكان اسرائيل أن تعمل على «**خلق أوضاع تحوّل الاردن الى دويلة ثورية – يسارية – لا فرق – تقبل ما لا يقبل به هو ، وتنصاع الى ما لا ينصاع إليه الملك حسين** » ؟ .

ويتساءل كيمشي باستغراب : لماذا تسلم اسرائيل لحسين المحافظ بما لا تسلم به لأي ضابط يساري اشتراكي ، يجعل من النظام الملكي الهاشمي في الأردن أثراً من الماضي ؟..

يستطرد كيمشي موضحاً، بأن سياسة عدم الاعتراف بالملك حسين كجهة صالحة للتفاهم والسلام ، لا تجعل من أي نظام يساري اشتراكي يقوم في الاردن جهة غير صالحة ، يمكن أن تخافهـــا اسرائيل ، أو لا تساعد على تهيئة وصولها إلى الحكم ... فالذي سيحدث أن مثـل هذا الوضع اليساري الاشتراكي إذا قـــام في الاردن ، فلسوف يزج الوضع العربي برمته في طريق التدحرج نحو الهاوية [1].

---

(١) عن مجلة «الحوادث» اللبنانية، العدد رقم ٥٩٠ ، تاريخ الأول من آذار ١٩٦٨ .

والسياسة الاميركية وجهة نظر مماثلة تماماً لوجهة النظر الاسرائيلية، لكنها تطرحها وتنفذها بطريقتها الخاصة .

فواشنطن ترى أن « الحل الوحيد لأزمة التخلف في البلدان المتخلفة هو أن تتولى الجيوش شؤون الحكم ، لأن مجرد دخول الجنـــدي في الخدمة العسكرية يعني تحرره من جميع روابط الحيـاة المدنية بجميع تقاليدها وعاداتها ومجتمعاتها القديمة البالية ، كما يعني سعي هذا الجندي في سبيل إقامة مجتمعات وتحقيق أهداف جديدة . ومن عادة ضبـاط الجيش ، أو أكثرهم ، انهم يفتشون عادة خارج مجتمعهم عن نمـــاذج لمجتمعات حديثة ، كما انهم شديدو الحساسية بالنسبة للرغبة في التغيير والعمل من أجل التجدد والتجديد . هذا عدا عن أن النظام العسكري المطلق يحقق اتصالاً سريعاً بالخارج ، كما يحقق تنفيذاً سريعاً لما يراد تغييره أو تحويله .. » [1] .

وتفضح واشنطن نفسها ومسؤولياتها عما حدث ويحدث في البلدان العربية ، حينما تعترف بأنها ، ودول الغرب كله، قد روضت نفسها على التعامل مع أنظمة الحكم العسكرية الثورية التي تتميز بقادة « بارعين في استخدام وفي إساءة استخدام السلطات التي بين أيديهم .. ». حيث يقول في ذلك جان كامبل، مدير الدراسات السياسية في مجلس العلاقات الخارجية الأميركية :

« ان نظـــام الحكم القائم في مصر ، على الرغم من أساليبـــه الديكتاتورية فهو لا يعدم المساندة الشعبية ، وزعيمه ، وأن يكن ذا ثقافة وأفق محدودين ، فهو رجـل له قيمته ، وهو بالنسبة لأكثر

(١) ص ٧٣ – ٨٠ من كتاب « دور العسكريين في الدول المتخلفة » ، ألفه ١١ أستاذاً أميركياً تابعين للقسم العلمي في مؤســة الشرق الأوسط الاميركية .

وقلائل هم الذين .. لمركز أرفع .. وعد بمستقبل أفضل المصريين ، يأسفون في مصر على ضياع الحريات السياسية . لذلك كان من الغباء بالنسبة للغرب أن يبني آماله على تطلعات الشعب إلى حكم أكثرية ديموقراطية. فالحكم في مصر ، حتى ولو سقط بفعل تركة ثقيلة خلفتها العهود السابقة ، فهناك فرص كثيرة تتبع قيام حكم آخر من الطراز نفسه . **لذلك كان على الولايات المتحدة ان تروض نفسها على التعامل مع قادة من هذا النوع في العالم العربي : قادة فعالون ، عظيمو الثقة بأنفسهم ، بارعون في استخدام وفي إساءة استخدام السلطات التي هي بين أيديهم .** »[1]

لكن الاتحـــاد السوفياتي ، وبطريقته الخاصة أيضاً ، أو كما هو مخطط لمجرى سياسته وللسياسة الاميركية ، ينطلق في نظرتـــه إلى الانقلابات العسكرية وتسلط العسكريين على الحكم في البلدان العربية ، من اعتبارات ومفاهيم طبقية ماركسية [2] .

فالسوفيات يعتبرون الجيش في البلدان العربية « المؤسسة الوطنية العامـــة الوحيدة » ـ ؟! .. ـ و « المؤسسة الأكثر صفة عصرية في المجتمع » ـ ؟! .. ـ ، فهو يلقن النـــاس « وعيهم الوطني » ـ ؟! ـ ذلك لأن « الضباط في البلدان العربية منبثقون ، بصورة عامة ، من الطبقات الكادحة ومن العيال الكادحة في المدن والريف ، ومن عيال الموظفين الصغار » . ففي سورية ـ مثلاً ـ « ٩٠ بالمائـــة تقريباً من

---

(١) ص ٢٩٤ من كتابه « الدفاع عن الشرق الأوسط » .

(٢) يقول المفكر الصهيوني المعاصر الحاخام لويز برونس في كتابه « أغرب من الخيال » :
« ان كارل ماركس ، حفيد الحاخام مردخاي ماركس ، كان في روحـــه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له من فكر وأسلوب أشد اخلاصاً لاسرائيل من الكثيرين الذين يتشدقون اليوم بأدوارهم في مولد الدولة اليهودية » .

الضباط هم من أبناء العيـــال الكادحة » . ولعدم ارتباط الضباط في البلدان العربية « بصلة النسب مع كبار الملاكين الزراعيين والبورجوازيين، ونظراً لامتلاكهم درجة كبيرة نسبياً من الاستقلال ، فإنهم قادرون على تحويل الجيش إلى قوة تمثل دور أداة الثورة الوطنية »،أو بالمفهوم **الشيوعي ، قادرون على تحويل الجيش الى جيش عقائدي .**

وتعتقد موسكو انه في عام ١٩٥٢ لم يكن باستطاعة أية فئـة من فئات الشعب المصري أن تقوم بثورة سوى فئة الضباط الذين « ضربوا الطبقات المسيطرة ، عميلة الامبريالية وقاعـــدة الثورة المعاكسة » ، وقد « سار منطق الثورة بقادة مصر العسكريين نحو الاقتناع بأن من الضروري الأخذ بالايديولوجية الاشتراكية ، لأنه في عصرنا – عصر الصراع بين نظامين متعارضين – لا يمكن النضال بنجاح ضد شرور الرأسمالية ، إلا بتبني مواقف الاشتراكية ، والتحالف مـــع الدول الاشتراكية » .

وترى السياسة السوفياتية ، باختصـــار ، أن القوات المسلحة في الدول العربية « تمثل دوراً سياسياً مهماً ، وفي أكثر الحالات ، دوراً تاريخياً تقدمياً . ولا تستطيع جيوش البلدان العربية تحقيق الرسالة النبيلة التي عهد بها إليها التاريخ – ؟!!.. – ، إلا بالاعتماد على جماهير الشعب الكبرى ، على الشعب الكادح ، على أولئـك الذين تتحقق في مصلحتهم كل ثورة في نهاية الأمر » [١] .

---

(١) عن مقال ج . ميرسكي في نشرة « وكالة أنباء نوفوستي السوفياتية الحكومية ليوم ٢٨ ايلول ١٩٦٦ . راجع « النهار » اللبنانية ، العدد رقم ٩٤٥٦ تاريخ ٣٠ ايلول ١٩٦٦ .

هل هي مصادفة أيضاً ، أن تتماثل سياسات ومواقف اسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي حيال مسألة تدخل العسكريين في الشؤون السياسية للدول العربية ، بل وسيطرتهم ، في بعضها ، على الحكم ؟!..

الفصل الثاني

« ان كارل ماركس ، حفيد الحاخام مردخاي ماركس، كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له من فكر وأسلوب ، أشد اخلاصاً لاسرائيل من الكثيرين الذين يتشدقون اليوم بأدوارهم في مولد الدولة اليهودية » .

المفكر الصهيوني المعاصر الحاخام لويز برونس
في كتابه « أغرب من الخيال »

رغم ان كارل ماركس أولى جل اهتمامه تقريباً لأوروبا فإن فلاديمير اوليانوف (لينين) بـــدأ يهتم بشؤون الشرق عامة وبآسيا خاصة منذ مطلع عام ١٩٠٠ ، إذ عالــج في أول مقالة له بجريدة « ايسكرا » - الشرارة - شؤون الصين ، ثم كرّس عدداً من مؤلفاته لآسيا ، مثل : « مواد ملتهبة في السياسة الدولية » ، « يقظة آسيا » . « أوروبا المتأخرة وآسيا المتقدمة » ، التي نشرها بـــين أعوام ١٩٠٨

و ١٩١٣ . وازداد اهتمام لينين بآسيا أكثر حتى إلى ما بعد نجاح ثورته البلشفية عام ١٩١٧ .

ثمة من يعيد أسباب هذا الاهتمام إلى كون والدة لينين يهودية ، بالاضافة إلى أنه كان يفتخر بنسبه إلى جدة والده اليهودية . وقد حقق لينين أخيراً أمنيته ، فتزوج من يهودية تدعى « نادجا » .

هناك أيضاً من يربط بين اهتمام لينين بالشرق ، وبآسيا بصورة خاصة ، وبين محادثاته مع حاييم وايزمن ، خلال سلسلة الاجتماعات « التاريخية » التي عقداها في زوريخ بسويسرا في شهر أيار ١٩١٦ (أي قبل أكثر من عام من ثورة البلشفيك في روسيا) ، بحضور عدد من الزعماء اليهود هم :

كارل زوبلزن ، الملقب براديك ، الذي برز في الثورة الشيوعية الحمراء في روسيا واحداً من قادتها الأربعة .

جاك ليفي ، الذي سجل أهم ما اتفق عليه وايزمن ولينين في تلك الاجتماعات .

كما حضر الاجتماعات موليير فاندسيم ، عضو الحركة الاشتراكية الاوروبية ، بالإضافة إلى البروفسور دافيد هارن ، البولندي الأصل .

يقول جاك ليفي ، ان المجتمعين بحثوا في تلك الاجتماعات مخططين رئيسيين ، عرف الأول باسم P.R.S.M. ، الخاص بالقضاء على الامبراطورية القيصرية في روسيا وإقامة دولة ماركسية فيها .

وعرف الثاني باسم المخطط اليهودي للشرق P. J. O. ، كانت لجنة من زعماء الاشتراكيين اليهود الاوروبيين قد وضعته في

مؤتمرها العام بالنمسا عام ١٩٠٨ ، لفتح أبواب الشرق أمام الشعب اليهودي للاستقرار في فلسطين .

أهم ما دار من محادثات بين لينين ووايزمن في اجتماعات زوريخ كما سجلها جاك ليفي [١] الحوار التالي :

قال لينين لوايزمن :

« على نجاح الثورة الاشتراكية في روسيا ، يتوقف تحرير اليهود من كابوس ملوك أوروبا وحكامها ، ورفعهم إلى أعلى المناصب في الدولة [٢] ، وفرض احترامهم وشخصيتهم على العالم . وسوف تحقق

---

(١) عن كتاب «دور الدول الاشتراكية في تكوين إسرائيل» للدكتور ابراهيم الشريقي.

(٢) مما يجدر ذكره هنا، تأكيداً للوعد الذي قطعه لينين على الثورة الشيوعية لوايزمن:

أ – قال مراسل جريدة « كول هاعام» الاسرائيلية في موسكو (عدد ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٤) ، ان عدد المرشحين اليهود السوفيات لجوائز لينين في الأدب والفن والسياسة والعلوم ، يبلغ ٨٠ شخصاً ، وهو أعلى رقم في تاريخ المرشحين لهذه الجوائز المهمة في الاتحاد السوفياتي .

ب – قالت جريدة « لا مرحاف » الاسرائيلية (عدد ٦ تموز ١٩٦٥) بأن عدد اليهود السوفيات الذين جرى تعيينهم مؤخراً ، دفعة واحدة ، في مناصب رفيعة بالحكومة السوفياتية ، بلغ ٧٦٤٧ ، وذكرت الجريدة اليهودية انها تنقل هذه المعلومات عن كتاب اسمه « اليهود في الاتحاد السوفياتي » ، نشرته الحكومة السوفياتية باللغات العبرية والانكليزية والفرنسية والروسية .

ج – قال مراسل « نيويورك تايمس » في موسكو (عدد ٧ تشرين الثاني ١٩٦٥) ان البروفسور ليبرمان، صاحب النظرية الاقتصادية الماركسية الجديدة حول اللامركزية في الصناعة والتجارة الداخلية السوفياتية، هو يهودي سوفياتي. ومن غير المألوف في أجهزة الاعلام السوفياتية ان تذكر مذهب الاقطاب السوفيات عند الحديث عنهم وعن نشاطاتهم . لكن الحكومة السوفياتية أرادت ان تؤكد بأنها اليوم ، كما كانت بالأمس ، مدينة للاجتهاد اليهودي ..

د – ذكرت جريدة « اهارونوت » الاسرائيلية (عدد ٦ تموز ١٩٦٥)=

الثورة للشعب اليهودي المشتت ، ما عجزت عن تحقيقه لهم الثورة الفرنسية ١٧٨٩ . وبعد إزالة القيصرية و كنيستها من روسيا ، تقام الدولة الماركسية الاشتراكية على الأسس التي خطط لها ، لتحقق أهدافها البعيدة المدى في الغرب والشرق .. »

فقال حاييم وايزمن ، الذي أصبح ، فيما بعد ، أول رئيس للدولة اليهودية :

= بأن الحكومة السوفياتية أعارت حكومة اسرائيل الدكتور لاندو « اليهودي » ، احد كبار علماء الذرة السوفيات ، للتدريس في معهد وايزمن .

هـ ـ قال الدكتور صلاح دباغ في كتابه « الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين » الصادر عن « مركز الابحاث » للدراسات الفلسطينية، على الصفحات ٥٦-٥٧-٥٨ :

« .. تدل الاحصاءات الأخيرة انه يوجد ستة علماء يهود بين كل مائة عالم سوفياتي . وهي نسبة عالية إذا ما قورنت بنسبة عدد اليهود إلى مجموع السكان. فبينما تبلغ هذه النسبة حوالي ١،١ بالمائة،نجد أن نسبة العلماء اليهود تبلغ ٦ بالمائة.

كان ليهود الاتحاد السوفياتي نفوذ سياسي واسع في مطلع الثورة البلشفية . ففي عام ١٩١٧ كان يوجد سبعة أعضاء يهود من بين الأعضاء الأربعة والعشرين الذين تتألف منهم اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي ، كما بلغ عدد اليهود في مجلس المفوضين (مجلس الوزراء) المكون من واحد وعشرين عضواً ، سبعة أعضاء .. ولقد كان في مجلس السوفيات الأعلى الذي امتدت ولايته من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٦ خمسة اعضاء من اليهود ، من أصل ١٤٤٣ عضواً .. »

و ـ قال مراسل « نيويورك تايمس » في موسكو (عدد ١١ حزيران ١٩٦٥) ان نفوذ الشخصيات اليهودية السوفياتية، أخذ في الآونة الأخيرة يتصاعد إلى أعلى قمم المسؤولية الحكومية والحزبية في الاتحاد السوفياتي،بالاضافة الى ما كان عليه هذا النفوذ اليهودي منذ أيام لينين وأيام ستالين وخروتشوف .

ويضيف المراسل قائلا : ان بين ١٠٣ مرشحين سوفيات لعضوية اكاديمية العلوم ٦٠ بالمائة أسماء يهودية . وان من مجموع ٤٣٨ للهيئات التنفيذية في اجهزة التلقين الدعائي العقائدي في داخل الاتحاد السوفياتي وفي المعسكر الاشتراكي الدولي، وخصوصاً في الدول الاشتراكية الآسيوية والعربية ـ ؟ !! .. ـ والافريقية ، تبلغ نسبة اليهود حوالي ٧٠ بالمائة !! ..

« إن فتح أبواب الشرق لاستقرار اليهود في فلسطين ، يتوقف بالدرجة الأولى على تدمير الامبراطورية العثمانية . وبتدميرها تزول الحواجز والعقبات التي تعترض المسيرة إلى أرض الميعاد .. عمرهـا (أي الامبراطورية العثمانية) أصبح محدوداً وانهيارها بات وشيكاً . لا بد من إنشاء دولة يهودية في فلسطين على أسس اشتراكية ، بعد أن تحقق الثورة الروسية الاشتراكية أهدافها .. »

ولم يكن لينين وحده المهتم بالشرق ، وإن كان الأكثر اهتمامـاً ، إذ اهتم القادة الأربعة للثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ بشؤون الشرق وأحواله ومعالجته ماركسياً والسيطرة عليه ، حتى انهم كرسوا مؤتمراً للشرق ، عرف باسم مؤتمر باكو ، وقف في أحد اجتماعاتـه كارل راديك ، أحد القادة الأربعة للثورة والذي سبق له قبل عام من قيامها أن حضر اجتماعات لينين ووايزمن ، يخاطب في الآسيويين رغبتهم في النضال ضد الغرب « تلك الرغبة التي ألهمت أسلافكم وزعماءكم العظام ، الزحف لفتح أوروبا وقهرها » ، كما جاء في خطابه . وأضاف راديك مخاطباً الآسيويين ، بأن أعداءهم سيحاولون إعطاء هذا الزحف صبغة غزوات جنكيز خان والخلفاء المسلمين ـ كذا ..ـ ، ولكن لا يجب أن تثنيهم مثل هذه الترهات عن رغبتهم . لان الغاية من نضالهم المقدس ليس التدمير والفتح ، إنما إنشاء حضارة جديدة تحت راية الشيوعية ـ ؟! .. ـ .. حضارة هي أرفع مستوى بمائة مرة من تلك التي خلفها تجار العبيد الغربيون [١] .

ويشير البروفسور سانتيق [٢] إلى أن وايزمن الثوري « مدين

---

(١) ص ٣٤ من « الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط » لوالتر لاكور .

(٢) في مقدمة كتابه «الصهيونية والثورة البلشفية» الذي صدر في ميلانو عام ١٩٢٦ .

لتروتسكي – اسمه الحقيقي ليفي برونشتاين – بالمكاسب التي حققها ،

فيقول :

« أخفقت الحركة الصهيونية الاشتراكية في إشعال ثورات في أوروبا الصناعية واللاتينية ، على غرار ثورتها البلشفية في روسيا القيصرية ، ضحية أكبر مؤامرة نفذت في عام ١٩١٧ .

يعتقد الشعب الروسي ، كما صوروا له ، وبالأخص طبقة العمال والفلاحين ، أن بطل الثورة الأوحد هو لينين ..

الواقع أن أبطالها هم زعماء الحركة الاشتراكية اليهود بقيادة تروتسكي . فقد كان صريحاً جاك ليفي ، الكاتب اليهودي ، في رسالته التي بعث بها إلى صديقه الطبيب ألبير هوفان ، بمدينة ليل ، في ١٤ ايلول ١٩٢١ ، عندما قال : عرفت لينين في مدينة زوريخ ، حيث عقدت عدة اجتماعات حضرها بعض قادة الحركة الاشتراكية والأمين العام للجمعية الصهيونية حاييم وايزمن .. إنه رجل ثوري ، مدين لتروتسكي بالمكاسب التي حققها .. لا يصلح لقيادة أمة شعبها مثقف واع .. »

بل ان عظيم اهتمام الحكم البلشفي في روسيا بقضايا الشرق وأرضاعه ، قد تجلى بوضوح بعد نحو شهر ونيف من نجاح ثورة ١٩١٧ ، عندما وجهت الحكومة السوفياتية في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٧ ، نداء « إلى جميع العمال المسلمين في روسيا والشرق » لتأييد الثورة الشيوعية . وفي عام ١٩١٨ نادى كبير الخبراء السوفيات بالشؤون المصرية ك. م. تروبانوفسكي « بوجوب تأميم الأرض الزراعية في مصر ».. وقال : « إن الحل الأمثل والأكثر فائدة للعالم، والأجدى

نفعاً للبروليتاريا المصرية ، هو تدويل القناة .. » !! .. [1] .

ولعل مـــا جاء في القرارين المكرسين للقضية اليهودية ، اللذين أصدرتهما الحكومة السوفياتية في الأيام الأولى لاستلام البلشفيك الحكم في روسيا ، يكشف أسباب ذلك الاهتمام الشيوعي السوفياتي بالشرق ، ويعكس – بالتالي – مدى تأثير محادثات وايزمن ولينين على حيـاة الثورة البلشفية ، بل وارتباط هذه الثورة ارتباطاً عضوياً بالقضية اليهودية ، أو بتعبير أصح بالمخطط اليهودي العالمي .

إلا أن هناك اختلافاً في تاريخ صدور هـذين القرارين . فبينما تقول مجلة « فرنسا القديمة » [2] أنه في الاسبوع الأول بالضبط من حكم لينين عام ١٩١٧ ، أصدرت الحكومـــة السوفياتية قرارين رئيسيين أحدهما « **يؤكد اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون ، خصوصاً وان الاغلبية الساحقة من زعماء الحكم البلشفيكي في روسيا كانوا من اليهود : يهود من روسيا ومن بولندا ومن المانيا ، ومن مختلف البلدان** .. » [3]

ثاني القرارين ، وهو الأهم ، « **اعلان الحكومة السوفياتية برئاسة**

---

(١) ص ٧٤ من كتاب « الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط » لوالتر لاكور .

(٢) العدد ١٦٠ مجلد عام ١٩٢٠ ، عن كتاب « موسكو واسرائيل » للدكتور حليق .

(٣) الزعماء الأربعة الكبار للثورة البلشفية في روسيا ، هم :

١ ـ لينين : من أم يهودية ، وجدة والده يهودية ، وزوجته يهودية .

٢ ـ تروتسكي : يهودي الأب والأم .

٣ ـ كاجانوفيتش ؛ يهودي الأب من أم مجهولة .

٤ ـ كارل زوبلزن ، الملقب براديك : من عائلة يهودية محافظة .

لينين التأييد الكامل لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين »[1].

ويعتبر هذا القرار ، كما هو واضح ، تنفيذاً لاتفاق لينين مع وايزمن في أيار ١٩١٦.

.. بينما تؤكد مجلة « فرنسا القديمة » ذلك ، فإننا لا نجد لهذين القرارين أثراً في المصادر السوفياتية الرسمية طوال عام ١٩١٧ ، عام الثورة . لكنه في عام ١٩١٨ ، تنشر جريدة « أزفستيا » ، الناطقة بلسان الحكومة السوفياتية ، في عددها الصادر يوم ٢٧ تموز ١٩١٨ ، بياناً يعترف بالقرار الأول دون الثاني جاء فيه [2] :

« وفقاً للمعلومات التي وصلت إلى مجلس مفوضي الشعب — أي مجلس الوزراء — ، يقوم مناهضو الثورة في عدة مدن ، لا سيما في تلك المجاورة للجبهة ، بإثارة النعرات ضد اليهود ، مما يؤدي إلى حدوث فظائع ترتكب في عدة أمكنة ضد الجماهير اليهودية الكادحة .

.. يعلن مجلس مفوضي الشعب أن الحركة اللاسامية والمذابح الموجهة ضد اليهود ، تهدد بالقضاء على مصالح ثورة العمال والفلاحين . وهو يدعو الشعب الكادح في روسيا الاشتراكية إلى مقاومة هذا الشر بكل الوسائل الممكنة .

---

(١) من السذاجة اعتبار تأييد الثورة الاشتراكية الروسية لحق اليهود في تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين عام ١٩١٧ ، عام صدور وعد بلفور البريطاني ، هو مجرد صدفة ..

(٢) عن « الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين » الصادر عن مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية — بيروت .

ويوجه مجلس مفوضي الشعب (أنظار) جميع ممثلي السوفيات إلى (وجوب) اتخاذ الاجراءات التي من شأنها أن تقضي بصورة فعالة على الحركة اللاسامية في جذورها . وهو يأمر بملاحقة جميع من يقومون بالمذابح ضد اليهود ويثيرون الناس للقيام بها . . »

أما لماذا حدثت فظائع رهيبة في «عدة أمكنة من روسيا السوفياتية ضد الجماهير اليهودية » ، فالبيان السوفياتي يتعمد إحاطة هذه النقطة بالغموض ، رغم تعمده ، من جهة ثانية ، الوضوح الكامل في القول ان « المذابح الموجهة ضد اليهود تهدد بالقضاء على مصالح ثورة العمال والفلاحين » !! . .

هل معنى ذلك أن عمال وفلاحي روسيا كلهم من اليهود – وهذا غير صحيح بالمرة – وعليه فإن المذابح ضدهم تقضي فعلاً على الثورة ، أم أن « طليعة » الثورة هي من اليهود ، وهو ما يستوحيه القارىء من البيان السوفياتي الرسمي ، وعليه فإن القضاء على اليهود ، يعني ، بالتالي ، القضاء على الثورة ؟ . .

إن البت في الأمر ليس من مهمة هذه الدراسة ، لا سيما وأن المراجع التاريخية للثورة البلشفية تفادت ، وبشكل مخطط ومدروس ، الاقتراب من هذا الموضوع تفصيلياً . لكن جان بول اوليفيه يشير إلى حادثة وقعت للينين قبل الثورة (في تصوري أنها ربما ألقت مزيداً من الأضواء على العلاقة بين اليهودية والشيوعية) ، فيقول انه « حينما عاد لينين إلى روسيا ، وكان في قعر حقيبته كتب ومنشورات سرية تتحدث عن الثورة الاشتراكية ، وجد في استقباله بمدينة بترسبورغ زوجته نادجا بصحبة شاب في الثانية والعشرين من العمر ، قدم إليه باسم مارتوف (اسمه الحقيقي جول زوربوم) وهو يهودي مثقف

من عائلة بورجوازية ، خرج حديثاً من السجن وانضم إلى الثوريين . وعرض مارتوف على لينين مطبعة من أجل إصدار صحيفة سرية، تأخذ على عاتقها توعية العمال الروس . فوجد لينين الفرصة مؤاتية لفعل أي شيء ، فاجتمع بكروسكايا ومارتوف وآخرين ، واتفقوا على تأسيس حزب يدعى (اتحاد النضال من أجل تحرير العمل) .. » (١)

٢

أما موقف الحكم البلشفي الاشتراكي ، من جهة أخرى ، من الإسلام كدين ونظام ، منذ مطلع العهد الشيوعي في روسيا ، فهو موقف الدفاع عن النفس ، إذا تذكرنا أن ثمة الملايين من المسلمين وجدوا أنفسهم فجأة تحت حكم البلشفيك . لذلك كان الحذر هو رائد الحكم السوفياتي في مناوأته للاسلام في داخل الاتحاد السوفياتي، في بادىء الأمر ، لإدراكه أن اضطهاد المسلمين في روسيا من شأنه أن يخلق في العالم الاسلامي فكرة غير ملائمة للاتحاد السوفياتي ، وقت كان يسعى فيه إلى اكتساب الأصدقاء والنفوذ في الشرق الأوسط ، وغيره من البلدان الآسيوية .

ويرى والتر لاكور (٢) أن هناك أسباباً أخرى حدت بالحكم الشيوعي إلى الحذر في محاربة المسلمين ، منها أن الاسلام ليس ديناً فحسب ، إنما هو دين وطريقة حياة كذلك .

وهكذا – يقول لاكور – فإن تصفية الاسلام لا تعني فقط إغلاق أماكن العبادة ، بل تنطوي كذلك على إلغاء نظام اجتماعي بأسره ،

---

(١) جان اوليفيه في كتابه « متى يطلع النهار يا رفيقي ؟ .. » .
(٢) ص ٧٩ من كتابه « الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط » .

بكل ما فيه من عادات وأعراف وسنن. وقد أقر الشيوعيون بخصائص الاسلام هذه، فلاحظ الحزب الشيوعي السوفياتي في قراره الصادر عن مؤتمره الثاني عشر، بشأن ضرورة الدعاية للالحاد، بأن نفوذ الاسلام وتأثيره في روسيا كانا لأسباب عدة، تاريخية واقتصادية، أقوى من تأثير الكنيسة الارثوذكسية. لذلـــك كانت سياسة الحزب الشيوعي العامـة تقول بتفضيل طريقة الشرح الصبور على مبدأ إلغـــاء الدين بالوسائل الإدارية.

وعلى أساس العمل بطريقة الشرح الصبور، انطلقت الدعـاية ضد الاسلام، فظهرت كراسات ومقالات غزيرة تتناول موضوعات مختلفة بصدده، مثل: «لم يكن هناك محمد إطلاقـــاً»، «النتائج المؤذية المترتبة على الصيام في رمضان».. -كذا- !!...

وآخر رواية سوفياتية معتمدة لتفسير الاسلام، ظهرت في الطبعة الثانية من دائرة المعارف السوفياتية، تزعم أن أزمة اجتماعية واقتصادية عامة تمخضت عن ظهور الاسلام، وقد جاء ظهوره محققاً لرغبة الطبقات الحاكمة في تبرير الطبيعة الاستثمارية للنظام القائم وتبرير عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية. إلا أن الرواية تعدد، مـــع ذلك، لظهور الاسلام، أسباباً إضافية منها تدهور تجارة الترانزيت في مكة، ورغبة الطبقات الحاكمة في الاستيلاء على أقاليم جديدة. ووفقاً لهذه النظرية، فإن الحافز وجد تعبيراً عنه في ديانة قوية توسعية توحيدية، انطلقت لتوحيد القبائل جميعها [١].

والملاحظ أن الحكم البلشفي قد غفل في تفسيره العقائدي الماركسي

---

(١) ص ٨٣ من «الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط».

اشتراكياً ثورياً طليعياً يحس بآلام الجماهير الكادحة في الجزيرة العربية، فانطلق يحارب « الاقطاعية الدينية الجديدة » !!..

وقد يكون من المفيد الاطلاع أكثر على وجهة النظر السوفياتية الرسمية - التي ما تزال موسكو تعمل بموجبها - في حركة الوحدة الاسلامية أو التضامن الاسلامي أو الجامعة الاسلامية:

« هي حركة دينية رجعية قام بها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصحاب الأملاك والبورجوازيون وعلماء الدين الأتراك. ثم انتشرت بين الطبقات الثرية في البلدان الاسلامية الأخرى. وتعمل الجامعة الاسلامية على ضم الشعوب التي تدين بالاسلام تحت لواء دولة واحدة، بدعوى انها تكافح دخول رؤوس الأموال الأجنبية إلى بلاد الشرق الاسلامي.

وتستعمل الطبقات الحاكمة في البلاد الاسلامية فكرة الوحدة الاسلامية لإذكاء نعرة التعصب الديني وبغض الأجنبي، كما تثبت مراكزها وتقضي على الحركات الثورية التي تقوم بها الطبقات العاملة في الشرق. »[1]

بينما لم تأت دائرة المعارف السوفياتية على ذكر الديانة اليهودية أو فكرة « أرض الميعاد » أو أهداف الصهيونية !..

٣

لذلك كله كان من الطبيعي جداً أن يوفد الحزب البلشفي،

---

(١) الجزء ٣٢، الطبعة الثانية، من دائرة المعارف السوفياتية.

ولهدفين محددين – واضحين للقارىء بلا شك – عدداً من اليهود ، أو يستعمل يهود الشرق الاوسط أنفسهم، لتأسيس الأحزاب والحركات والمنظمات الشيوعية واليسارية في بلدان المنطقة .

ففي أحد أيام شهر تشرين الثاني ١٩٢٤ ، دخل على الأستاذ يوسف ابراهيم يزبك ، الذي كان يعمل سكرتيراً مترجماً في دائرة المهاجرة بمرفأ بيروت ، « صحافي عرفه على نفسه بأنه جوزيف برغر ، وهو يهودي من فلسطين ، وأخذ يسأله عن الحركة الأدبية في لبنان وعن تأثير أناتول فرانس في أدباء البلد . ثم انتقل إلى السؤال عن التيارات اليسارية في سورية ولبنان .

وأثناء الحديث أخرج برغر من محفظة أوراقه عدد جريدة « المعرض» الذي كان الأستاذ يزبك قد كتب فيه عن أناتول فرانس ، وقد أشّر على تلك المقالة بالقلم الأحمر ، خاصة حول الكلمات التي تقول عن أناتول فرانس انه – صديق الفلاحين والعمال – والأسطر التالية .

وسأل برغر عن معنى هذه الكلمات ، لأنها ذات مدلول خاص ، فأجابه الأستاذ يزبك انه ذو نزعة اشتراكية . فسأله عما إذا كان هناك اشتراكيون غيره ، فأخبره بوجود عدد من الكتاب الاشتراكيين غير أنه لا توجد رابطة توحد بينهم . فسأل برغر عن مدى تقبل العمال للفكرة الاشتراكية وعن مدى استعدادهم لتنظيم صفوفهم ، فأكد له يزبك وجود هذا التقبل وهذا الاستعداد ، كما أخبره عن نقابة عمال التبغ التي أسسها فؤاد الشمالي في بكفيا .

وعندئذ أخبر برغر الأستاذ يوسف يزبك انه بلشفيكي وأنه مندوب الحزب البلشفيكي في فلسطين ومهمته أن يؤسس فرعاً للحزب في لبنان.

وهنا لا بد من الاشارة إلى أن الحزب البلشفيكي في فلسطين كان منظماً منذ عدة سنوات ، ولكن عضويته كانت تقتصر على اليهود فقط ، وان الفلسطينيين العرب القلائل الذين انضموا إليه كانوا غير موثوقين من الأكثرية اليهودية ولا يؤتمنون على أسرار الحزب ومخططاته السرية »[1].

المريب أن أحداً من المؤرخين لم يحاول البحث في الأسباب التي حدت بالحكم الشيوعي السوفياتي إلى إيفاد قطبين من أقطاب الحزب الفعالين ، واختيارهما من اليهود بالذات ، وهما جاك شابيليف وراوول كارنبورغ ، إلى فلسطين عام ١٩١٩ لتأسيس حزب شيوعي هناك، أي بعد عامين من الثورة الشيوعية ، وهو وقت مبكر بالقياس إلى الزمن الذي كان قد مضى على قيام الحكم الشيوعي في روسيا ..

وهكذا ، ومنذ زيارة برغر للبنان ، بقيت علاقة الحزب الشيوعي اللبناني (الذي كان يعمـــل تحت اسم « حزب الشعب ») بالحزب البلشفيكي في فلسطين ، وثيقة جداً طوال السنين الأولى من حياته . وقد توالى على مهمة تأمين الارتباط بين الحزبين وإعطاء التوجيهات اللازمة لحزب الشعب اللبناني في نشأته ، ثلاثة من اليهود . فبالاضافة إلى جوزيف برغر ، كان هنـــاك س . افربوخ الملقب بأبي زيام ، وهو بلشفيكي قديم ، كان رفيق لينين في منفاه بسويسرا ، ثم انتدب لتنظيم الدعوة البلشفية في البلدان العربية، وكان من أبرز البلشفيكيين في فلسطين ، حيث تزعم الحزب الشيوعي الفلسطيني بـــين ١٩٢٤ و ١٩٢٩ .

أما الثالث فهو يعقوب ، أو الياهو ، تيبير الملقب بشامي ، الذي

(١) س. أيوب في كتابه « الحزب الشيوعي في سورية ولبنان »، ص٥٨-٥٩-٦٠ .

كان من أبرز الكتاب وأعند المجادلين في شؤون الشرق الأوسط . ولد في روسيا ثم هاجر إلى بلجيكا قبل الحرب العالمية الأولى ، للانضمام إلى الحزب الصهيوني اليساري المعروف باسم Poal Zion ، ثم ما لبث أن التحق بالشيوعيين ، وأرسل أولاً إلى فلسطين ثم إلى سورية من قبل الكومنترن .

ويذكر أحد المؤرخين (١) اسمي اثنين آخرين من اليهود انتدبا لبلشفة العالم العربي . الأول يدعى بهيل كوسي ، الملقب بأفيجدور ، الأوكراني الأصل . وقد التحق كوسي بالحركة الثورية في وقت مبكر وهاجر إلى الولايات المتحدة ، قبيل الحرب العالمية الأولى ، للالتحاق بالفيلق اليهودي الذي كان قيد التشكيل وقتئذ، ثم ذهب إلى فلسطين لوقت قصير عام ١٩١٨ ، وعاش في مصر عاماً ونصف العام . ولما عاد إلى الاتحاد السوفياتي ، أوفد من جديد إلى مصر مرتين ، عام ١٩٢٢ و ١٩٢٤ ، لينظم الحزب الشيوعي المصري . ثم أرسل سنة ١٩٣٢ ليتجول في الشرق الأوسط ويدرس أحوال الأحزاب الشيوعية المحلية .

الثاني الذي يذكره هذا المؤرخ ، هو ناحوم بخشنسكي الملقب بناداب . كان أحد العائدين من فلسطين إلى موسكو في أعقاب ثورة ١٩١٧ ، وقد تخصص في شؤون مصر .

ويقول س . أيوب انه « اتضح من التوجيهات اليهودية لحزب الشعب اللبناني – أي الحزب الشيوعي اللبناني – أن البلشفيكيين اليهود كانوا يريدون أن يسجن الرفاق في لبنان ، وأن تضج الصحف بما

---

(١) والتر لاكور في « الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط » ص ١٠٥ .

يقومون به من أعمال ، وأن يكونوا آلة في أيدي اليهود لا يناقشون ولا يعارضون »[1].

والمعروف أن مؤسس الحزب الشيوعي المصري يهودي أيضاً يدعى هنري كوريل ، الذي كان ابن مليونير من اليهود السيفارديين . وقد أنفق هنري أموالاً ضخمة لتعزيز المبادىء الماركسية في أنحاء مصر ، حتى استطاع التسلل بهذه المبادىء إلى جميع الأحزاب السياسية المصرية آنئذ ، بما فيها حزب الوفد ، كما تسلل إلى معامل النسيج في المحلة الكبرى وشبرا الخيمة والنسيج الوطني في الاسكندرية وغيرها[2].

ويؤكد رفيق رضا ، أحد أقطاب الحزب الشيوعي السوري « التائبين » ، في مؤتمر صحافي عقده بدمشق ، مخاطباً الشيوعيين في سورية ولبنان ، انه « في عام ١٩٣١ - ١٩٣٤ ، وإلى ما بعد عام ١٩٣٤ ، كنتم على أحسن حال مع الشيوعيين اليهود ، وكنتم تبادلونهم وداً بود ، وتتبادلون معهم البعثات ، وتشركونهم في بحث سياستكم وأضاع بلادكم . وقد أرسلتم فرج الله الحلو إلى تل أبيب ليستطلع رأي الشيوعيين اليهود في خطة حزبكم، ثم استقدمتم إلى بيروت الشيوعي اليهودي نحمان ليتفنسكي لتستأنسوا برأيه في أحد مؤتمرات الحزب ، وقد حضر فعلاً ، واشترك بالمؤتمر المذكور ، وأوصاكم أن تعدلوا موقفكم من الأحزاب والجماعات الوطنية في سورية ولبنان وأن تتشددوا في الحملة عليها ، على اعتبار أنها أحزاب انتهازية ... هذا في وقت كان الاستعمار الفرنسي يمعن في بعض هذه الأحزاب اضطهاداً ونفياً وتشريداً .. »

(١) ص ٦٣-٦٤ من كتابه « الحزب الشيوعي في سورية ولبنان » .

(٢) جورج لينشوفسكي في كتابه « الشرق الأوسط في الشؤون العالمية » .

وقال رفيق رضا ان بعض الشيوعيين اليهود وفدوا إلى بيروت عام ١٩٣٢ وحملوا معهم مبالغ طائلة من المـــال أعطيت لقيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان. وذكر اسمي « اميل وأوسكا » و « مولر » بين أولئك الموفدين.

وأضاف بأنه حمل معه من باريس عام ١٩٣٨ مبلغ خمسة وعشرين ألف فرنك فرنسي وضعهـــا الحزب الشيوعي الفرنسي تحت تصرف الحزب في سورية ولبنان. وكان هذا المبلغ في ذلك الحين يعادل خمسة آلاف ليرة سورية – لبنانية، ويعتبر ثروة كبرى، وذكر أن خالد بكداش كان قد نقل معه أيضاً مبلغاً طائلاً من المال، عندما كان في فرنسا في ذلك العام (١).

ظل الشيوعيون العرب، وغيرهم من أصحاب الأسماء والواجهات الأخرى، يعملون منذ ذلك الحـــين حتى اليوم تحت رعاية وتوجيه وإرشاد رفاقهم اليهود في اسرائيل، بطريقة أو بأخرى، « وقد ثبت، **بما يقطع كل شبهة، قيام تنظيم موحد، وترابط عقائدي وتخطيط وتكامل في التخطيط والهدف، بين كل من الحزب الشيوعي الاسرائيلي والأحزاب الشيوعية العربية. ومن عانى متاعب الحكم في الأردن، يعرف ان الكثير من المنشورات الشيوعية السرية كانت تأتينا عبر الحدود من اسرائيل، وان رهطاً كبيراً من قادة الحزب الشيوعي الأردني 'قذفوا علينا من اسرائيل' بعد ان تتلمذوا وتدربوا على أيدي دهاقنة الحزب الصهيوني المضللين ..»** (٢)

---

(١) عن جريدة «الجماهير» الدمشقية المحتجبة، العدد ٤٦ تاريخ ١٥ تموز ١٩٥٩.

(٢) سعد جمعة في كتابه « المؤامرة ومعركة المصير » ص ١٤١-١٤٢.

يؤكد ذلك ما قاله المؤرخ الرسمي لسيرة بن غوريون [١] :

« كان بن غوريون يعلم ، تمام العلم ، فهو نفسه روسي الأصل والمولد واللغة ، بأن معونة السوفيات للدولة اليهودية الجديدة ، كانت مستندة إلى قناعة موسكو بأن معونتها هذه هي بمثابة استثمار سياسي لمستقبل يتمكن فيه السوفيات من استعمال الدولة اليهودية كقاعدة أو جسر يرابط فيه السوفيات ، ليضمنوا لأنفسهم نفوذاً في الشرق العربي ، سواء نجح السوفيات في بلشفة العالم العربي أم فشلوا .. »

وفي بيروت ، اكتشف عام ١٩٦٧ ، أن عدداً من الشبان اليهود يعملون على تدريس الماركسية ، تحت ستار العمل الطالبي ، في جمعية تدعى F.F.E. يترأسها اليهود [٢] .

٤

حقاً ، يكاد أنصاف المتعلمين ، في العالم العربي والاسلامي ، ينسون أن المؤسسين والقادة الرئيسيين الأول للحركة الشيوعية في العالم ، كانوا يهوداً . وبغض النظر عن كارل ماركس نفسه ، فقد عاش الحزب الشيوعي الروسي والكومنترن ردحاً طويلاً من الزمن ، تحت تأثير ليفي برونشتاين الملقب بتروتسكي ، وليفي روزنفلد الملقب بكامنيف ، وغريغوري ابفلبنوم الملقب بزينوفييف ، وكارل زوبلزن الملقب براديك . أما الحزب الشيوعي الألماني فكان زعيماه اليهوديان روزا لوكسمبرغ وبول ليفي على الأخص . وتزعمت

---

(١) ب. ليتفينوف في كتابه « بن غوريون اسرائيل » .
(٢) ص ٩٧ من كتاب « جماهير وكوارث » لهنري حاماتي .

الحزب الشيوعي الروماني آنا رابنزون الملقبة بباوكر . وتزعم الحزب الشيوعي الهنغاري بيلاكون . كما كان رودولف سالزمان الملقب بسلانسكي زعيماً للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ..

وقبل قيام الثورة الحمراء في روسيا بأكثر من عام ، وبدءاً من عام ١٩١٦ بالضبط ، لوحظ أن كبار الرأسماليين اليهود في العالم أجمع ، أخذوا يتسابقون إلى بذل المعونات المالية المباشرة لإنجاح وتعميم الحركة الماركسية في أنحاء أوروبا ، لا سيما في روسيا القيصرية .. حتى بلغت قيمة هذه المعونات أكثر من عشرين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية ، دفعت بواسطة المصارف اليهودية التالية :

١ – مؤسسة « يعقوب شيف » الاميركية .

٢ – مؤسسة « كوهين ولين » الاميركية .

٣ – مؤسسة « أوتو كوهين » الالمانية .

٤ – مؤسسة « نقليات العمل اليهودية » الالمانية في وستفاليا.

٥ – « بنك واربورغ » السويدي [١] .

كما لاحظ بعض المطلعين انه خلال العقدين الثاني والثالث من هذا القرن ، بدأ يهود روسيا الصهاينة ، الذين تربطهم بزعماء ثورة اكتوبر ١٩١٧ البلشفية صداقات متينة ، يهاجرون إلى الولايات المتحدة الاميركية في نطاق مخطط مدروس للسيطرة على وسائل الاعلام الاميركية كافة ، فبلغوا اليوم من النجاح في تحقيق مخططهم ما يرغم

---

(١) مجلة « فرنسا القديمة » مجلد عام ١٩٢٠ العدد ١٦٠ ، عن « موسكو واسرائيل » للدكتور عمر حليق .

المرء على الدهشة والذهول .

فمحطات التلفزيون الوطنية الثلاث الكبرى في الولايات المتحدة الاميركية يحتكرها يهود روس اليوم ، بالاضافة إلى سيطرتهم الكاملة على ثلاث من كبريات الصحف الاميركية :

رئيس مؤسسة .N.B.S هو روبرت سارنوف Robert Sarnoff أصله يهودي روسي .

مدير .C.B.S هو وليام بالنسكي William Palinsky أصله يهودي روسي .

رئيس مجلس إدارة .A.B.C هو ليونارد جولنسون Leonard Golenson وهو يهودي روسي أيضاً .

جريدة « نيويورك تايمز » يملكها سلزبيرجر Sulzberger وهو يهودي روسي .

جريدة « واشنطن بوست » ، تملكها عائلة ايوجين مير Eugen Meyer وهو يهودي روسي .

جريدة «نيويورك بوست» تملكها دوروثي سكف Darthy Schiff وهي يهودية روسية [1] .

---

(١) « المؤامرة ومعركة المصير » لسعد جمعة ص ٤٢-٤٣ .

الفصل الثالث

« هل تظنون ان ازدياد التبادل السياحي والثقافي والعمالي بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ، هو مجرد لعبة أطفال ؟.. انه جزء من سياسة متقنة تخدم مصلحتنا ومصلحة السوفيات ، ومصلحة التصفية للمسألة العربية المعـــادية لاسرائيل . ان سياسة اسرائيل الرسمية تفرض عليها اتخاذ الموقف الغامض الذي تتخذه الآن بالنسبة للاتحـاد السوفياتي . وموسكو تعلم ، علم اليقين ، اسباب هذا الموقف وتقدره ، وان اضطرت ، بين حين وآخر ، ان تظهر لوناً من التصريح المنتقد لسياسة آسرائيـــل لترضية العرب . وطالما ان العرب منساقون في بطانـة السوفيات ، فنحن مطمئنون الى ذلك ، ففيه نفع عظيم لنا ولسلامة اسرائيل .. انا مع كل الوسائل لتعزيز العلائق السوفياتية - الاسرائيلية من غير ضجيج ، يثير مخاوف العرب ، ويعرّض مواقف زعماء الاشتراكية العربية المتعاونين مع الاتحاد السوفياتي ، الى نقمة العصبية العربية الرجعية والدينية .. »

ايغال آلون

نائب رئيس الوزارة الاسرائيلية

عن جريدة « كول هاعام » الاسرائيلية في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٤

رغم كل شيء ، فليس في استطاعة كل إمكانات الاتحاد السوفياتي بأحزابه الشيوعية وغلمانه المعروفين وغير المعروفين وأساطيله البحرية والجوية في العالم العربي ، أن يبني لأية جمعية لـ « الصداقة السوفياتية — العربية » في أي بلد عربي ، مائتي ألف عضو ، كما هو عدد أعضاء جمعية الصداقة السوفياتية — الاسرائيلية اليوم .

بل لا يستطيع كل هذا الزبد الماركسي والزحف السوفياتي الطافيان على سطح العالم العربي أن يفتتحا ٢٥ فرعاً لجمعيات « الصداقة السوفياتية — العربية » في طول الأرض العربية وعرضها [١] .

فبن غوريون ، ذلك الداهية، الروسي الأصل والمولد واللغة ، ليس على هذا القدر من السذاجة الذي يفرض عليه الصمت المطبق حيال كل ذلك التسلل والنفوذ السوفياتيين — اللذان يغرقان اليوم، وبعد الخامس من حزيران بالذات ، العالم العربي — إذا كان فيهما أي خطر ، ولو ضئيل ، على وجود اسرائيل . إذ أنه « كان يعلم ، تمام العلم ، بأن معونة السوفيات للدولة الصهيونية الجديدة ، كانت مستندة إلى قناعة موسكو بأن معونتها هذه ، هي بمثابة استثمار سياسي لمستقبل يتمكن فيه السوفيات من استعمال الدولة اليهودية كقاعدة أو جسر يرابط فيه السوفيات ، ليضمنوا لأنفسهم نفوذاً في الشرق العربي ، سواء نجحوا في بلشفة العالم العربي أم فشلوا .. » [٢] .

ما كان بن غوريون بالطبع ، وليس هو الآن ، ساحراً ولا عالماً

---

(١) ذكرت « كول هاعام » في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٤ ، أن عدد أعضاء جمعية الصداقة السوفياتية - الاسرائيلية بلغ مائتي ألف عضو في ٢٥ فرعاً للجمعية في جميع أنحاء اسرائيل .

(٢) المؤرخ الرسمي لسيرة بن غوريون ب. ليتفينوف في كتابه «بن غوريون اسرائيل» .

بالغيب ليتوقع سعي السوفيات إلى بلشفة العالم العربي ، لا سيما وأنه قد عهد عن الحكم السوفياتي ، منذ وجـد ، حفاظه الكلي على سرية مخططاته ، حتى التافـه منها ، فكيف عرف بن غوريون ، إذن ، بالمخطط السوفيـاتي لبلشفة العـالم العربي ، إذا لم يكن « حكماء بروتوكولاته » الأقدمين والمحدثين قد اشتركوا في وضع هذا المخطط ، سواء في مرحلته الأولى، أو في مرحلة محادثات لينين ووايزمن في زوريخ، أو في المراحل التي تلتها ؟..

ان بن غوريون لم ينكر ، مثلاً ، دور ستالين الأعظم في خلـق اسرائيل ، فاعترف بأن رئيس الدولة السوفياتية كان الوحيـد بين رؤساء الدول الكبرى الذي أصر عام ١٩٤٧ على خلق دولة اسرائيل في فلسطين ، حيث كانت الدولة المنتدبة ، بريطانيا ، تعارض هذا الاتجاه . فقد « كان هذا الحزب - أي حزب العمال البريطاني - ، كما هو معروف ، محبذاً لقيام دولة يهودية . وفي أواخر عام ١٩٤٤ اتخذ قراراً بإنشاء هذه الدولة على جانبي نهر الأردن فور انتهاء الحرب ، وبنقل جميع عرب فلسطين إلى الدول العربية التي ستحظى هي الأخرى بالاستقلال التام. وهذا الطلب لنقل السكان العرب الفلسطينيين، لم تأت الحركة الصهيونية على ذكره قط . بيد أن ما حدث بعد انتهاء الحرب معروف ، إذ رفض بيفن واتلي (وزير خارجيـة ورئيس وزراء بريطانيـا) وضع قرار حزبهما موضع التنفيذ ، وأحـالا المشكلة الفلسطينية إلى منظمة الأمم المتحدة . وفي أيار ١٩٤٧ ناقشت المنظمة الدولية هـذه المشكلة ، وفوجئت الجمعية العمومية للأمم المتحدة بمقترحات غروميكو ، ممثل الاتحـاد السوفياتي ، الذي طالب بخلق دولة يهودية في فلسطين باعتبار أن للشعب اليهودي الحق في أن يكون

له وطن في بلاده التاريخية ...»[1].

وينبه أحد كبار المؤرخين اليهود المعاصرين إلى أنــه «يجب ألا يغرب عن البال أن ستالين كان أول من أيد اسرائيل، وأن الاسرائيليين حاربوا خلال عامي ١٩٤٧–١٩٤٨، بفضل الأعتدة التشيكوسلوفاكية التي زوّدوا بها، بنــاء على أوامر ستالين بالذات، وكان المندوب السوفياتي في الأمم المتحدة أول من اعترف باسرائيل»[2].

وابان حرب ١٩٤٨، أوفد بن غوريون، بصورة سرية، رئيس الحزب الشيوعي الاسرائيلي آنئذ المدعو صاموئيـل ميكونس، إلى الاتحاد السوفياتي، حاملاً إلى الرئيس السوفياتي رسالة خاصة من بن غوريون، تضمنت وجهة النظر اليهودية العالمية في مستقبل التعاون بين اليسار الاسرائيلي واليسار السوفياتي، ولفت بن غوريون، في رسالته، نظر الرئيس السوفياتي إلى أن التأييد السوفياتي للدولة اليهودية سيجعل من الصعب على اليهود في العـــالم العربي الاستمرار في تمويل وتنظيم الحركات اليسارية والثورية في بلاد العرب. وأكد رئيس الوزارة الاسرائيلية – السابق – بأن اسرائيل تقدر أي نوع من الوسائـــل والمساعي التي تسلك القيادة السوفياتية سبيلها لنشر المبادىء الماركسية في العالم العربي، دون الاعتماد كلياً على يهود الشرق الأوسط، الذين قاموا بدورهم الأساسي في زرع وتأسيس التنظيمات الماركسية في أكثر من بلد عربي[3].

---

(١) من رسالة بن غوريون إلى الرئيس ديغول بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٦٧، بعد تصريحات الأخير بمؤتمره الصحافي المشهور عن اسرائيل واليهود.

(٢) اسحق دويتشر في حديث لمجلتي «الأزمنة الحديثة» و «نيولفت ريفيو»، بعيد هزيمة حزيران.

(٣) مجلة Sionist Review عدد ١١ أيار ١٩٥١، عن «موسكو واسرائيل» للدكتور عمر حليق.

ولا عجب من نصائح تل أبيب للقيادة السوفياتية العليا في موسكو، فقد كان موقف ستالين في مؤتمر يالطا مستوحى، كما سيلاحظ القارىء، من نصائح، بل أوامر، يهودية سابقة، لا نعلم عنها شيئاً.

ففي هذا المؤتمر، طلب ستالين مضاعفة التعويضات التي سيفرضها «المنتصرون» في الحرب العالمية الثانية على المانيا المهزومة لليهود. وقال ستالين، ان قيمة التعويضات الالمانية ستنفق في سبيل إنشاء مستعمرات في فلسطين لثلاثة ملايين يهودي سيهاجرون من الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية.

ورغم مواقف تشرشل المعروفة بتأييده لليهود، فقد اعترض الزعيم البريطاني على طلب ستالين، منبها إياه إلى أن رقعة الأرض الفلسطينية الخصبة أضيق من أن تستوعب ملايين اليهود. وأوضح تشرشل لستالين بأن رفع جميع القيود عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، سيكون من شأنه أن يفجر موجات عنيفة من الاضطرابات في العالم العربي، تكون تمهيداً لصراع دموي طويل بين العرب واليهود في منطقة حساسة من العالم، لا تستطيع بريطانيا وحدها وبدون إسهام دولي جماعي، أن تحل مشاكلها المعقدة.

لكن ستالين أصر على وجوب العمل برأيه، ثم ابتسم لتشرشل مطمئنا إياه بقوله، ان مشاكل الأقليات في الشرق لا يمكن حلها إلا بتعميم المبادىء الاشتراكية الكفيلة بالقضاء على الحركات القومية، «التي اقتلعنا جذورها من الاتحاد السوفياتي، وأنقذناه من بلاياها ومشاكلها»[1].

(١) جون سوريل في كتابه «من يالطا إلى بوتسدام» الذي صدر في فرانسيسكو عام ١٩٤٧.

قال بن غوريون ، بعد حرب حزيران المزعومة ومبادرة موسكو إلى قطع علاقاتها بتل أبيب : ان الاتحاد السوفياتي يحترم اسرائيل ، ولكنه لأسباب معينة ، يريد أن يصادق أعداءنا. انه يعتقد انه بحاجة إلى العرب »[١].

وقال موشى دايان: انه« إذا أصبح لدى العرب قوات أكبر وأسلحة أكثر ، سيصبح عندنا نحن أيضاً قوات أكبر وأسلحـة أكثر . ومهما علمهم الروس على استخدام أسلحتهم ، فإنهم لن يستطيعوا تعليمهم كيف يقاتلون ..»

وأضاف دايان قائلاً : « باستطاعة الروس أن يحسنوا مقدرتهم على القتال ، ولكن ليس إلى الحد الذي يستطيعون معه مجابهتنا »[٢].

وفي تصريح آخر لدايان ، قال : « انني سعيد لأن الاتحاد السوفياتي لم يدفع العرب إلى حرب جديدة . ولقد مرت فترة تزيد عن العام لم يتدخل خلالها الروس في تطورات المنطقة بصورة فعلية ، كما لم يدفعوا العرب إلى استئناف القتال . وهذا ما يدعو إلى السرور ، لأن العرب لن يخوضوا الحرب دون موافقة الاتحاد السوفياتي »[٣] .

لماذا يحترم الاتحاد السوفياتي اسرائيل ، كما قـال بن غوريون ، وهل هـذه « الأسباب المعينة » التي تفرض عليه مصادقـة العرب والاعتقاد بأنه بحاجة إليهم ، هي نفسها تلك الأسباب الاشتراكية التي شرحها بن غوريون في رسالته إلى ستالين أيام حرب ١٩٤٨ ؟..

(١) من تصريح له في لندن ، عن « الحياة » اللبنانية ٦٧٦٩ بتاريخ ٤ أيار ١٩٦٨.
(٢) عن « الصنداي تايمز » ١٠ أيلول ١٩٦٧ .
(٣) عن « اهارونوف » الاسرائيلية ١٦ آب ١٩٦٨ .

أكد بن غوريون أكثر من مرة بأن معظم الأسلحة الثقيلة التي تلقتها اسرائيل قبل وابان وخلال حرب ١٩٤٨ ، بما فيهـا الطائرات المقاتلة والدبابات والمدافع ، جاءت من تشيكوسلوفاكيا ، بنـــاء على أوامر ستالين بالذات [١] .

بل ان موسكو أوفدت عدداً من كبار ضباطها وخبرائها العسكريين الى فلسطين وبعض بلدان اوروبا الشرقية ، لتدريب أفراد المنظمات الارهابية اليهودية ووحدات الجيش اليهودي قبيل حرب ١٩٤٨ . وكانت الطائرات السوفياتية تقوم بنقل الوحدات اليهودية العسكرية المدربة من اوروبا الشرقية الى القطاع الذي كان قد احتله اليهود في ذلك الحين من فلسطين [٢] .

وقد أثنى المؤرخ الرسمي للجيش اليهودي [٣] على حماسة السوفيات المنقطعة النظير للاسراع في تزويد عصابات الهاجاناه والمالباخ وشترن الارهابية بالسلاح ، مؤكداً أنه لولا مساعدة الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشيوعيـة للمنظمات اليهودية المذكورة عــام ١٩٤٨ بالسلاح والعتاد والرجال المدربين على القتــال من نوع حرب العصابات ، لكان من المشكوك فيه أن ينجح اليهود « في تنظيف الدولة اليهودية الجديدة من العرب .. » !!..

يؤكد كاتب يهودي آخر بأن حماسة الاتحاد السوفياتي لمعونـــة اليهود في مدهم بالسلاح والعتاد والرجال – برغم الحظر على توريـد

---

(١) عن مقالته في « معاريف » الاسرائيلية في العدد الخاص بالذكرى العشرين لقيام اسرائيل ، عن « التايمز » ٥٧٢٢٢ ، ٩ نيسان ١٩٦٨ .

(٢) « نيويورك تايمز » ٢٦ كانون الأول ١٩٤٨ ، عن موفدها إلى اوروبا الشرقية الذي أحصى ٦٠٠ مدرب سوفياتي للوحدات اليهودية هناك .

(٣) الكولونيل فوسته برلمان في كتابه « The Army of Israel » .

الأسلحة إلى الشرق الأوسط الذي فرضته وقتذاك الأمم المتحدة – جعلته يتجاهل فرض أي شروط أو قيود مادية أو سياسية على القيادة اليهودية ، فبادر إلى نقل السلاح بطائراته الحربية الخاصة من أوروبا الشرقية إلى مطار « عفير » ، الذي يقع في قطاع من النقب ، كان اليهود قد احتلوه[1] .

بعد كل هذا ، ألا تستوجب اللباقة والاعتراف بالجميل ، أن يعلن بن غوريون بأن « الاتحاد السوفياتي يحترم اسرائيل » ؟..

ألم يكن قرار التقسيم في الأمم المتحدة يحتاج إلى صوت واحد فقط ليسقط ، بينما كان عدد الأصوات التي استهلكها الاتحـــاد السوفياتي والدول الشيوعية ثماني أصوات ، لصالح قرار تقسيم فلسطين ؟..

ثم ، لماذا لا نستعرض بالتسلسل الزمني ، وبشيء من التفصيـل ، مواقف الاتحـــاد السوفياتي ودول كتلته الشيوعية في منظمة الأمم المتحدة ، سواء خلال اجتماعات الجمعية العمومية أم في جلسات مجلس الأمن ، عسانا نتعرف على الطريق التي سلكها الاتحـاد السوفياتي إلى احترام اسرائيل ، إذا كان موقفه منها ، منذ خمسين عاماً حتى اليوم ، هو الاحترام فقط .. لا أكثر ؟..

غروميكو : طلب استقلال فلسطين العربي تجاهـــل لحقـوق اليهود

ففي جلسة الجمعية العمومية يوم ٩ نيسان ١٩٤٧ ، وقف اندريه غروميكو ، المندوب السوفيـاتي في الأمم المتحدة آنذاك ، ووزير الخارجية السوفياتية اليوم ، يقول بالحرف :

---

(١) جون كيمشي في كتابه « Seven Fallen Pillars » .

« هناك شعب يهودي في فلسطين يجب مراعاة شعوره وإسماع صوته في منظمة الأمم المتحدة ، التي لا يستطيع أحد أن يرغمها على اتخاذ قرار يؤيد مطلب العرب ، المتمثل بإعلان استقلال الشعب الفلسطيني .

ان الطلب العربي حين يستهدف إنهاء الانتداب البريطاني وإعلان استقلال فلسطين ، إنما يتجاهل تجاهلاً كلياً حاجتنا الملحة لمعرفة رأي من هم أبرز وأهم طرف في المسألة الفلسطينية ، ألا وهم اليهود الذين حدد لهم الانتداب مميزات خاصة . لذلك ، فإننا لا نقبل طلب العرب ، ونلح على اللجنة إلحاحاً شديداً ، بأن تقوم بأسرع وقت ممكن بالسماح لممثل اليهود بالمثول أمام هذه الجمعية العمومية للأمم المتحدة » .

تشيكوسلوفاكيا : نريد سماع رأي اليهود

وقال مندوب تشيكوسلوفاكيا في الجلسة نفسها :

« لقد تجاوز بعض الأعضاء – يقصد العرب – حدودهم في النقاش ، فراحوا يبحثون صلب الموضوع – أي استقلال فلسطين – . كلنا يعرف أن الوضع في فلسطين الآن وضع دقيق ، ونحن نريد أن نسهم في إصلاحه . لقد سمعنا ما يكفي من وجهة النظر العربية ، فمن الضروري الآن إحضار اليهود لسماع وجهة نظرهم .

إن الدول العربية تسألنا أن نجد للمشكلة حلولاً . نحن على استعداد لأن نسمع منها ، لكننا لسنا على استعداد للموافقة على ما تشاء . في نقاش أمس علق المندوب الاميركي موافقاً على رأي لبنان والعراق ، بضرورة مراعاة الناحية العملية في حراجة الوضع . هذا الكلام هراء ،

فنحن نريد الحقائق من فم الطرف المعني بالأمر مباشرة –أي اليهود– .
اننا نرفض الموافقة على الطلب العربي »[1] .

غروميكو : مصالح يهود العالم قبل البحث في استقلال فلسطين

وفي جلسة الثاني من أيار ١٩٤٧ للجنة التوجيهية التابعة للأمم المتحدة ، قال غروميكو :

« لقد سمعنا مندوبي الدول العربية منذ البدء يعرضون وجهة نظرهم على أتم وجه . لكننا لم نستمع إلى مندوبي الهيئات اليهودية . ويجب علينا أن نستذكر أن قضية فلسطين ليست إلا قضية وعود أعطيت لليهود . لذلك فلا سبيل إلى بحث هذه القضية بغير مراعاة مصالح اليهود وقلقهم . وليس من العدل أن نتجاهل تلك المصالح اليهودية ، ليس فقط بالنسبة لليهود في فلسطين ، ولكن لليهود في كل مكان .

لقد عارض البعض في دعوة ممثلين عن الهيئات اليهودية للمشاركة في أعمال الأمم المتحدة ، واستند ذلك البعض في معارضته إلى أن مثل هذه الدعوة مخالفة لميثاق الأمم المتحدة ، إلا أن هذه المعارضة غير مقبولة لدينا .

اننا مقتنعون بأن ليس في ميثاق الأمم المتحدة ما يتعارض مع دعوة الهيئات اليهودية للحضور أمام الجمعية العمومية ، بكامل هيئتها ، وليس في الميثاق ما يحول بيننا وبين الإصرار على هذه الدعوة . فليس من المهم أن يوجد أو لا يوجد نص في الميثاق ، يبرر لنا دعوة الوكالة اليهودية . ان طبيعة المسألة الفلسطينية تحتم علينا إعطاء اليهود دوراً

---

(١) من المحاضر الرسمية لجلسات الأمم المتحدة ، المجلد الثاني ، عن «موسكو واسرائيل» .

أصيلاً في أعمال الأمم المتحدة . ان عمر الأمم المتحدة قصير لم يتجاوز عاماً أو بعض العـام ، فلنخلق أسبقية لأعمال الأمم المتحدة ، إذا لم يكن في الميثاق نص صريح لدعوة الهيئات اليهودية. لقد عارض بعض مندوبي الدول هنا بأن إعطاء الهيئـات مثل هذه الميزة الاستثنائية ، سيكون ضاراً بسمعة الأمم المتحدة ومبادئها .. أنا لا أوافق على هذا الرأي . ان توجيه الدعوة إلى ممثلي الهيئـات اليهودية للمشاركة في أعمال الجمعية العمومية ، هو في رأينا عمل مجيد يكسب الأمم المتحدة سمعة طيبة .

وأنا لا أريد أن يكون حضور الهيئات اليهودية مقصوراً على اللجنة السياسية ، بل أريد، أن يكون شاملاً للجمعية العمومية بكامل هيئتها. ان قضية فلسطين هي قضية الشعب اليهودي ، فلا بد من توفير كل كل الفرص وأسماها لممثلي اليهود للمشاركة في أعمال الجمعية العمومية ، وهي أعلى هيئة في الأمم المتحدة ، لا في أعمال اللجنة السياسية الفرعية فقط ، كما يريد البعض... ان الوكالة اليهودية هي الممثل الحقيقي للشعب اليهودي في فلسطين ، فيجب توفير أحسن الفرص لها في الأمم المتحدة. وإذا كان هناك هيئات يهودية أخرى تريد المشاركة في أعمالنا، فسننظر إليها بعين الاعتبار »(١).

بولندا : نصرّ على اشراك الوكالة اليهودية في أعمال الأمم المتحدة

وأيد مندوب بولندا في نفس الجلسة رأي سيده غروميكو ، حينما قال :

(١) عن محاضر جلسات الأمم المتحدة ، الجلسة الاستثنائية، المجلد الثاني، ص١٠٨ .

« الذين يتساءلون عن دوافع حماسة بولندا في حرصها على مصلحة الشعب اليهودي في فلسطين ، يجب أن يعلموا أن نصف السكان اليهود في فلسطين يتكلمون اللغة البولندية . والحكومة البولندية تبدي عميق الاهتمام بمصالح الشعب اليهودي في فلسطين . ثم ان هناك المسؤولية الاخلاقية التي في أعناقنا جميعاً لليهود .. وأن حكومتي تعنى ، غاية العناية ، بمصير الشعب اليهودي ومصير اللاجئين اليهود .

اني أود أن ألفت النظر إلى أن الوثيقة البريطانية والوثيقة المصرية – اللتان قدمتا إلى الأمم المتحدة حول مستقبل فلسطين وإعلان استقلالها – والوثائق الأخرى كلها ، تشير إلى أن من حق الوكالة اليهودية أن تكون الممثل للشعب اليهودي في فلسطين ، بقصد المشورة والتعاون مع الإدارة – البريطانية – في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، التي من شأنها أن تؤدي إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وصيانة مصالح الشعب اليهودي في فلسطين .

ان الوكالة اليهودية معترف بها دولياً ، ومعترف بها من قبل محكمة العدل الدولية العليا . ولهذا يصر الوفد البولندي على إشراك الوكالة اليهودية في أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

ان الجمعية العمومية سيدة نفسها ، وتستطيع أن تعدل وتبدل في اللوائح والقوانين ، وان الحكومة البولندية لا تستطيع أن تتصور كيف يمكن تقرير القضية الفلسطينية ، بغير دور الوكالة اليهودية في داخل الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

اننا عازمون على التخفيف من مآسي اليهود ، ولا لزوم مطلقاً للتلكؤ والمماطلة ... اننا نقدر موقف الولايات المتحدة ، وهي بلد له تقاليد ديموقراطية عريقة . ونحن إذا عارضنا مشروع قرارها ، المخالف لمشروع قرارنا ، فإننا لا نتهم الولايات المتحدة بمعاداة اليهود

لأننا مؤمنون بأن قضية اليهود على وجه كامل من العدالة، بحيث لا يوجد إنسان واحد يستطيع معارضتها. والولايات المتحدة دولة ديموقراطية، ولذلك فهي لا تقف في وجه القضية اليهودية » [1] .

غروميكو : نحـــن واليهود
منزعجون من « شوشرة » العرب

ومما قاله غروميكو في جلسة ٣ أيار ١٩٤٧ :

« قضية فلسطين مسألة يجب ألا يكون الاهتمام مقصوراً بهـا على العرب ، بل على الأمم المتحدة كلها . وآمل أن يعتبر كلامي على انـه تأنيب للدول العربيـــة التي تطرقت إلى الحديث عن صلب الموضوع الفلسطيني – أي استقلال فلسطين – من غير أن تراعي شعور الآخرين – أي اليهود – .

ان قضية فلسطين تهم اليهود ... ولا تهمهم فحسب بل تزعجهم ، وتزعجنا نحن السوفيات أيضاً ، كلما علت « شوشرة » العرب.. »

بولندا: لا سلام بين العرب واليهود
إلا بزوال الرجعية العربيـــة

وأضاف مندوب بولندا إلى أقوال غروميكو ، قائلاً :

« ... ان قصدنا الوحيد هو التعبير عن أعمق مشاعرنا نحو اليهود. فاليهود في حاجة إلى كل ألوان العطف والعون ، وعلينا أن نستذكر بأنه ليس هناك خلاف بين العرب واليهود ، وكل ما في الأمر أن السلام والتعايش السلمي سيجعلان من الطرفين أخوة ، حين يزول الاستعمار والرجعية العربية » .

---

(١) عن محاضر جلسات الأمم المتحدة ، المجلد الثاني ، ص ٨٢ .

تشيكوسلوفاكيا : يهود العالم
ينتظرون منا ان ننصرهم

وفي جلسة ٥ أيار ١٩٤٧ ، تكلم مندوب تشيكوسلوفاكيا ، فقال :

« ان يهود العالم ويهود فلسطين سيتأثرون بأي قرار خاطىء نتخذه هنا في الأمم المتحدة. ان الملايين من اليهود قد هلكوا في ظل النازية.. ولقد جرى الوعد لليهود منذ ٢٥ عاماً ببناء وطن قومي لهم في فلسطين. ان اليهود يتطلعون إلينا لننصرهم ، فإذا خذلناهم ، فإننا سنطفىء النور أمامهم ، وإذا خذلناهم ، فإننا سنقضي على شجاعتهم وإرادتهم » .

غروميكو : مستعدون للتفاهم مع الدول
الكبرى لتحديد مستقبل فلسطين

وجاء في خطاب غروميكو في جلسة ٨ أيار ١٩٤٧ ، قوله :

« ... ان الاتحاد السوفياتي لا يريد فقط أن يهيىء الحلول النهائية للقضية الفلسطينية ، بل يريد أيضاً أن يسهم في تنفيذ تلك الحلول . ان أسهل طريقة لتسوية مستقبل فلسطين هو ما تتفق عليه الدول الكبرى ، ذوات المقاعد الدائمة في مجلس الأمن . والاتحاد السوفياتي ، من جهته ، مستعد للتعاون في هذا الموضوع. ليفهم بعضنا فهماً صحيحاً الآن ، فلنا جميعاً مصالح مشتركة في هذا السبيل . »

يوغوسلافيا : هل أصبح الشعب
الفلسطيني أهلاً للاستقلال ؟..

بينما قال المندوب اليوغوسلافي في الجلسة نفسها :

« دعونا نتعاون جميعاً في خدمـة الشعب اليهودي . لقد عانى من العذاب ما فيه الكفاية ، وآن له ، ولنا ، أن يستقر به المطاف..»[1].

وشكك المندوب اليوغوسلافي أمام اللجنة السياسية بأهلية سكان فلسطين لنيل الاستقلال ، فقال في جلسة العاشر من أيار ١٩٤٧ :

« مما لا شك فيه أن بريطانيا ، الدولة المنتدبة على فلسطين ، قـد قامت بأعمال عظيمة في ميدان التنمية للبلد . وهـا أنا أقتبس الأرقام التالية من مجلة « سبكتاتور » البريطانية ، التي تقول ان بريطانيا قد أنفقت ٧٠٠ ألف جنيه على التعليم في فلسطين ، و٥٥٠ ألف جنيه على الصحة العامة ، وأربعة ملايين و٦٠٠ ألف جنيه لصيانة الأمن .

ان الوفد اليوغوسلافي شديد الإعجاب بهذا السخاء والجهـد البريطانيين، اللذان استهدفا صالح أهل فلسطين.لذلك فإن علينا هنا ، في الأمم المتحدة ، أن نعين دولة الانتداب ، بريطانيا ، على إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية، والتأكد مما إذا كان أهل فلسطين قد بلغوا النضج الكافي ، الذي يسمح لهـم بتحمل مسؤوليات الاستقلال ، أو الحكم الذاتي . فمسألة منح الاستقلال لفلسطين ، تحتاج إلى دراسة دقيقة . وان الوفد اليوغوسلافي ليأسف، لأن الأمم المتحدة لم تراع هذه الناحية المهمة ، ناحية التدقيق فيما إذا كان شعب فلسطين أهلاً للاستقلال . هذا الأمر يحتاج إلى دراسة ، وأول مستلزمات هذه الدراسة ، هو التعرف على مقدرة أهل فلسطين في الحفاظ على الأمن بأنفسهم .

.. من المستحيل فصـل مشكلة فلسطين عن مصـير الشعب اليهودي ..»[2] .

---

(١) من محاضر الجلسات الرسمية للأمم المتحدة ، المجلد الثالث ، ص ١٤٨ .

(٢) من محاضر الجلسات الرسمية للجنة السياسية ، ص ٢٠٩ وما بعد .

بولندا : يجب مساعدة اليهود على بناء وطن قومي لهم في فلسطين

وفي الجلسة الاستثنائية للجنة السياسية يوم ١٢ أيار ١٩٤٧ ، أعاد المندوب البولندي إلى الأذهان تصريحاً لرئيس وزراء بلاده ، أكد فيه على ضرورة العمل على مساعدة اليهود لبناء وطن قومي لهم في فلسطين « لأن أغلبية اليهود المشردين يريدون الهجرة إلى فلسطين » ، فقال :

« لقد صرح رئيس الوزارة البولندية في ٢٦ نيسان ١٩٤٦ ، أمام مجلس الأمة البولندية بالمشاعر العميقة التالية نحو الشعب اليهودي :

نظراً للمأساة الكبرى التي عاناها الشعب اليهودي — أي على يد النازية — ، فإن علينا جميعاً أن نأخذ بيد اليهود ونعينهم على تحقيق ما يصبون إليه من آمال في الوطن القومي في فلسطين . إن بين الشعب البولندي والشعب اليهودي روابط وثيقة ، ونحن لا يمكن أن ننسى ما حاق باليهود ، ونكن لهم العطف والود والاستعداد للعون . كما اننا نفهم ، أدق الفهم ، آمالهم ، مع حرصنا على المساعدة لتحقيقها . ورغم اننا مدركون بأن ربط اليهود الأوروبيين بالمصير الفلسطيني ، سيخلق مشاكل عويصة في صلب المشكلة الفلسطينية ، إلا أنه ، مع الأسف ، من المستحيل أن نفصل بين المشكلتين ، لأن أغلبية اليهود المشردين يريدون الهجرة إلى فلسطين . »[1].

غروميكو : باسم الشعب اليهودي نطالب بوطن قومي يهودي في فلسطين

وفي جلسة اللجنة السياسية يوم ١٤ أيار ١٩٤٧ — بعدما أنهت

(١) المصدر السابق ، ص ٧٤٣ وما بعد .

اجتماعاتها باتخاذ قرار يقضي بتشكيل لجنـــة دولية لدراسة القضية الفلسطينية – طالب وزير الخارجية السوفياتية الحالي، الامم المتحدة، « باسم الشعب اليهودي » ، بمراعاة آمال الشعب اليهودي والعمل على تحقيقها ، فقال :

« إن نظام الانتداب البريطاني على فلسطين ليس فيه نفع للعرب أو لليهود ، فهو لا يحقق مصالح الطرفين . ان العرب واليهود معاً ، يطالبون بإنهاء الانتداب البريطاني ، وكلاهما متفق عليه .

ولكن علينا ، وعلى لجنة التحقيق الدولية ، أن نستذكر بأن أغلبية الشعب اليهودي في العالم ، مرتبطة ، ارتباطاً وثيقاً ، بالقضية الفلسطينية ، وبمستقبلها ، ومستقبل الحكم في فلسطين . وهذا الارتباط أمر معقول ، نحن نفهم أسبابه ومقاصدة ، ونقرها ونؤيدها . فقد أصيبت الأمـة اليهودية بنكبات وآلام يعجز اللسان عن وصفها . لذلك ، فإننا نسأل الامم المتحدة ، باسم الشعب اليهودي المشرد ، بأن تراعي آماله وتحققها ، فتوجد له وطناً وتقرر له حقوقاً . ومن المنكر أن نمنع عن الأمة اليهودية هذا الحق .

... في دوائر الأمم المتحدة آراء مختلفة حول مستقبل فلسطين :

١ – انشاء دولة عربية – يهودية مشتركة .

٢ – تقسيم فلسطين بين العرب واليهود .

٣ – تحويل فلسطين الى دولة عربية ، بدون مراعـــاة لشعور ومصالح الشعب اليهودي .

لن أدخـل في صلب الموضوع ، وأحدد موقفنـا من هذه الآراء الخاصة بمستقبل فلسطين . فسيأتي مجال ذلك للوفد السوفياتي ، ليبدي رأيه . لكني أود الآن أن أدلي ببعض النقاط الجوهرية : أولاً ، وجود شعبين في فلسطين ، العرب واليهود ، فلا يجوز ، وكلاهمـــا له جذور

تاريخية في فلسطين ، إعطاء فلسطين لطرف واحد ، كما يطالب البعض هنا . إن الاتحاد السوفياتي يرى أن أفضل الحلول ، هو إعطاء اليهود والعرب معاً ، حقوقاً متساوية في دولة واحدة ، يحكمها الطرفان حكماً مزدوجاً . وهذا الحل له أنصاره في فلسطين نفسها . وإذا تعذر نجاح الحكم المزدوج العربي – اليهودي ، فإننا قد نجد الحل في تقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية . وعلى لجنة التحقيق الدولية أن تدرس هذين الاحتمالين لمستقبل فلسطين . » (١)

وعاد غروميكو في جلسة اللجنة السياسية يوم ٨ تشرين الأول ١٩٤٧ ، إلى المطالبة بانتهاج ما أسماه بسبيل العدالة لضمان حق إقامة دولة يهودية في فلسطين ، فقال :

« لليهود الحق الشرعي في فلسطين . ومن العدل أن نساعدهم على ضمان هذا الحق ، ليستقروا ويقيموا لهم دولة في هذه المنطقة . وعلى العرب أن يكفوا عن إثارة الضجيج ، والاستمرار في إلقاء الخطابات وسرد الحجج التاريخية والانتقادات . »

يوغوسلافيا : سيستفيد العرب من المام اليهود بالاشتراكية

ولاحظ مندوب يوغوسلافيا بأن المام اليهود بالاشتراكية سيفيد العرب ، فقال في الجلسة نفسها :

« ندعو إلى قبول قرار تقسيم فلسطين ، التي هي وطن لليهود والعرب . وسيستفيد العرب من المام اليهود بالأنظمة الاشتراكية

(١) من المحاضر الرسمية للمناقشات من ص ١٠٦ إلى ١٣٥ ، المجلد الأول .

والديموقراطية ، التي يفتقرون إليها . وعلى العرب أن يقدروا تضحيات اليهود ، ويكفوا عن العناد الذي لا جدوى منه . »

بولندا : اسمحوا بهجرة ربع مليون يهودي لفلسطين قبل تنفيذ التقسيم

أما مندوب بولندا ، فقد سار على منوال رفيقه اليوغوسلافي ، حيث راح يشرح الفوائد التي سيجنيها العرب من وجود الدولة اليهودية ، فقال :

« لقد استعمل المندوبون العرب كل الحجج ، ولجأوا إلى التهديدات . هذه محاولة لا نفع منها ... إن حكومة بولندا كثيرة الاهتمام بتطور الأوضاع الديموقراطية والاشتراكية للجماهير العربية التي تريد أن تتحرر من امتيازات البترول الاستغلالية . ولكن الوفد البولندي قد أعطى وعوداً أكيدة ، مستمدة من وجدانه وقناعته وسياسة حكومته ، حول ضرورة ضمان وطن قومي لليهود ، لهم عليه سيادة لا ينازعهم عليها أحد .

... إننا نطالب الأمم المتحدة فوراً ، طالما أنها ستتولى السلطان على فلسطين خلال فترة الانتقال ، أن تعمل بلا تردد وبطء لإدخال ربع مليون مهاجر يهودي إلى فلسطين فوراً ، وقبل تنفيذ مشروع التقسيم . اننا نسأل الحكومة البريطانية ونلح عليها ، ونطلب من الامم المتحدة أيضاً ، أن تلزم بريطانيا بأن لا تسحب قواتها العسكرية من فلسطين خلال فترة الانتقال ، إلا بعد أن يتم وصول المهاجرين اليهود الجدد إلى فلسطين .. فسحب القوات العسكرية البريطانية ، يجب أن يكون تدريجياً ، ومتناسباً مع وصول أفواج المهاجرين اليهود الجدد .

.. إن وجود دولة يهودية في فلسطين ، سيساعد على تطور

الحركات الديموقراطية والاشتراكية وأنظمتها في جميع أنحاء الشرق الاوسط . فالدول العربية ستستفيد ، ولا تتضرر ، من وجود الدولة اليهودية ، لأنها – أي الدولة اليهودية – ستكون طليعة التطور الديموقراطي الاشتراكي في الدول العربية نفسها » .[1]

تشيكوسلوفاكيا : اليهود بحاجة الى حضانتنا لا العرب

وكان لمندوب تشيكوسلوفاكيا وجهة نظر أخرى ، إذ أكد بأن اليهود هم الذين بحاجة إلى عون الدول الشيوعية وحضانتها، لا العرب، فقال في الجلسة ذاتها :

« ليس هناك حاجة لنا ولا للأمم المتحدة لسماع شكوى ما حدث للعرب خلال الثلاثين عاماً – يقصد منذ وعد بلفور – . فمصائب اليهود تشغلنا وتستأثر بعقولنا ومشاعرنا. إن موقف الدول العربية هنا في الامم المتحدة موقف عناد لا مبرر له ... إن اليهود هم الذين بحاجة إلى عوننا وحضانتنا ، لا العرب »[2].

الاتحاد السوفياتي : من حق اليهود فرض سيادتهم على وطن لهم في فلسطين

وقال سيمون تسارابكين، المندوب السوفياتي أمام اللجنة السياسية المؤقتة في جلسة ١٣ تشرين الأول ١٩٤٧ :

« ان الحجج القانونية والتاريخية التي يقدمها العرب ، ليست الآن بذات شأن ، فأهميتها القانونية قديمة جداً ، بعد أن أقرت

---

(١) من ملخص محاضر جلسات اللجنة السياسية ص ٤٢ .

(٢) عن المصدر السابق ، ص ٤٥ .

الأمم المتحدة قرار التقسيم. وليس للاتحاد السوفياتي رغبة في الدخول في جدل بيزنطي مع العرب. فيكفي أن نعلم أن اليهود عانوا ويعانون الاضطهاد. وفي طليعة مسؤولياتنا هنا، في الأمم المتحدة، أن نضمن لليهود وطناً خاصاً بهم. ومن الظلم ألا نساعدهم على ضمان مثل هذا الوطن. ومن الحق الشرعي الكامل لليهود أن يفرضوا سيادتهم على وطن في فلسطين، فلا يكونوا تحت رحمة العرب.

.. فإذا اضطررنا إلى مراعاة شعور العرب ومصالحهم، فهذه المراعاة قد تكون بضمان نوع من الوحدة الاقتصادية بينهم وبين الدولة اليهودية الجديدة.

إن الاتحاد السوفياتي يدعو، ويؤيد ويعمل، من أجل إقامة الدولة اليهودية وضمانها .. وفي فترة الانتقال – أي بين انتهاء الإنتداب البريطاني وتنفيذ مشروع التقسيم – فإن الاتحاد السوفياتي يلح على الأمم المتحدة، بأن تتحمل مسؤولية ضمان الدولة اليهودية الجديدة.. والاتحاد السوفياتي سيساعد على ذلك بكل الوسائل»[1].

يوغوسلافيا: افتقار العرب الى الروح الاشتراكية هو سبب خلافهم مع اليهود

وشجب المندوب اليوغوسلافي خلال جلسة اللجنة السياسية يوم ١٤ تشرين الأول ١٩٤٧، موقف العرب لأن خلافهم مع اليهود يعود إلى افتقارهم إلى الأنظمة الاشتراكية، مؤكداً انه حتى قرار التقسيم فيه غبن لحقوق اليهود الشرعية، وعلى العرب أن يقدروا

(١) عن المصدر نفسه من ص ٦٩ إلى ٧١.

مدى تضحية اليهود في هذا السبيل ، حيث قال :

« ان فلسطين وطن ليس للعرب وحدهم بل لليهود أيضاً . ان سبب الخلاف بين العرب واليهود ، هو أن العرب يفتقرون إلى الأنظمة الاشتراكية الديموقراطية ، التي يعرف اليهود عنها الشيء الكثير ، ويمارسونها ويطبقونها، وسيكون من شأن عرب فلسطين وعرب الشرق الأوسط كله ، الاستفادة والاقتداء بهذا الميراث الاشتراكي الذي يجيده اليهود ..

يجب أن نعترف هنا بأنه حتى قرار التقسيم لا يحقق للصهيونية كل أهدافها وكل حقوقها في فلسطين . فنحن حين ندعو إلى قبول مشروع التقسيم فإننا نمنع عن الحركة الصهيونية بعض حقوقها ... وعلى العرب أن يقدروا مبلغ تضحية اليهود في قبول مشروع التقسيم ، فالحركة الصهيونية قد أبدت تعقلاً وسماحة نحو العرب وعلى العرب أن يبادلوا الصهيونية هذه السماحة بسماحة مماثلة .. »[1]

تشيكوسلوفاكيا : يهود العالم يريدون فلسطين .. فيجب ان نتجاهل معارضة العرب

وفي جلسة ١٦ تشرين الأول للجنة السياسية ، دعا مندوب تشيكوسلوفاكيا إلى ضرورة تجاهل معارضة العرب لإيجاد دولة يهودية في فلسطين ومكافحة هذه المعارضة ، إذ قال :

« يدعي العرب أن اليهود ليسوا أمة ، وإنما أتباع دين ومذهب .. حتى لو سلمنا بهذا المنطق العربي ، فإن كل يهود العالم يريدون فلسطين ، ويصرون على خلق دولة لهم فيها .. فهي بلدهم وعناد

---

(١) عن ملخص اللجنة السياسية المؤقتة ص ٨٢ وما بعد .

العرب في المعارضة يجب أن نتجاهله بل نكافحه ..

.. ان مندوب الباكستان قد خاطبنا هنا في الأمم المتحدة مشيراً إلى الأخطار التي قد يتعرض لهـــا عرب فلسطين إذا ساعدت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة اليهود على استملاك السيادة على فلسطين أو على جزء منها . إني ألفت نظر المندوب الباكستاني إلى البيان الذي أصدرته الحكومة المؤقتة اليهودية الجديدة في فلسطين– الجدير بالذكر أن الوكالة اليهودية كانت آنذاك قد أعلنت نفسها حكومة مؤقتة – . هذا البيان صريح ، يعد برعاية شؤون العرب تحت الحكم اليهودي .. وفي هذا الوعد كفاية .. فاليهود يصدقون في وعودهم .. »[1] .

الاتحاد السوفياتي : نحن مستعدون لتنفيذ قرار التقسيم بأنفسنـــا

وأعرب سيمون تسارابكين ، مندوب الاتحاد السوفياتي ، في جلسة اللجنة السياسية المؤقتة يوم ٢٤ تشرين الثـــاني ١٩٤٧ ، عن استعداد بلاده للقيام بتنفيذ قرار التقسيم ، إذا كانت بريطانيا عاجزة عن ذلك ، فقال :

« .. ان مندوب بريطانيا يصر على الأمم المتحدة بأن تتوصل إلى حل يرضى عنه الطرفان ، العرب واليهود ، لا طرف واحد ..

إن بريطانيا تقول انها أصبحت عاجزة عن البقاء في فلسطين ، أو المساعدة على تنفيذ توصيات الأمم المتحدة بشأن مستقبل فلسطـين – يقصد قرار التقسيم – ..

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٤-١٠٦ .

إذا كانت بريطانيا عاجزة ، فنحن لسنا عاجزين.. اننا مستعدون للتنفيذ ..

.. إن بريطانيا لا تريـــد أن تستعمل قواتها العسكرية في فترة الانتقال ، لمعونة الأمم المتحدة على تنفيذ قرار التقسيم . هـذا القول غريب من بريطانيا . ان هذا الموقف البريطاني المؤسف ، فيه أذى وأخطار وتعقيدات لمهام الأمم المتحدة وقراراتها .. »

غروميكو : ما يقوله المندوبون العرب الرسميون لا يعبر عن مصالح الجماهير العربية التي ستتطلع يوماً الى موسكو تطلب معونتها للنضال ضد الرجعية!..

وفي الجلسة الواحدة والعشرين بعد المائة من جلسات الأمم المتحدة للجمعية العمومية بكامل هيئتها يوم ٢٦ تشرين الثـاني ١٩٤٧ ، وقف اندريه غروميكو وألقى خطاباً مهماً للغاية ، كشف فيه عن الكثير من أسرار مواقف بلاده من اسرائيل التي اتخذت في الماضي ، وتتخذ بأساليب وواجهات جديدة حتى اليوم ، حيث قال :

« ليس للاتحاد السوفياتي مصلحة مادية مباشرة في مسألة فلسطين، فانشغال الاتحاد السوفياتي وحماسته للمشاركة في هذه المسألة مرجعه أولاً إلى أن الاتحاد السوفياتي عضو في الأمم المتحدة، وثانياً لأنه دولة كبرى ، وككل دولة كبرى فإن على الاتحـاد السوفياتي أن يتحمل مسؤولية الحفاظ على الأمن والسلام الدوليين .

إن الاتحاد السوفياتي قد رفض الرأي القائل بإعلان استقلال فلسطين في دولة واحدة وأيـد خلق دولة لليهود ، وأخرى للعرب في فلسطين . ان للعرب واليهود جذوراً تاريخية قديمـــة راسخة في فلسطين . فمن حق اليهود أن يبنوا دولة لهم هناك ، دولة ديموقراطية

مستقلة ، تكون نموذجاً للمؤمنين بالديموقراطية في المنطقة ..

إن الاتحاد السوفياتي لا يعارض مطالب الشعب العربي وإنما يعارض مطالب الحكومات العربية . فالجماهير في كل مكان ، ومن كل الجنسيات، تتشارك في المصالح والأهداف. إن قرار التقسيم لا يتعارض مع مصالح الجماهير العربية واليهودية . على العكس فإن الاتحاد السوفياتي واثق العلم والأمل بأن التقسيم سيخدم مصالح الجماهير العربية واليهودية .

يصر المندوبون العرب على أن التقسيم ظلم بحق العرب، وان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على هذا الرأي العربي ، لأن لليهود حقوقاً وصلات وروابط أزلية في فلسطين أيضاً . وقد قاست الأمة اليهودية ظلماً واضطهاداً كان آخر نماذجها على يد الهتلرية . فمن الواجب أن نضمن لليهود وطناً قومياً ، حيث لهم مطالب تاريخية ، كما هو مطلب اليهود في فلسطين ...

إن حكومة الاتحاد السوفياتي تعطف على آمال العرب في التحرير الوطني . ولذلك فإننا لا نعتبر ان ما يتحدث به المندوبون الرسميون العرب أمامنا هنا في الأمم المتحدة من كلام سيء ، هو المعبر الحقيقي عن آمال الجماهير العربية في فلسطين .

..ان الاتحاد السوفياتي واثق تماماً من أن الجماهير العربية وطليعتها القيادة الديموقراطية ، ستتطلع يوماً ما إلى موسكو ، وتترقب من الاتحاد السوفياتي العون في نضال العرب لمكافحة ما تبقى من الاستعمار والتخلف والرجعية .. »؟!..

بولندا : هناك مصالح مشتركة بين العرب واليهود على أساس الاشتراكية

أما الدكتور اسكارلانج أحد أقطاب الفكر الاشتراكي المعاصر الذي مثّل بولندا في جلسة الواحد والعشرين بعد المائة يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، الجلسة نفسها ، فقد أكد للعرب أن بينهم وبين اليهود مصالح وأهداف مشتركة ، على أساس المبـادىء الاشتراكية ، حيث قال :

« .. إننا نناشد العرب أن يثقوا بنا . إننـــا نحب اليهود ونحب العرب . ولنا علاقات تاريخية بالحضارة العربية وكل حضارات الشرق الأدنى . وان الثقافات الإنسانية مليئة بمساهمات العرب في العـــلوم والفنون والمعارف .. فنحن الذين كافحنا من أجل استقلالنا وحريتنا مراراً في تاريخ دموي طويـل ، نقدر ونعطف ، ونساعد العرب على التحرر والتحرير . لكن فلسطين ليست ملكاً للعرب وحدهم ، فهناك اليهود .. والبلاد الفلسطينية مقدسة عند الجميع . إن الشر وجذوره في فلسطين هو الاستعمار .. فليذهب الاستعمار إلى غير رجعة ، عندئذ فقط يعيش العرب واليهود في أمن ورخاء وسلام ..

إننا لا نستطيع أن نهضم أو نوافق أو نقبـــل عزم بريطانيا على الانسحاب من فلسطين قبل تنفيذ قرار التقسيم . فهـــذا الانسحاب طعنة من الخلف لنا ، هنا في الأمم المتحدة ، وتنازل عن المسؤوليـة الدوليـــة التي تفرض على بريطانيا أن تساعد وتتعاون لتنفيذ قرار التقسيم .. فلنسرع ، إذن ، هنا في الأمم المتحدة ، لإيجـــاد ضمانات

كافية لإيجـاد الظروف الجديدة – أي الدولة اليهودية – في فلسطين وصيانتها .

إننا نعطف أشد العطف على العرب . لقـــد وقفنا إلى جانبهم في مجلس الأمن مؤخراً لمعونتهم على التخلص من الاستعمار البريطـاني في مصر . فلماذا لا يتعاون معنا العرب في إحقاق الحق والإخاء في فلسطين ؟.. صدقوني أيها الزملاء العرب بأن انتصارنا في هذه القضية – أي قضية خلق الدولة اليهودية – سيفتح آفاقا واسعة لنا جميعا ، لنتعاون جميعاً على تحرير بلادكم من الاستعمار .. فهناك مصالح مشتركة كثيرة بين العرب واليهود في النضال ضد الاستعمار على أساس المبادىء الاشتراكية .

.. هناك مثلاً إمكانيات التعاون الاقتصادي والفكري بين الديموقراطية اليهودية والديموقراطية العربية . وان القيادات اليهودية تتحلى بحكمة عقائدية واسعة ، وهي تتفهم جيداً الآمال الحقيقية للجماهير العربية في كل دول الشرق الأدنى . فالجماهير العربية والجماهير اليهودية تتلاقى على صعيد واحد ، في أكثر أوجه الحياة والمعاش . فالعمال والفلاحون والمثقفون في كلا الشعبين ، العربي واليهودي ، ذوو مصالح واحدة .. فجميعهم يبغي السلام والتعاون والأخوة ورفع مستوى المعيشة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وإني شديد الأمل والإيمان بأنه ، بالتعاون العقائدي بين الجماهير ونقابات العمال والاتحادات والهيئات الديموقراطية التحررية ، ستزول الفوارق بين الشعبين ويعم المنطقـة الاخاء بين الجماهير .. »[1] .

---

(١) عن محاضر جلسات الأوضاع، رقم ١١٠-١٢١ للجمعية العمومية للامم المتحدة بكامل هيئتها .

غروميكو : على الجميع ان
يمتثلوا لقرار تقسيم فلسطين...

وفي جلسة مجلس الأمن يوم ٧ آذار ١٩٤٨ ، أي بعد التصويت لصالح قرار تقسيم فلسطين، سخر اندريه غروميكو من شكوى العرب من التسلل اليهودي إلى فلسطين ووصفها بأنها إهدار لحق الشعب اليهودي في حرية التصرف بشؤون وطنه ، حيث قال :

« لا جدوى من إضاعة الوقت في البحث عن تسويات ومشاريع جديدة. فالتقسيم هو الحل المقبول الذي يكفل للذين اضطهدوا وشردوا من الشعب اليهودي الاستقرار وقيام دولة لهم في فلسطين، وليس لمجلس الأمن الحق في تعديل أو تبديل في القرار الذي اتخذته وأقرته الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

لماذا كل هذا الصبر والتؤدة والبطء في تنفيذ قرار التقسيم ؟.. ولماذا هذه المماطلة في المجادلات مع العرب واسترضائهم ؟.. لقد صدر الأمر، فعلى الجميع أن يمتثلوا لأمر التقسيم .

إني أطلب من المجلس أن يستدعي مندوب الوكالة اليهودية ، ليدلي لنا بآرائه، ويشرح حقوقه ومطالب شعبه.. فمن حق اليهود كل الرعاية وكل المعاملة الاستثنائية ..

والذين يشكون من أن هناك تسرباً يهودياً متواصلا إلى فلسطين في هذه الآونة ، إنما يتحاملون على الحق ويهدرون مصالح الشعب اليهودي في حقه بحرية التصرف في وطنه .. » [1] .

وفي جلسة ١٩ آذار لمجلس الأمن ١٩٤٨ ، أشار غروميكو إلى موقف الولايات المتحدة من قرار التقسيم مؤكداً من جديد ان ليس من

(١) عن محاضر جلسات مجلس الأمن ، السنة الثالثة ، ص ١٤٢-١٤٨ .

حق مجلس الأمن تبديل قرار صدر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة، فقال :

« لقد تدخل مندوب الولايات المتحدة في أول لحظة عقدها مجلس الأمن فاقترح إعادة النظر في قرار الجمعية العمومية الداعي إلى التقسيم، والعدول عنه، وإيجاد حلول أخرى. إني أؤكد وألح على أنه ليس من حق مجلس الأمن أن يبدل في قرارات الجمعية العمومية. فقرار التقسيم يجب أن يبقى ولا يمكن استبداله أو إهماله أو العدول عنه »[1].

..وسنلجأ الى مختلف الوسائل لتنفيذ قرار التقسيم

وفي جلسة مجلس الأمن يوم ٣٠ آذار ١٩٤٨، بلغ غروميكو حداً من التطرف والانحياز إلى جانب الصهيونية، دفعه إلى القول :

« .. ان عدول الولايات المتحدة عن موقفها المؤيد لقرار التقسيم خلق وضعاً جديداً للقضية الفلسطينية، مما يستوجب على الوفد السوفياتي استنكاره أشد الاستنكار. فموقف السوفيات نحو التقسيم هو موقف المؤيد والمناصر له والعازم على تنفيذه. فالتقسيم مشروع عادل، لأنه يحقق آمال الشعب اليهودي، ويحقق آمال عرب فلسطين ..

.. ان الولايات المتحدة الاميركية في موقفها الجديد لا تكتفي بمعارضة مشروع التقسيم فحسب، بل تريد الابقاء على وحدة فلسطين، وترفض إرغام المعارضين على قبول أي حل آخر. ان أميركا بموقفها هذا إنما تعارض إرادة الأمم المتحدة، التي أقرت التقسيم وأقرت معونة اليهود على خلق وطن قومي لهم في بلادهم بفلسطين ..

---

(١) المصدر السابق، ص ١٤٢.

إن المندوب الأميركي يصر على أن مشروع التقسيم غير منصف وغير قابل للتنفيذ . هذا المنطق الأميركي هراء طبخوه قبل أسبوعين أو ثلاثة لترضية العرب . إن الموقف الأميركي الجديد مخالف للحقائق ومخالف للإنصاف . ومن المؤسف أن تؤيده دول أخرى في هـــذا المجلس .

إن الذين يدعون بأن مشروع التقسيم غير قابل للتنفيذ مخطئون ، ففي استطاعتنا تنفيذه والتغلب على معارضيه .

إننا سنلجأ إلى مختلف الوسائل في سبيل تلك الغـاية .. والرأي العام العالمي سيجد نفسه مؤيداً لوجهة نظرنا وحرصنا على معونـــة الشعب اليهودي ..

إننا سنكافح الوصاية الدولية على فلسطين ، إذا كان القصد منهـا عرقلة تقسيم فلسطين وترك العصابات العربية العسكرية تفسد حق الشعب اليهودي في وطنه واستقلاله »[1].

.. وعلى الأمم المتحدة انزال العقاب بالغزاة العرب

ودعا غروميكو الأمم المتحدة في جلسة مجلس الأمن يوم ٢٣ نيسان ١٩٤٨ ، إلى إنزال العقوبات بمن أسمـاهم بالغزاة العرب ، واصفاً اقتراح أميركا بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية بدل تنفيذ قرار التقسيم — بأنه اقتراح فاقد الاسنان ، لأنه يعرقل مصالح الشعب اليهودي ، إذ قال :

« من المستحيل تحقيق الهدنـــة في فلسطين طالما ان عصابات ووحدات عسكرية أجنبية دخلت البلاد من الخـــارج — يقصد

(١) عن محاضر جلسات مجلس الأمن الرسمية ، السنة الثالثة ، ص ٢٤٩-٢٥٣ .

الجيوش العربية – بقصد شن الحرب والخراب ومعارضة الأمم المتحدة في مشروع التقسيم . إن على الأمم المتحدة إنزال العقاب بالغزاة العرب وإعادتهم إلى الخط المستقيم .

إن الاقتراح الأميركي – برفض التقسيم ووضع فلسطين تحت وصاية دولية مؤقتة – اقتراح ضعيف ، فاقد الاسنان ، فهو لا يحول بين المعتدين – يقصد العرب – وبين إحلال السلام في فلسطين، وعرقلة مصالح الشعب اليهودي » .

موسكو : الرجعيون العرب هم الذين يناوئون حركة التحرير الوطني اليهودية بفلسطين

وفي جلسة ٢١ أيار ١٩٤٨ لمجلس الأمن ، ألقى اندريه غروميكو خطاباً مطولاً ،فيما يلي أهم ما جاء فيه ، حيث تتضح من فحواه أسس السياسة السوفياتية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً نحو اسرائيل :

« في أعمق الاعتقاد والقناعة لدعوتي ، أؤكد لمجلس الأمن وللرأي العام العالمي بأن الاتحاد السوفياتي مصر على أن قرار الجمعية العمومية في ٢٩ تشرين الثاني هو أكثر الحلول إنصافاً. فهو يعطي الشعب اليهودي حقه في إنشاء وطن خاص مستقل ،وهو قرار لا يضر بالعرب طالما انه يمنحهم جزءاً من فلسطين أيضاً ..

.. ولكن بعض العناصر في الجمعية العمومية رفض التقسيم وكافحه ، وقال انه أصبح غير ذي موضوع . مثل هذا القول هراء لا يتجانس مع الحق والواقع . فقد أعلن اليهود دولتهم، ونحن نعترف بها ونؤيدها ، ولا يحق لمجلس الأمن أن يتدخل في هذا الأمر الآن. ان قرار التقسيم لا يزال حقاً شرعياً لليهود ودولتهم الجديدة . فإذا تجاهل مجلس الأمن هذا الحق وهذه الحقيقة ، فإنه إنما يشجع العناصر

على خلق المشاكل والمتاعب.

.. إن الدولة اليهودية الجديدة قائمة، وقد اعترفنا بها وتبادلنا معها التمثيل الدبلوماسي الكامل، وقدمت هـذه الدولة الجديدة طلب الانضمام إلى الأمم المتحدة. ونحن نؤيد ذلك.

إن على الأمم المتحدة أن تقـدر خطورة التدخل العربي المسلح وهدره لقرارات الامم المتحدة. وهذا العدوان أمر خطير جـداً. وسواء كان هذا العدوان من جيوش نظامية أو غير نظامية، فإنه عدوان وهتك الحق..

إن الاتحاد السوفياتي مع مراعاته لحاجات شعوب الشرق الأدنى، بمن فيهم العرب، في الاستقلال والتخلص من النفوذ الاجنبي، يؤيـد حركات التحرر الوطنية كلهـا، وحق اليهود في وطنهم بفلسطين هو حركة تحرير، تنال من الاتحاد السوفياتي التأييد والحضانة.

إننا لا نعترف بأن مندوبي الدول العربية هنـا في الامم المتحدة يمثلون حقيقة شعور العرب ومصالحهم. فتلك الجماهير العربية الشعبية لا تناوىء حركة التحرير اليهودية الوطنية، إنما الذين يناوؤنها هم نفر من الساسة الرجعيين الذين لا يمثلون الجماهير العربية. فالجماهير العربية ومصالحها مرتبطة جذرياً بمصالح حركة التحرير اليهودية الوطنية. وحين تزول القيادات الرجعية وعملاء الاستعمار والنفوذ الاجنبي من سيطرتهم على الجماهير العربية، فإن الوفاق سيحل بين حركات التحرير الوطنية العربية وحركة التحرير الوطنية اليهودية في فلسطين، وتسود الأخوة بين الشعبين.

إن الحكومة البريطانية أعلنت مؤخراً في لندن وبصورة رسمية، بأنها عازمة على تزويد حكومة شرق الاردن بالسلاح. ومن المؤسف بأن هذا التصريح البريطاني المؤيد للعدوان، لم يجد من ينتقده ويتحداه

هنا في الأمم المتحدة . ولذلك فمن الضروري أن يتخذ مجلس الأمن قراراً يوصم فيه العدوان العربي ، ويمنع أي دولة من تأييده عسكرياً، بصفة رسمية أو غير رسمية ..

.. ان المندوب البريطاني يقول هنا ، في مجلس الامن ، ان العدوان العربي المسلح لا يشكل خطراً على الامن والسلام في المنطقة . ويرفض المندوب البريطاني اتخاذ أي اجراءات وعقوبات ضد هذا العدوان . ان بريطانيا قد أصبحت طرفاً في العدوان العربي. فقيادة الجيش العربي الاردني في يد البريطانيين، وهم بذلك يتحدون قرارات الامم المتحدة بالقوة العسكرية ، ويساعدون العدوان ..

.. كل العالم يعرف الآن بأن الملك عبد الله قد أصبح بمثابة قيصر الشرق الادنى ، يتحدى قرارات الامم المتحدة بالقوة العسكرية . والملك عبدالله غير قادر بمفرده على مثل هذا التحدي ، لولا مساعدة بريطانيا له .. وبريطانيا ليست وحدها التي تتحدى قرارت الامم المتحدة وتقول ان العدوان العربي لا يهدد الامن في المنطقة ، فمندوبا بلجيكا والارجنتين أفتيا بمثل ذلك أيضاً أمام مجلس الامن ، وقالا ان التدخل العربي المسلح لا يشكل خطراً على الأمن . ان مواقف هذين المندوبين ، ومن هم على شاكلتهما في مجلس الامن ، مزعجة وعجيبة . اني أرى أن على مجلس الامن أن يرسل مندوب بليجيكا إلى فلسطين ، ليرى بعينه حقائق العدوان . لقد وصلتني معلومات دقيقة مسهبة عن نماذج هذا العدوان من البر والجو..ومن الخير أن يرسل مندوبا بريطانيا والصين أيضاً إلى فلسطين ، ليريا بأعينهما حقائق العدوان ، فلا يصران على التلطيف من خطورته وشروره .

لقد تقدم البعض هنا بمقترحات حول تعيين وسيط دولي ليعالج النزاع في فلسطين بالحسنى . ان الاتحاد السوفياتي يرى أن مثل هذه

الوساطة قد تؤثر على قرار التقسيم وعلى الحق ..

اني لا أدري ما سيكون عليه موقف الدول العربية إذا طلب إليها مجلس الامن وقف القتال .. اني أشك في استعداد الدول العربية على احترام وقف القتال، بغير ضمان من الامم المتحدة بإرغامها عليه، لئلا يعرقل العرب مولد الدولة اليهودية الجديدة وحقها الشرعي ..

.. كل ما على مجلس الامن القيام به، هو وضع حد للعدوان المسلح بصورة فورية وحازمة، وخلق جو مناسب لتنفيذ قرار الامم المتحدة بالتقسيم .. »

.. لأن مصلحة العرب واليهود واحدة في مكافحة الرجعية وفي تلاحم الاخوة الاشتراكية

وفي المقاطع التالية من خطاب ألقاه غروميكو، في جلسة مجلس الامن يوم ٢٩ أيار ١٩٤٨، كشفٌ آخر بحقيقة مشاعر ومواقف ودور وسياسة السوفيات الحقيقية نحو خلق الدولة اليهودية ونمائها واستمرارها :

« هذا الموقف الطارىء على فلسطين يجب ألا يستمر، وعلى مجلس الامن أن يتخذ القرار اللازم ويصر على التنفيذ بكل الوسائل. فالموقف الطارىء هو قيام دول أجنبية – يقصد الدول العربية – بالعمليات العسكرية ضد الدولة اليهودية الجديدة. ويريد العرب من ذلك الحيلولة دون بقاء الدولة التي أوصى بقيامها قرار الجمعية العمومية في ٢٩ تشرين الثاني – أي قرار التقسيم –.

لقد حاول مجلس الامن في قرار ٢٢ أيار وقرارات عديدة أخرى، دعوة ممثلي الدول المعنية بالامر – يقصد الدول العربية – لوضع حد لعدوانها العسكري. ولكن هذه القرارات بقيت حبراً

على ورق . ان الدول العربية التي غزت فلسطين عسكرياً، إنما تتحدى قرارات مجلس الامن .

ليست هذه أول مرة نظمت فيها الدول العربية الغزو العسكري لفلسطين ، أو تجاهلت قرارات مجلس الامن والجمعية العمومية . ان الاتحاد السوفياتي يرى أن من واجبه أن يسجل هنا رأيه الصريح والدقيق في هذا العبث العربي بقرارات الامم المتحدة . وليس في صالح الامم المتحدة أن تصفح أو تصبر طويلاً على هذا العبث العربي . بل يجب أن تضع حداً نهائياً له . ولذا ، فإن الاتحاد السوفياتي يقدم مشروع القرار الذي أمامكم ، بقصد وضع حد لهذا الاستهتار العربي .

.. ان بعض الدول هنا ، في مجلس الامن ، تبدي ميوعة وترددا في ردع العدوان العربي . وهذا التقاعس يضر بالامم المتحدة وهيبتها. ومن الضروري أن نردع المعتدي .. والاتحاد السوفياتي عازم على ذلك .

.. ان أي قرار أو إجراء يتخذه مجلس الامن لمعالجة هذا الموقف الطارىء ، يجب أن يكون مؤيداً ، لا ناقضاً ، لقرار الجمعية العمومية الداعي إلى تقسيم فلسطين وصيانة الدولة اليهودية الجديدة .

ان الوفد البريطاني قدم مشروعاً أمامنا في مجلس الامن ، يدعو الدول الأعضاء إلى الحيلولة بين مواطنيها اليهود وبين هجرتهم إلى فلسطين في هذه الآونة، انتظاراً لما سيقدمه الوسيط الدولي من توصيات عن الوضع الفلسطيني. ان وقف هجرة اليهود إلى فلسطين أمر لا نرضاه. فقد أصبح لليهود الآن دولة رسمية ، نحن معترفون بها قانونياً . فلا يحق لنا أن نمنع اليهود من الهجرة إلى وطنهم.

.. قد يكون من المعقول أن نستمع الى آراء المندوب البريطاني ، لأن حكومته ذات خبرة ومعرفة طويلتين بالقضية الفلسطينية. لكننا لا نرى إلا الشر في دعوة المندوب البريطاني الى وقف الهجرة اليهودية

إلى فلسطين الآن .. هل يدرك المندوب البريطاني أن وقف الهجرة اليهودية الآن معناه وضع اليهود تحت رحمة العرب ، وحدوث مذابح وضحايا من اليهود في فلسطين ؟.. يجب علينا أن نحذر من هذا الرأي البريطاني . لقد لعب البريطانيون دوراً منافقاً في القضية الفلسطينية ، ومنعوا أهل فلسطين من الحصول على استقلالهم.. واليوم يأتي المندوب البريطاني ، فيحاول عرقلة مولد الدولة الجديدة المستقلة - يقصد الدولة اليهودية - .

.. ان وقف الهجرة اليهودية الآن إلى فلسطين ، كما يقترح المندوب البريطاني علينا ، هو عمل غير قانوني . فمن حق الدولة اليهودية أن تفعل ما تشاء في مسألة الهجرة إلى بلادها. ان الدولة اليهودية الجديدة حقيقة قانونية نعترف بها ، ولا يحق لمجلس الامن أن يفرض على هذه الدولة الجديدة ، أموراً ليست من اختصاص الامم المتحدة .. أمور هي من الحق الداخلي للدولة المستقلة . وحتى لو اتخذ مجلس الامن مثل هذا القرار - ضد الهجرة اليهودية - ، فإنه سيظل حبراً على ورق ، وكلاماً أجوف لا نفع منه .

.. ان بريطانيا والعرب ، يريدان عرقلة وجود الدولة اليهودية الجديدة ، ومنعها من الوقوف على أقدامها ، وزيادة التوتر في فلسطين ، وحمل الامم المتحدة على إلغاء قرار التقسيم وعدم الاعتراف بالدولة اليهودية الجديدة ، وإيجاد حل آخر يتوخى مثل هذا الأذى ضد الحقوق اليهودية . ان على الامم المتحدة أن تناصر ضحايا العدوان ، وهم اليهود ، ومعاقبة المعتدين - يقصد العرب - ، ووضع حد لكل مسعى يناصر المعتدين ..

.. ان المشروع البريطاني هو بمثابة فرض عقوبات على الدولة اليهودية الجديدة . مثل هذه العقوبات يجب أن تفرض على المعتدين

العرب . فهل تريد بريطانيا أن تصب الزيت على النار الفلسطينية ، أم تريد نصرة الحق اليهودي ؟.. ان بريطانيا أخذت الآن تغازل العرب وتتجاهل ، بل وتهدر ، حقوق اليهود ، وتعبث بقرارات الامم المتحدة . ان مصلحة العرب واليهود تتمثل في مكافحة الاستعمار وفي أخوة الجماهير الشعبية المتحررة من كلا الشعبين . ان مصر لا تزال عاجزة عن التخلص من القاعدة العسكرية البريطانية في بلادها.. فعلى العرب أن يتخلصوا من الاستعمار الأجنبي ، وإلا سيكون الموقف مضحكاً وهزلياً .. فخصم العرب هو الاستعمار لا الجماهير اليهودية ، ومعارضة العرب لمولد دولة يهودية ودولة عربية في فلسطين ، لا يخدم إلا الاستعمار ..

.. ان المندوبين العرب الذين يتحدثون أمامنا ، باسم العالم العربي وباسم الشرق العربي ، إنما يخدمون الاستعمار ، إذا رفضوا قيام الدولة اليهودية الجديدة ، وستحاسبهم الأجيال القادمة على هذا الوزر .

.. ان العدوان – أي حرب الجيوش العربية ضد اليهود عام ١٩٤٨ – المسلح على فلسطين ، مغامرة حاكتها الأوساط الحاكمة في البلاد العربية ومن ورائها الحكومة البريطانية . لذا ، رأى الاتحاد السوفياتي تقديم مشروع قرار إلى مجلس الأمن . يأمر الدول العربية بوقف عدوانها على فلسطين خلال ٣٦ ساعة . ونحن نرى أن لمجلس الأمن الحق ، كل الحق وكل الواجب ، بتحميل العرب مسؤولية العدوان ..

ان الصراع في فلسطين تتحداه الرجعية العربية والاستعمار ، مما جعل مجلس الأمن مشلول النشاط التنفيذي ، ومقيدة أيديه لحماية القدس وضواحيها ، وهي التي تعتبر ذات مركز استثنائي بالنسبة للأديان . فهل وصل العجز بالأمم المتحدة إلى الحد الذي أصبحت معه

لا تعبأ بالضرر الذي سيصيب العقائد الدينية في القدس، بسبب العدوان العربي المسلح ؟..

وهـل نسي مندوب الارجنتين بأن في بلاده أغلبية كاثوليكية كبيرة يهمه ألا تصاب الأماكن المقدسة الدينية في القدس بأي أذى؟.. وهل نسي مندوب الولايات المتحدة ومندوب بريطانيا أن الجماعات البروتستانتية في بلادهما قلقة على مصير الأماكن المقدسة في فلسطين، المعرضة الآن للعدوان ؟.. وهل نفهم من فتور هذه الدول بأن الكنيسة الانجيليكانية البروتستانتية لا تهتم بأمر الأماكن المقدسة، مثلما تهتم به الكنيسة الكاثوليكية ؟.. أم ان العالم بأسره، ينتظر من دعاة الالحاد أن يقوموا بمفردهم بالدفاع عن حرمة الأماكن المقدسة في فلسطين، خصوصاً وأن ممثلي الدول البروتستانتية والكاثوليكية في مجلس الامن هنا، اختاروا ألا يرفعوا أصابعهم لمساعدة الاتحاد السوفياتي على صيانة معاقل الدين في فلسطين ؟.. »(١).

غروميكو يطالب باشراك قوات عسكرية سوفياتية للاشراف على تنفيذ قرار التقسيم..

وفيما كان أكثر دول العالم يتخذ موقفاً حيادياً من مسألة دفاع العرب عن وطنهم بمكافحة غزو اليهود لفلسطين عام ١٩٤٨، بعـد قرار التقسيم، قال غروميكو في جلسة مجلس الأمن يوم ٦ حزيران ١٩٤٨:

«.. لقد سبق لي وأشرت هنا في مجلس الامن، بأن الاتحـاد السوفياتي على أتم الاستعداد للاسهام الفعال في تنفيذ قرار مجلس الامن

---

(١) عن محاضر جلسات مجلس الأمن، السنة الثالثة، رقم ٧١، من ص ١ إلى ٩.

- الخاص بردع العرب واخراج الجيوش العربية من فلسطين - .
واني لأرى الآن أن من واجبي التوكيد ، مرة أخرى ، على استعدادنا لتنفيذ ما أوصى به مجلس الامن تنفيذاً كاملاً . لذا ، يجب علينا هنا الآن في مجلس الامن ، أن نبحث بالتفصيل الوسائل التي يجب على الوسيط الدولي - الكونت برنادوت - ولجنة الهدنة الفلسطينية ، القيام بها . .

هذه مسألة مهمة بالنسبة للاتحاد السوفياتي . . اننا نرفض أن يكون المراقبون العسكريون الذين سيساعدون الوسيط الدولي ، محصورين في الدول التي لها قناصل في مدينة القدس . ان الاتحاد السوفياتي ، متعاوناً مع الدول الاشتراكية الأخرى ، شديد الرغبة في أن يرسل المراقبين العسكريين ، لتنفيذ قرار مجلس الامن والتيقن من ان مهام الوسيط الدولي يجري تنفيذها على النحو الذي نرضى عنه » [1].

وفي جلسة ١٠ حزيران ١٩٤٨ لمجلس الامن ، عاد غروميكو فطالب الامم المتحدة بالموافقة على إرسال مراقبين عسكريين سوفيات ، للاسهام في تنفيذ قرار مجلس الامن الخاص بانسحاب الجيوش العربية من الأراضي العربية الفلسطينية ، فقال :

« . . من الذي يضمن لنا أن فريقاً ضئيلاً من المراقبين العسكريين يكفي لردع المعتدين - يقصد العرب - وانسحابهم ؟ . . اني أناشد مجلس الامن أن يوافق على إرسال مراقبين عسكريين من الاتحاد السوفياتي لتنفيذ قرار ٢٩ أيار . اني سأحتفظ بحق الاتحاد السوفياتي في متابعة الإلحاح على هذا الموضوع . . » [2].

---

(١) المصدر السابق رقم ٨٠ ص ٣ وما بعد .
(٢) المصدر السابق رقم ٨٠ ، من ص ٤٣ إلى ٤٥ .

.. لأن لموسكو والدول الاشتراكية
الفضل الأول في انجاح قرار التقسيم

وقال غروميكو في جلسة ١٥ حزيران ١٩٤٨ :

« نحن في مجلس الامن ، لم نخول الوسيط الدولي الكونت برنادوت أن يتصرف كما يشاء، بل علينا أن نضبط مهامه لكي يصح تنفيذ مشيئة الامم المتحدة ..

.. يبدو أن سياسة الولايات المتحـدة الاميركية أصبحت تختلف الآن عن سياسة الاتحـاد السوفياتي ، بشأن خلق الدولة اليهودية في فلسطين . إذا كان هذا التغيير في الموقف الاميركي نحو مصالـح اليهود قد بلغ هذه الدرجة ، فلماذا لا تجرؤ الولايات المتحدة على القول بذلك علناً ؟.. ان الاتحاد السوفياتي قد ثبت منذ البدء في الاصرار على خلق الدولة اليهودية وتأييدها ، والاعتراف بها ، وحمل الامم المتحدة على تنفيذ ذلك ، وجعل الدولة اليهودية حقيقة ثابتة ..

.. للاتحاد السوفياتي كل الحق بأن يرسل قوات عسكرية لتنفيذ قرار الامم المتحدة ، وردع المتحدين له .. وهـا أنا أقدم لمجلس الامن مشروع قرار رسمي بشأن الموضوع ..

.. ان الذين يرفضون إرسال المراقبين العسكريين السوفيات إلى فلسطين إنما قصدهم عرقلة الامور. ان الاتحاد السوفياتي شديد القناعة بأن هذا الرفض للدور السوفياتي في تنفيذ قرار التقسيم ،مرجعه التطور الجديد في موقف الولايات المتحدة . ان الاميركيين أصبحوا الآن متخاذلين ، بينما ظل الاتحاد السوفياتي ثابتاً على موقفه ، ومصراً ، اصراراً متواصلا ، على التنفيذ .

والعالم يتساءل اليوم : ما هو الغرض من هدنة الأربعة أسابيع التي

جاء بها الامير كيون لمواجهة العدوان ؟..

ان أصحاب هذا الرأي لا يريدون هدنة حقيقية ، ولا يريدون ردع المعتدي . ان الناس يزداد تساؤلهم اليوم حول هذه النوايا الاميركية ، وهل تريد استغلال فترة الهدنة للمساومة مع العرب ، والوصول معهم إلى اتفاق خارج الامم المتحدة ، وعلى حساب الفريق الآخر – يقصد اليهود – ؟..

إذا كانت الولايات المتحدة الاميركية صادقة في سابق موقفها من تأييد اليهود لدولتهم الجديدة في فلسطين، فلماذا ترفض وجود المراقبين العسكريين السوفيات لضمان ذلك . فالسوفيات أول مؤيد ، وأكبر نصير ، وأثبت من يدعو إلى التنفيذ والتأييد – يقصد تنفيذ قرار التقسيم ، وتأييد الدولة اليهودية – .

لقد واجهت الولايات المتحدة أعظم الصعوبات في جمع الأصوات الكافية لتأييد مشروع التقسيم في العام الماضي ، وكان لأصوات الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الشقيقة القول الفصل في إنجاح القرار . أما اليوم ، فإن الولايات المتحدة لا تجد صعوبة في جمع أصوات التأييد لها في الامم المتحدة لإضعاف قرار التقسيم .. ان هذا تطور سيء ، يسيء إلى سمعة الامم المتحدة .. »[1] .

وأيد فازيل تارسنكو ، مندوب اوكرانيا السوفياتية، رأي سيده غروميكو ، في جلسة مجلس الامن نفسها ، حيث قال :

« نحن هنا بصدد سؤال جوهري : هل يريد مجلس الامن تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، أم لا يريد ؟..

إذا كنتم تريدون العمل الجدي فلا مفر من إرسال العسكريين للقيام بمهمة التنفيذ ، ولا بد من وجود العسكريين السوفيات للمشاركة

(١) المصدر السابق ، رقم ٨٤ ، ص ٩ وما بعد .

في هذه المهمة، خصوصاً وان الاتحاد السوفياتي قد ظل منذ البداية على موقف ثابت لا يتزحزح من موضوع التقسيم .. فلا يستطيع أي انسان أن يتهم الاتحاد السوفياتي بأنه تراجع عن هذا الموقف . فالعالم كله يعرف ذلك .. »[1].

جاكوب مالك : التواطؤ بين الاقطاع والرجعية العربيين خلق العداء بين العرب واليهود

وفي جلسة مجلس الامن يوم ١٨ آب ١٩٤٨ ، ألقى جاكوب مالك، رئيس الوفد السوفياتي ، وقد كان رئيساً لدورة مجلس الأمن تلك ، خطاباً طويلاً ، جاء فيه :

« ظل الاتحاد السوفياتي منذ البدء داعياً وعاملاً من أجل تقسيم فلسطين ، والاعتراف بحق اليهود فيها ، على أن يعيشوا في دولتهم الجديدة في سلام مع العرب. ولكن أعضاء مجلس الامن لم يؤيدوا التقسيم ولا إيقاف المعتدين – يقصد العرب – عند حدهم . وكل ما عمل له أعضاء المجلس ، بمن فيهم أعضاء الوفد البريطاني ، هو طلب الهدنة المؤقتة لبضعة أسابيع ، لا ردع المعتدين ردعاً نهائياً .

ان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على هدنة مؤقتة ، وإنما يريد صلحاً دائماً بين العرب واليهود، لأن مصلحة الجماهير العربية واليهودية مشتركة يصونها التعايش السلمي والأخوة التقدمية .

ان مندوب بريطانيا أثار مشكلة اللاجئين العرب ، وتجاهل مأساة اللاجئين اليهود الاوروبيين .. ثم جاء مندوب سورية – وكان وقتذاك المرحوم فارس الخوري – فأخبرنا في جلسة ١٣ آب بأن عدد المشردين الفلسطينيين العرب قد بلغ أكثر من نصف مليون نسمة ، أغلبيتهم لا تجد وسائل العيش .

فالسؤال الآن الذي يجب أن نطرحه : على من يقع اللوم في هذه

(١) المصدر السابق ، رقم ٨٤ ، من ص ٩ وما بعد .

المشكلة ؟.. من هو المسؤول عن تشريد نصف مليون من النـــاس ، تركوا بيوتهم وأعمالهم المدنية وأصبحوا بؤساء لا مأوى لهم ؟..

ان الذنب يقـــع على شركات البترول الاميركية التي ضغطت على حكومتها في واشنطن لتعارض تنفيذ قرار التقسيم ، الذي أصدرتــه الجمعية العمومية للامم المتحدة ..

ان أهدافنا وأهداف الامم المتحدة من قرار التقسيم ، هي خلق التعايش السلمي بين العرب واليهود ، وإعطـــاء اليهود حقهم الطبيعي والتاريخي في وطنهم بفلسطين .. وإعطـاء الجماهير العربية جزءاً من فلسطين أيضاً .. لكن الاقطاع العربي ، بزعامة الملك عبد الله ، ملك شرق الاردن ، تحدى قرارات الامم المتحدة ، واعتبرها مجرد قصاصة من الورق يمزقها العدوان على الجماهير التقدمية .. ولقد شجعت الحكومة البريطانية الملك عبدالله على هذا التحدي لقرارات الامم المتحدة وللحق والإنصاف ..

قرأت في مجلة «عالم الامم المتحدة»(1) مقالاً خطيراً ، عنوانه « تقرير عن حقائق المهزلة الفلسطينية » ، يكشف الستار عن العبث الذي قام به مدراء شركات البترول الانكلو-الاميركية ، لعرقلة التقسيم ومكافحة الدولة اليهودية الجديدة . وهذا المقال يشرح خفايا الدسيسة التي كان يحيكها العسكريون البريطانيون بزعامة غلوب ، والجيش العربي الذي يقوده إلى تحدي الامم المتحدة وحقوق الدولة اليهودية الجديدة .

ان الصحافة العالمية (2) مليئة بأنباء التواطؤ بين العرب وبـــين الرأسمالية الانكليزية-الاميركية ، للقضاء على حق اليهود في وطنهم . فالأسلحة التي تمتلكها الجيوش العربية المعتدية على اسرائيل كلها من

(1) وهي نشرة دعاية صهيونية ، لا علاقة لها اطلاقاً بمنظمة الأمم المتحدة .
(2) .. ويقصد طبعاً الصحافة الصهيونية .

مصادر بريطانية ، كما قالت جريدة « الهيرالد تريبيون » في عددهـا الصادر في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

ان معونة بريطانيا للملك عبد الله بالسلاح والقـادة العسكريين ، هو خرق لقرارات الأمم المتحدة ، وعدوان على مصالح الأمة اليهودية . كل العالم يعرف أن بريطانيا تمنح حكومة شرقي الأردن مليوني جنيه استرليني كمعونة عسكرية يستعملها الملك عبدالله لإيقاع الأذى بالشعب اليهودي البريء ، ويتحدى بها الملك عبد الله قرارات الأمم المتحدة .

هناك تواطؤ سافر بين الاقطاع العربي وبين الرأسمالية والاستعمار ، لخلق العداء والحقد بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية .. وهذا هو سبب التوتر الذي حصل بين العرب واليهود .. وهذا هو سبب التشرد الذي أصاب الجماهير العربية في فلسطين ..

هناك نوعان من التشرد : تشرد اليهود الاوروبيين ، ورحيـل العرب عن فلسطين ، لأن الاقطاع والاستعمار قد سبب رحيلهم عن بلادهم !..

والمسؤول عن مشكلة التشرد هو الاقطـاع العربي والرجعية والاستعمار ، الذي يحاول إفساد قرار التقسيم ، وحق اللاجئين اليهود في الاستقرار في بلادهم ، والتعايش السلمي مـع الجماهير العربيـة التقدمية ..

حتى الكونت برنادوت أصبح شريكاً للاستعمار والرأسمالية ، فالمخطط والمقترحات التي وضعها لحل القضية الفلسطينية ، معارضة لقرار التقسيم ومصالح اليهود . وهـذا المخطط وضعه الكونت برنادوت بالتعاون مع لندن وواشنطن وباريس .. والرجعية العربية ..

ليس هناك حل لقضية اللاجئين العرب واليهود ، بغير صيانـة

الدولة اليهودية في اسرائيل. ان الطريقة الوحيدة لحل مشكلة اللاجئين ليست في تقديم المعونات المالية ورفع الضائقات عنهم ، وإنما في حمل العرب على احترام قرار التقسيم ، وتوطين اللاجئين العرب على أساس برنامج ومشاريع يقوم بهـا العرب أنفسهم في الشرق الأدنى ، وعلى أساس التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية في اسرائيل » .

هذا ، والمعروف أن جاكوب مالك، الدبلوماسي السوفياتي الشهير ، أعيد بعد حربنا الثالثة في حزيران مع اسرائيل مباشرة ، في ١٣ آذار ١٩٦٨ بالضبط ، إلى منصبه السابق الذي احتله لخمس عشرة سنة خلت ، كممثل للاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة !..

وفي جلسة مجلس الأمن يوم ١٩ آب ١٩٤٨ ، قال جاكوب مالك :

« .. ان ما يعرضه علينا الوسيط الدولي من ضرورة كبح جماح الذين يخلون بشروط الهدنة ، في حاجة إلى شرح وتفسير . فالموقف الحالي في فلسطين مرجعه عدوان دول أجنبية – يقصد الدول العربية – على دولة سلمية – يقصد اسرائيل – فإذا قبلنا بتوصيات الوسيط الدولي ، التي احتضنها الوفد الاميركي والوفود البريطاني والفرنسي والكندي في مشروع قرارها الذي قدمته إلى مجلس الأمن ، فهذا يعني أن الوسيط الدولي ، ومن يؤيده ، يطلبون منا أن نتدخل في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة ، هي اسرائيل .

إن مسؤولية الحفاظ على الأمن ملقـاة على عاتق الغزاة – يقصد العرب – الذين تحدوا قرار التقسيم ، وفي قلوبهم حقد على اليهود .

... ان ميثاق الأمم المتحدة لا يخولنا مطلقاً أن نتدخل في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة. لذلك ، فالمشروع الاميركي المشترك وتوصيات

الوسيط الدولي مخالفة للميثاق .. وعلى هذا فيجب رفضها .. »

ووصف مانيوبلسكي، مندوب أوكرانيا السوفياتية، تراجع أميركا عن تأييد ما أسماه بحق الدولة اليهودية في فلسطين، بأنه ظلم ونكران وإجحاف، إذ قال :

« .. لا نحن ولا مندوب الاتحاد السوفياتي أيدنا الوسيط الدولي يوم تعيينه. ولا نحن ولا الاتحاد السوفياتي راضون عن أعماله اليوم.. انه يتخطى صلاحياته ويحاول أن يفرض على الدولة المستقلة، اسرائيل، التزامات ضارة بالحق اليهودي . وطالما أن الوفد الأميركي يساند الوسيط الدولي في شططه، فإن واشنطن يبدو انها تراجعت كلياً عن تأييد الحق للدولة اليهودية في اسرائيل، وهذا ظلم ونكران وإجحاف ونسيان وإهمال لمأساة اليهود، التي حاربنا من أجلها ضد النازيين.. »[1]

موسكو : تحدد خطوات التعايش السلمي العربي ـ

اليهودي الاشتراكي : هدنة فسلم فصلح دائم ..

وقال مندوب الاتحاد السوفياتي في جلسة مجلس الأمن يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٨ :

« ان العمل الرئيسي لمجلس الأمن هو وقف القتال والعدوان العسكري، وترك الأمور على ما هي عليه، حتى يحين الوقت للأطراف المتنازعة على فلسطين للوصول إلى التسوية السلمية . فإن أول خطوة

---

(١) عن محاضر جلسات مجلس الأمن، السنة الثالثة، مجلد رقم ١٠٧، ص ٤٤ وما بعد.

من خطوات التعايش السلمي هي مرحلة « الهدنة المؤقتة » ، ونقلها إلى مرحلة « السلم » ، ثم إلى مرحلة « الصلح » ، ثم التعايش السلمي ..

ان تاريخ القضية الفلسطينية مثل صريح على تصارع القوى للسيادة على الشرق العربي . ففكرة الوساطة الدولية عن طريق الامم المتحدة ، فكرة خاطئة أصلاً . فهي لن تستطيع حل القضية الفلسطينية ، أو تبديل الوضع الجديد ، بعد مولد اسرائيل . فموقف الأغلبية في الأمم المتحدة نحو هذا الوضع الجديد -يقصد به الدولة اليهودية -، والعدول عن قرار التقسيم ، واستنباط مشاريع أخرى لا نفع منها ، لأنها لا تريد أن تعترف بأن الوضع الجديد سيظل قادراً على البقاء . ونحن نؤيده . وكل تدخل لتبديل هذا الوضع ، ما هو إلا من قبيل العبث وزيادة المتاعب والآلام التي يعانيها العرب واليهود في فلسطين ..

لا تستغربوا ، أيها السادة ، إذا وجدنا أنفسنا ذات يوم أمام وضع تقوم فيه الأطراف المعنية بالأمر ، العرب واليهود أنفسهم ، مدفوعين بمصالحهم الخاصة ، مصالح الجماهير التقدمية ، للتفاوض السلمي والتعايش السلمي والأخوة التقدمية ، ويفاجئوا العالم بالأمر الواقع .. ان الاتحاد السوفياتي لن يكل عن السعي للمساعدة والتأييد بالترحيب لمثل هذا المسعى العربي - اليهودي .. ومن السخف الاصرار في هذه الآونة على أمور فرعية في النزاع العربي - اليهودي ، مثل مسألة النقب . فللاستعمار البريطاني مآرب في هذه المنطقة ، والوضع الجديد - يقصد الدولة اليهودية - يكافح الاستعمار . والنقب والمناطق الأخرى المتنازع عليها ، ليست إلا نواح فرعية في أصول المسألة الفلسطينية ، وهذه المسألة لا يحلها إلا مولد ظروف جديدة في المنطقة كلها . عندئذ فقط يستطيع العرب واليهود أن يسووا نزاعهم بأنفسهم من غير تدخل استعماري .

ان التعايش السلمي وفض المنازعات بالطرق السلمية مبدأ من مبادىء الأمم المتحدة ، ومبدأ من مبادىء اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية .. وان واجبنا في المسألة الفلسطينية ، هو أن ندعو إلى الهدنة أولاً ، ثم نترك الأحقاد تندثر وتنشأ عنها علاقات سلمية .. علاقات تعايش سلمي .. »[1].

وفي خلال مناقشات مجلس الأمن حول العدوان اليهودي على الحامية المصرية في الفالوجة وعلى المدنيين وغيرهم ، قال تاراسنكو ، مندوب اوكرانيا السوفياتية ، في جلسة ٢٩ كانون الاول ١٩٤٨ لمجلس الأمن ، ان كل هدف العرب والاستعمار من إعادة اليهود إلى مواقعهم هو ضرب « مكاسب الثورة » ، التي حققها الشعب اليهودي باستيلائه على النقب، لتوفير الفرصة للرجعية العربية في شرق الاردن لمقاومة العناصر التقدمية من يهودية وعربية التي تريد الحياة تحت راية مبادىء الأخوة الاشتراكية .

جاكوب مالك : وجدت اسرائيل لتبقى حيث هي موطن أجدادها

ووقف قبل ذلك ، في ٢ كانون الاول ١٩٤٨ ، جاكوب مالك ليقول كلمته الشهيرة في جلسة مجلس الامن تلك :

« لقد وجدت اسرائيل لتبقى ، حيث موطن أجدادها . فوجود اسرائيل في الشرق الاوسط سيكون عنصر خير وسلام وأمثولة للجماهير العربية الطامحة إلى التخلص من الاستعمار والرجعية . ان اسرائيل تسعى إلى السلام والتعايش السلمي مع جيرانها العرب ،

---

(١) وثيقة مجلس الأمن رقم ١٢٥ ، من ص ١٢ إلى ٢٠ .

وهؤلاء الجيران هم الذين يرفضون التعايش السلمي مع اسرائيل ، وهذا الرفض مرجعه وجود الاستعمار والرجعية العربية في الحكم العربي .. وستساعد اسرائيل العرب على التخلص من الاستعمار والرجعية .. وسوف لن يتوانى الاتحاد السوفياتي عن مساعدة اسرائيل وحركات التحرر العربية التقدمية على تنظيف المجتمع العربي من الاستعمار والرجعية العربية .. »

.. وأعداؤها هم عملاء الاستعمار وشركات البترول

وقبيل تصويت مجلس الامن في ربيع ١٩٤٩ لصالح انضمام اسرائيل إلى عضوية الامم المتحدة ، قال جاكوب مالك :

« ان الذين أدلوا ببياناتهم هنا ، يدعون فيها بأن مسألة اللاجئين العرب هي في عنق اسرائيل .. والذين يتهمون اسرائيل بطرد اللاجئين العرب ، هم جماعة تتحدث بلغة الاستعمار والرجعية ..

.. ان مسؤولية اللاجئين ملقاة أولاً وآخراً على عاتق الغزاة الأجانب من الجيوش العربية ، التي حاولت مكافحة ثورة التحرير الوطني اليهودية ضد الاستعمار البريطاني والرجعية العربية في فلسطين وفي كل الشرق الاوسط ..

ان أعداء اسرائيل وأعداء ثورة التحرير الوطني اليهودية ، هم عملاء الاستعمار وشركات البترول في الشرق الأدنى ..

هذا النوع من الرجعية العربية والاستعمار البترولي لا يريد السلام في فلسطين ، ولا يريد عناصر تقدمية مثل حركة التحرير الوطني اليهودية ، التي من مقاصدها وأهدافها بعث الأخوة والتعاون بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية ضد الاستعمار والرجعية العربية ..

ان النظرة الموضوعية – طبعاً ، على النحو الذي يفهمه أتباع

الاشتراكية العلمية – تؤكد الحقيقة التالية التي لا تتحمل تبديلا ولا تحويراً : ان اسرائيل لا يمكن أن تسمح للاجئين العرب الذين شردهم الاستعمار والرجعية العربية ، لا اسرائيل ولا حركة التحرير الوطني اليهودية في فلسطين، بالعودة إلى اسرائيل.. وان الحقيقة العلمية – ؟!..– أيضاً تصر على أنه لا يمكن حل مشكلة اللاجئين العرب إلا بعد اعتراف الدول العربية اعترافاً كاملاً باسرائيل ، والتعايش معهـا في السلام والأخوة . وهذا لا يتحقق إلا بسيادة الجماهير العربية على الاستعمار والرجعية .. فحل مشكلة اللاجئين هو جزء من واجبات العرب بالتعايش السلمي مع دولة اسرائيل »[1].

وقد سارع رئيس الوفد السوفياتي في الامم المتحدة ، اثر التصويت لصالح قرار تقسيم فلسطين ، فدخل الى مكتبه وخرج يحمل زجاجة نبيذ وبضعة كؤوس قدمها لأعضاء الوفد اليهودي ، داعياً الجميع ليشربوا نخب «هذا النصر التاريخي الذي كانت الأخوة الاشتراكية الدولية تعمل من أجله منذ البداية »[2].

٣

نقلت في بداية هذا الفصل تصريحين لموشى دايان ، يقول في الأول انه « إذا أصبح لدى العرب قوات أكبر وأسلحة أكثر ، سيصبح عندنا أيضاً قوات أكبر واسلحة أكثر . ومهما علمهم الروس على استخدام أسلحتهم ، فإنهم لن يستطيعوا تعليمهم كيف يقاتلون » . وقال : « باستطاعة الروس أن يحسنوا مقدرتهم على القتال ، ولكن ليس إلى

(١) عن محاضر جلسات مجلس الأمن ، السنة الرابعة ، ص ١٦ .
(٢) دافيد هوروفيتز في كتابه « دولة في مرحلة الولادة » .

الحد الذي يستطيعون معه مجابهتنا »[1].

وقال دايان في تصريحه الثاني : « انني سعيد لأن الاتحاد السوفياتي لم يدفع العرب إلى حرب جديدة . ولقد مرت فترة تزيد عن العام لم يتدخل خلالها الروس في تطورات المنطقة بصورة فعلية ، كما لم يدفعوا العرب إلى استئناف القتال . وهذا ما يدعو إلى السرور ، لأن العرب لن يخوضوا الحرب دون موافقة الاتحاد السوفياتي »[2].

لماذا يؤكد دايان بأن الاتحاد السوفياتي لن يستطيع «تعليم» العرب كيف يقاتلون بالأسلحة السوفياتية .. بل هو مطمئناً ، بسرور ، ان موسكو لن تُحَسّن قدرة العرب العسكرية الى الحد الذي يتمكنون معه من مجابهة اسرائيل بدليل انها - أي موسكو - لم تدفعهم ، كما زعم ، الى استئناف القتال ، رغم مضي اكثر من عام على حرب الخامس من حزيران ؟..

وما الذي يريده دايان من تصريحه لمجلة الجيش الاسرائيلي ، الذي قال فيه : « عندما يخسر قوم الحرب ، تصاب كرامة القوم بالجروح .. ولكن صدمة الكرامة لا تعادلها صدمة الواقع . ومن حسن الحظ أن بين الكبار العرب ، لا سيما بين الزعامات الاشتراكية ، جماعة من الواقعيين الذين يحرصون على مجابهة الواقع أكثر من حرصهم على الكرامة العربية . لقد حاولنا في أعمالنا العسكرية أن نفرض الأوضاع الواقعية على عقول هؤلاء الزعماء العرب ، فوجودنا العسكري قد فرض على هذه الزعامات الحقائق الواقعية .. وستساعد هذه الحقائق الزعامات العربية على أن تحبك الواقع الاسرائيلي مع الواقع الاشتراكي

(١) عن « الصنداي تايمز » ، ١٠ أيلول ١٩٦٧ .

(٢) عن « اهارونوت » الاسرائيلية ، ١٦ آب ١٩٦٨ .

.. فنحن أيضاً درسنا الاشتراكية العلمية ..» ؟!! [1].

هناك الكثير ، والكثير جداً، من التصريحات والمواقف السوفياتية الرسمية ، قبل وابان وبعد حربنا الثالثة المزعومة مع اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ ، التي تمكننا من الإجابة عن هذه الأسئلة .

فجنباً إلى جنب، كما هو معروف، حذر الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية المسؤولين المصريين من المبادرة إلى شن حرب على اسرائيل ، وقد اعترف بذلك كبار القادة في القاهرة ، علناً .

بل ان الاتحاد السوفياتي انفرد عن الولايات المتحدة ، قبل ثلاثين ساعة من عدوان اسرائيل في ٥ حزيران ، بأن ثنى مصر عن مهاجمة اسرائيل ، بعد أن تمكن السيد بوجداييف ، السفير السوفياتي في القاهرة حينذاك ، من إقناع القيادة الاشتراكية العليا في القاهرة ، حوالي الساعة الثانية من صبيحة الرابع من حزيران، بالتخلي عن الخطط الهجومية ضد اسرائيل التي كانت القيادة العسكرية المصرية تطالب بتنفيذها . وطمأن السفير السوفياتي المسؤولين المصريين بأن اسرائيل لا تملك « لا الوسائل اللازمة ،وليس لديها رغبة في القيام بعمل عدواني ضد الدول العربية » .بينما أصبح من الثابت أن الاستخبارات السوفياتية هي التي أعلمت القاهرة ودمشق معاً ، خلال شهر أيار ١٩٦٧ ، بوجود حشود اسرائيلية هائلة على الحدود مع سورية !..

ويعتقد أن السفير السوفياتي ، في صبيحة الرابع من حزيران ، أفهم القيادة الاشتراكية المصرية العليا بأن على مصر ، في حال نشوب

(١) عن « باماهانه » العدد ٤ لعام ١٩٦٧ ، عن « الحياة » اللبنانية ٦٦٦٨ ، ٦ كانون الثاني ١٩٦٨ .

حرب مع اسرائيل ، ألا تفكر بالاعتماد على تدخل مباشر من قبـــل الاتحاد السوفياتي [1].

وحينما تكشّف للرأي العام العربي ، الذي عاش على أوهام الدعاية العربية الماركسية المحمومة ، موقف السوفيات المائع من العرب خلال حرب حزيران،زعم وزير الدفاع السوفياتي الحالي الماريشالغريشكو ، في اجتماع اللجنة العسكرية المنبثقة عن مؤتمر شيوعي عالمي عقـــد في موسكو لدراسة نتائج حرب حزيران،ان سلفه الماريشال مالينوفسكي، الذي توفي في آذار ١٩٦٧، « **كان يضع يده على تقارير مغلوطة تماما عن ميزان القوى في الشرق الأوسط ، وان ذلك هو الذي حمله على تقرير نوع معين وعدد معين من الطائرات التي وافق على ارسالها الى الدول العربية** » [2] .

هل هذا صحيح ؟..

لنر ..

في باريس ، وقبل نحو ثلاث سنوات من حربنا الثالثة، أعلن ناطق سوفياتي عسكري رسمي ، في وقت كان ليفي اشكول يزور فرنسا للمفاوضة من أجل عقد صفقات من الأسلحة الفرنسية، انه « باستطاعة اسرائيل أن تشتري السلاح أيضاً من الاتحاد السوفياتي ، وليس فقط من المصادر الغربية . فالقضية بالنسبة إلينا هي المتاجرة بالسلاح في صفقات تجارية . إذ اننا نبيع الجمهورية العربية المتحدة وغيرهـــا من الدول التي تبحث عن السلاح ، دون أن يكون في تعاملنـــا التجاري بالسلاح مع مصر أو غيرهـــا من البلدان العربية ، أي التزام بالمشكلة

---

(١) عن « ليموند » ٢٣ ايلول ١٩٦٧ ، نقلا عن « نيويورك تايمز » في عددهـا الصادر يوم ٤ حزيران ١٩٦٧ .

(٢) عن « النهار » ١٩٧٠ ، ١١ حزيران ١٩٦٧ .

الفلسطينية . اننا على أحسن الصلات مع اسرائيل ، ولم ولن يصدر عنا أي عمل أو معونة أو تواطؤ مع مصر أو غيرها، للاضرار بالكيان السياسي المستقل لاسرائيل ..

وهذه هي القاعدة الحقيقية للسياسة السوفياتية في الشرق الاوسط: اننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية فقط ، لكننا لا نشاركهم ، ولا يمكن أن نفعل ، في العدوان على اسرائيل .

لقد كان موقفنا منذ البداية المعارضة الشديدة للعدوان العربي الرجعي على اسرائيل ، وأعربنا عن معارضتنا لهذا العدوان الرجعي العربي بأكثر من العمل الدبلوماسي في الامم المتحدة لتأييد اسرائيل . أعربنا عن تأييد اسرائيل بالسلاح والعتاد والرجال في أقسى ظروف الأزمة الفلسطينية . فما قدمناه ونقدمه لمصر وغيرها من السلاح ، هو لأغراض دفاعية ولمكافحة الرجعية العربية فقط ، ولا يمكن أن نسمح باستعماله للعدوان على اسرائيل ، فنحن نريد سلامة اسرائيل ، بل اننا نعمل من أجل سلامتها ..

ثم ، هل تظنون أننا جاهلون لأهمية اسرائيل ، بالنسبة إلينا ؟..

وهل تظنوننا لا نعلم ما هو نوع الحكم الاشتراكي السليم الذي تبنونه في اسرائيل بأيديكم ؟..

وهل من المعقول أن نكون طرفاً في هدم التجربة الاشتراكية الفذة التي حققتها اسرائيل ؟..

وهل تظنون اننا مهملون أهمية الوجود الاسرائيلي في الشرق الأوسط ، تلك المنطقة المهمة ؟..

اطمئنوا .. اطمئنوا .. ان الاتحاد السوفياتي مع اسرائيل ، وسيؤيدها اليوم وغداً ، كما أيدها ورعاها بالأمس ، ونحن نرعى

الاشتراكية العربية لأن في ذلك تعزيز لمصلحة اسرائيل أيضاً..»[١].

وقال المستشار الأول للسفارة السوفياتية في تل أبيب، في محاضرة ألقاها على طلبة الجامعة العبرية:

«لم نقدم لمصر الأسلحة إلا بما يكفي لحاجات الدفاع لا الهجوم. وعلى الشعب في اسرائيل أن يتذكر بأن الاتحاد السوفياتي كان أول من دعا إلى حظر توريد الأسلحة إلى الشرق العربي عـــام ١٩٥٧. ونحن مستعدون لحظر السلاح عن المنطقــة العربية، لكن حركات التحرر اليسارية في العالم العربي تحتاج إلى السلاح لتكافح الرجعية العربية وتقضي عليها وعلى من يساعدها من قوى الاستعمار..

وان القضاء على الرجعية العربية سيزيل خطر العدوان العربي على اسرائيل، لأن الأنظمة والحركات التقدمية واليسارية في البلدان العربية لا تريد العدوان على اسرائيل..

نحن نعلم ذلك، تمام العلم، فالتجربة الاشتراكية وعمليات التحويل الاشتراكي في مصر وغيرها، ستفرض على جارات اسرائيل الانهماك المتواصل وتوفـير الأموال اللازمة للتحويـــل الاشتراكي، وشعار الاشتراكيين العرب في كل مكان: السلام والتعايش السلمي..»[٢].

وفي خطاب لديمتري شوفاخين، السفير السوفياتي في اسرائيـل، ألقاه في أحد احتفالات اسرائيل الدينية بتل أبيب، جاء قوله:

«دعوني أقول لكم، بكل صراحة، ان الاتحـــاد السوفياتي،

---

(١) الملحق العسكري السوفياتي في باريس، في تصريح خاص لمراسل «معاريف» الاسرائيلية، ٢٢ حزيران ١٩٦٤.

(٢) عن «ها ارتس» الاسرائيلية، ٤ شباط ١٩٦٥.

حكومة وشعبا، وبلا نفاق ولا رياء ، يحب اسرائيل حبا جما ، ويعجب
أشد الإعجاب بكل ما حققته من عمران وبناء وعدالة ومجد في أرض
الآباء والأجداد اليهود .

.. اني أناشدكم هنا في اسرائيل ، وفي المجتمع اليهودي العالمي ، أن
تؤيدوا سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق العربي ، لأنها سياسة فيها
كل النفع وكل الخير لاسرائيل ولليهودية العالمية .

اننا نحارب الحلف الاسلامي ونجند لذلك كل الأصوات العربية الاشتراكية القوية لمكافحته. فانهزام العصبية العربية الدينية والقومية مفيد ، أجل الفائدة ، لاسرائيل ولأنصارها من اليهود في كل مكان، وفي الاتحاد السوفياتي بصفة استثنائية .

لقد بذلنا، نحن السوفيات ، أعظم الجهد لضمان الاتجاه العربي نحو الاشتراكية التقدمية . وهذا الاتجاه هو العامل الأساسي الوحيد الذي سيصون اسرائيل . وسوف لن نسمح للنعرات العربية الأخرى أن تستيقظ بنفسها ، أو بمعونـــة الاستعمار ، لكي تحطم ما بنيناه وما زرعناه من قواعد اشتراكية قوية في المنطقة العربية .. فهناك تجانس واتفاق كليا بين المصلحة السوفياتية ومصلحة اسرائيل .

ويجب ألا يداخلكم أنتم اليهود ، سواء في اسرائيـــل أو في أي مجتمع يهودي في العالم ، أدنى شك في أننا سنتعمد وسنسعى وسننجح في معادلة القوة الاسرائيلية بالقوة العربية ، لا سيما في نطـــاق التسلح الذري . وتعرفون أن أقوى الدول العربية تسلحا ، تعتمد على الاتحاد السوفياتي في السلاح والعتـــاد والخبرة الفنية اللازمة لهذا النوع من الأسلحة الحديثة المعقدة. والاتحاد السوفياتي قادر على ضبط أي شطط عربي ، ولا يعتقد بأن الجـانب العربي الاشتراكي التقدمي يضمر العداء لاسرائيل . نحن متيقنون من ذلك ، وواثقون كل الثقة ،

وقادرون على ضمان السلوك العربي عسكريا ..»(١).

ولقد تحولت هذه التأكيدات من حيز الكلام إلى حيز التنفيذ خلال حربنا الثالثة ، كما اتضح للذين لم يجعل الله من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً .

وفي الكلمة التي ألقاها ألكسي كوسيغين في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في « لاتفيا » بالاتحاد السوفياتي ، أكد رئيس الوزراء السوفياتي بأن سياسة بلاده نحو اليهود السوفيات ونحو اسرائيل ونحو يهود العالم أجمعين ، هي سياسة ود وحضانة وصداقة ودفاع عن مصالحهم وحقوقهم . وأشار إلى أن التاريخ السوفياتي يؤكد « أننا كنا منذ البدء نرعى الجماهير اليهودية في العالم ، ونحرص على مصالحها ونؤيدها بكل الوسائل » . وذكر ان الاتحاد السوفياتي في حربه ضد النازية كان يحارب خصوم اليهود أيضاً ، في وقت واحد . وأوضح بأن تأييد موسكو لاسرائيل في الأمم المتحدة ، « هو جزء من رعاية السوفيات والاشتراكية الدولية للأمة اليهودية ..»(٢) .

وقالت صحيفة « البرافدا » ، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفياتي ، انه « من الضروري جداً أن تفهم الجماهير الكادحة في كل مكان ، أن هناك فرقاً بين السياسة الرسمية للدولة وبين المصير الجماهيري في إطار الأخوة الاشتراكية العالمية » . وقالت الصحيفة السوفياتية في مقال افتتاحي ، ان الاتحاد السوفياتي يحرص على أخوة الجماهير ، وان عارض سياسة الدوائر الحاكمة في اسرائيل . وتنبأت

---

(١) عن « الايكونوميست » البريطانية بتاريخ ١٨ اذار ١٩٦٦ ، نقلا عن مجلة « جويش كرونيكل » البريطانية الاسبوعية ، اليهودية الاتجاه ، تاريخ ١٨ آذار ١٩٦٦ .

(٢) عن « جويش كرونيكل » ٢٣ تموز ١٩٦٥ .

صحيفة الحزب الشيوعي السوفياتي، بأنه سيأتي اليوم الذي تتبدل فيه السياسة الاسرائيلية الحالية للدوائر الحاكمة [1].

وبينما كانت موسكو تحذر القاهرة بضرورة عـــدم البدء في شن هجوم على اسرائيل ، كان كوسيغين يبعث برسالة ، في ٣ حزيران ١٩٦٧ ، إلى ليفي أشكول يعرب فيها عن أمله « **في ان تعمل اسرائيل كل ما باستطاعتها للحيلولة دون اضرام نار الحرب» وقد علق اشكول على بادرة رئيس الوزراء السوفياتي هذه، فاعرب في اليوم ذاته عن « ارتياحه لاهتمام السوفيات باحلال السلام في الشرق الاوسط»!!..**

وبعدما احتلت اسرائيل نحو ١٨ ألف ميل مربع من أراضي ثلاث دول عربية ، واتسع عرض خصرها من ١٢ إلى ٥٠ ميـــلا ، أعلن اندريه غروميكو – اياه !.. – أمام مجلس السوفيات الأعلى ، في ٢٧ حزيران ١٩٦٨ ، « **انما مقتنعون بأن محادثات موسكو مع الرئيس المصري ، ستكون مثمرة ، وستؤدي الى ضمان السلام في الشرق الأوسط » !!.. مؤكداً ان الاتحاد السوفياتي « مدرك لضرورة احترام سيادة كل دولة وكيانها في المنطقة ، سواء منها الدول العربية ام اسرائيل » !! [2]**

ومجلس السوفيات الأعلى هذا الذي أعلن أمامـه غروميكو بأن محادثاته مع الرئيس المصري ستؤدي إلى ضمـــان السلام في الشرق الاوسط ... ، كان في ٣ تشرين الأول ١٩٦٧ ، أي بعد مضي أقـل من أربعـة أشهر على عدوان اسرائيل على « أصدقائه العرب » ، قد أنعم بوسام لينين على المنطقة اليهودية ذات الاستقلال الذاتي ، الواقعة

---

(١) عن « برافدا » ١١ ايلول ١٩٦٥ .

(٢) عن « النهار » ١٠٠٢٠ ، ٢٨ حزيران ١٩٦٨ .

إلى الجنوب من سيبيريا ، « للنجاحات التي حققتها المنطقة في البنـــاء الاقتصادي والثقافي »[1] .

٤

ان دايان يعرف كذلك ، وهو يعرب عن سروره من موقف الاتحاد السوفياتي حيال الشرق الاوسط ، وعن ثقته بأن موسكو لن تجعـل من العرب قوة تتمكن من مجابهـــة اسرائيل .. يعرف ان « شحنات الاسلحة السوفياتية الأخيرة لمصر لا تشكل خطراً ، ما لم يضع السوفياتيون أصابعهم على الزناد »[2] .. لأنه متأكد من أن الاتحاد السوفياتي يُبقي أيديه دوماً على مفاتيح الأسلحة التي يبيعها ، وانها إذا أريد لها أن تستعمل ، فلمكافحة الرجعية العربية ودعاة « الحلف الاسلامي » فقط !..

ففي ختام رحلته الطويلة التي زار خلالها عدداً من البلدان العربية الثورية ، بعد حرب حزيران بنحو شهر ، أعلن الرئيس السوفياتي نيقولاي بودغورني انه « **في كل مكان وصلت اليه ، وجدت رجالاً يتوقعون مني أن أجهزهم بالوسائل ليبدأوا الحروب من جديد وفي أقرب وقت ممكن . لكن كل مكان غادرته ، تركت فيه رجالاً نجحت في تهدأتهم .. وفي كل مكان ، سنبقي أيدينا على مفتاح الأسلحة التي نعطيها لهم** »[3] .

ويقال ، استناداً إلى معلومات استقيت من مسؤولين مصريين ، ان الاتحاد السوفياتي رفض في أوائل صيف ١٩٦٨ طلباً من مصر بتزويدها بصواريخ تطلق من الأرض إلى الأرض[4] .

---

(١) عن « النهار » ٩٧٦٨ ، ٤ تشرين الأول ١٩٦٧ .
(٢) من تصريح لدايان لمجلة « باري ماتش » الباريسية ١١ تموز ١٩٦٧ .
(٣) عن « تايم » ٢١ تموز ١٩٦٧ .
(٤) عن « النهار » ١٠٠٥٣ ، ٣١ تموز ١٩٦٨ .

ويبدو أن بعض العرب الثوريين – أخيراً ؟!.. – قد ضاق ذرعاً بمجموعة مواقف الاتحاد السوفياتي من الشطط الاسرائيلي والعنجهية اليهودية ، مستذكراً القليل من التصريحات العلنية ، مما أمكن الاطلاع عليه ، التي أدلى بها الزعماء السوفيات في الآونة الأخيرة .

من هذه التصريحات السوفياتية ، مثلاً ، ما جاء في خطاب ألكسي كوسيغين، يوم ١٩ حزيران ١٩٦٧ ، وجراحات ملايين العرب والمسلمين ما تزال تنزف بعد ، أمام الجمعية العمومية للامم المتحدة في دورتها الاستثنائية، التي انعقدت خصيصاً لبحث العدوان الاسرائيلي على الدول العربية في ٥ حزيران ، قوله :

« ... يقف الاتحاد السوفياتي ضد السياسة العدوانية التي تنتهجها الأوساط الحاكمة (١) لهذه الدولة . وان الاتحاد السوفياتي ، طيلة الاعوام الخمسين من تاريخه ، يكن الاحترام لكل الشعوب ، صغيرها وكبيرها . فلكل شعب الحق في تأسيس دولته الوطنية المستقلة. وهذا هو من المبادىء الأساسية لسياسة الاتحاد السوفياتي . ولقد حددنا من هذا بالذات ، موقفنا من اسرائيل كدولة ، وصوتنا في عام ١٩٤٧ إلى جانب قرار منظمة الأمم المتحدة بقيام دولتين مستقلتين يهودية وعربية في أراضي فلسطين ، التي كانت مستعمرة بريطانية . وأقام الاتحاد السوفياتي ، بعد ذلك، علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل، اهتداء منه بذلك الموقف المبدئي » (٢).

(١) سيلاحظ القارىء هنا وفي أي انتقاد أو هجوم سوفياتي آخر ، ان هذا الهجوم أو ذلك الانتقاد لا يوجه قطعاً إلى اسرائيل ، إلى وجودها وطبيعة تكوينها ، إنما إلى سياسة وجود « الأوساط الحاكمة » أو « الدوائر الحاكمة » فيها !..

(٢) عن « الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين » ، ص ٢٢ ، من سلسلة « دراسات فلسطينية » .

وأوضح رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي ، استزادة في الإيضاح ، في تصريح آخر ، بأنه « ليس لدينا خطط عدائية ضد اسرائيل . ففي الماضي كنا البادئين في خلقها ، ونحن لا نزال نؤمن بأن اسرائيل يجب أن تبقى كدولة »[١] .

ونفى باسم الاتحاد السوفياتي ، حكومة وجيشاً وشعباً ، المزاعم «الامبريالية» التي تقول ان بلاده تؤيد حرباً جديدة في الشرق الأوسط ، مؤكداً أن بعض الدول العربية ، الثورية طبعاً ، تؤيد موسكو في مساعيها للوصول إلى تسوية سلمية للمشكلة ، فقال :

« لسنا أنصار حرب جديدة في الشرق الاوسط ، بل على العكس ، نحن نريد سلاماً مستقراً في المنطقة .. ومصر وبعض الدول العربية الأخرى تؤيد هذا الموقف . اننا نرفض تصفية اسرائيل ، إنما نؤيد استمرارها كدولة »[٢] .

.. أقول ، يبدو أن بعض الثوريين العرب ، ولأسباب لا يعلمها إلا الله ، قد ضاق ذرعاً بكل هذا ، فصارح أحد المقربين من الرئيس المصري دبلوماسياً سوفياتياً جاء إلى القاهرة كعضو في بعثة عسكرية سوفياتية ، بقوله :

« تدّعون ان اشتراكيتنا العربية لم تؤد بنا الى أي نتيجة ، وانه ينبغي لنا ان نعتنق الاشتراكية السوفياتية ؟ فليكن . وعليكم بعد ذلك ان تقوموا أنتم أنفسكم بالاختيار . عليكم ان تحصلوا على سحب القوات الاسرائيلية . أكدوا لنا اننا بمساعدتكم سوف ننتصر على

---

(١) من حديث له مع رئيس تحرير « تايم » أجري بقصر الكرملين . نشر في العدد الصادر في ٢ كانون الثاني ١٩٦٨ .

(٢) من خطاب له في مينسك يوم ١٥ شباط ١٩٦٨ ، نقلته وكالتا أنباء « رويتر » و « و.ص.ف. » . راجع « النهار » ١٧ شباط ١٩٦٨ .

اسرائيل. ولكن لا تطلبوا منا، في وقت واحد،ان نكون معتدلين ، وان نعترف بوجود اسرائيل،وان نعتنق عقائد ليست عقائدنا. واذا كان الأمر مقتصرا على اعطائنا نصائح بالاعتدال،فالاميركيون هنا، وهم ، فضلاً عن ذلك ، مستعدون لمساعدتنا بشكل قوي »[١] .

وقال محمد حسنين هيكل ، يشرح المهمة التي جاء من أجلها الرئيس السوفياتي بودغورني إلى القاهرة وبعض الدول العربية ، بعيد حرب حزيران :

« جاء بودغورني الى هنا،وأجرى تحقيقاً في نظامنا السياسي، والقى علينا درساً في الاشتراكية العلمية . ولكن في هذه الأثناء كان كوسيغين يتحادث مع جونسون ليفرضا علينا حلاً وسطاً . وفي مثل هذه الظروف، فنحن لسنا صفاراً، وباستطاعتنا التفاهم مباشرة مع الاميركيين، عن غير طريق الروس ، وهذا لا يرغمنا على اعتناق الماركسية »[٢] .

لذلك كان من الطبيعي جداً ، كاستمرار في تنفيذ الخطة التي كان السوفيات قد أشاروا إليها في خطاباتهم بالامم المتحدة، ولمناسبة مرور عام على ذكرى الهزيمة العربية المرة ، أن يدعو السفير السوفياتي في القاهرة المعين بعد حرب حزيران ، سيرجي فينوغراف، الدول العربية إلى الصبر ، للوصول إلى حل سياسي لأزمة الشرق الأسط[٣] .

كما كان من الطبيعي أكثر ، أن تتهم صحيفة « البرافدا » ، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفياتي ، أي موسكو « الثورة » ، العرب المتعصبين ، ذوي الرؤوس الحامية ، بالإساءة إلى قضيتهم

(١) عن « نوفيل اوبسرفاتور » ، ١٤ آب ١٩٦٧ .

(٢) عن « الاكسبرس » ١٨ ايلول ١٩٦٧ .

(٣) عن « الأخبار » القاهرية ٥ حزيران ١٩٦٨ .

بنداءاتهم الهستيرية بالقضاء على اسرائيل [1] ، ثم تمتدح ، من جهة أخرى ، البلدان العربية التي أظهرت « حسن إدراك وشعوراً بالمسؤولية » [2] . ثم تؤكد صحيفة « الازفستيا » ، الناطقة بلسان الحكومة السوفياتية ، أي موسكو « الدولة » ، لمناسبة مضي عام على النكبة العربية الاسلامية الرهيبة ، للدول العربية أن « تسوية سياسية هي الطريقة الحكيمة الوحيدة ، لتسوية النزاع بين هذه البلدان واسرائيل .. » [3] .

بعد هذا القليل .. القليل الذي نعرفه ، وما أدراك بما لا نعرفه ، ما الذي ننتظره من مسؤول اسرائيلي يعتبر من « الحمام » ، أو المعتدلين ، أن يعلق على أهمية الوجود السوفياتي في البلدان العربية بالنسبة لاسرائيل ، بعد أن أكد بن غوريون ، السياسي الصهيوني المتعصب ، بأن « الاتحاد السوفياتي يحترم اسرائيل » ، وأعرب موشى دايان ، تلميذه « النجيب » ، عن سروره البالغ من موقف الاتحاد السوفياتي حيال الأزمة في المنطقة ، سواء من طريقة معالجته تسليح العرب أو من عدم دفعه إياهم إلى استئناف القتال ، وكأن العرب الحقيقيين ينتظرون أوامر موسكو ليبدأوا حربهم المقدسة ضد اسرائيل ؟..

يقول أبا ايبان ، وزير خارجية العدو ، تعليقاً على موقف الدول العربية الثورية وغير الثورية من اسرائيل ، المقترن بالوجود السوفياتي في المنطقة ، بالحرف :

« صحيح اننا عملنا حتى الآن على تسهيل الحياة أمام مملكة تعيش بعيدة عن النفوذ السوفياتي – يقصد الاردن – . ولكن ، في النهاية ،

---

(١) « برافدا » ٣ آب ١٩٦٧ .

(٢) « برافدا » ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

(٣) « ازفستيا » ٤ حزيران ١٩٦٨ .

تفرض علينا مصالحنا الاختيار.. نجد الآن انه يوجد في سورية نظام بعثي، عنيف في عدائه لاسرائيل - ؟!.. - وهو تحت النفوذ السوفياتي. ولكن الواقع ان هدوءاً كاملاً يسود خطوط وقف اطلاق النار التي تفصل بيننا وبين هذه البلاد وبتعبير آخر، وبقطع النظر عن المفاهيم العقائدية، علينا ان ننظر الى الأمور نظرة واقعية»[1].

بينما نسب إلى ايغال آلون، نائب رئيس وزراء العدو، قوله:

«اني أتحدث بالاصالة عن نفسي، وبالنيابة عن الآخرين، عندما أقول انني أضع الوزن الأساسي لجهودنا في الحصول على السلام.. على القاهرة.. ان هذا سيمهد الطريق للسلام مع بقية الدول العربية»[2].

---

(١) عن تصريح له لمجلة «الاكسبرس» الفرنسية، ٢٢ نيسان ١٩٦٨.
(٢) عن تصريح له الى «الاوبزرفر»، ٤ شباط ١٩٦٨.

الفصل الرابع

ليس من مصلحة اسرائيل أو الاتحاد السوفياتي ، وكلاهما معاً ، أن يكشف لنا آبا ايبان وزير خارجية اسرائيل، عن طبيعة مقترحات السلام السوفياتية بين العرب واسرائيل التي قدمها إليه، يوم كان سفيراً لاسرائيل لدى الامم المتحدة عام ١٩٥٦ ، اردكاي سوبوليف ، رئيس الوفد السوفياتي لدى الامم المتحدة في ذلك العام ، خلال اجتماع نظم في نيويورك لمناسبة ما يسمى بعيد استقلال اسرائيل .

لكن ايبان يعرف الأسباب الكامنة وراء الدعوة إلى «السلم العادل» بين العرب واسرائيل التي أطلقها، بعد أسابيع قليلة من تقديم مقترحات السلام السوفياتية إلى اسرائيل ، يوسف حلمي ، الزعيم الشيوعي المصري المعروف ، في مقال نشره على صفحات مجلة « الاوبزرفاتور » اليسارية المعروفة باتجاهاتها الصهيونية[1]، أعلن فيه عن تحبيذ اليساريين في العالم كله ، لا سيما العرب واليهود ، لتسوية عربية — اسرائيلية تؤدي إلى سلم عادل ، مطالباً بكم أفواه المتطرفين لدى كلا الجانبين ، لأن الحرب — على حد تعبيره — ستكون كارثة بالنسبة لأصحاب العلاقة جميعاً !..

---

(١) « الاوبزرفاتور » الباريسية في عددها الصادر يوم ٢٥ نيسان ١٩٥٦ .

ويعرف ايبان من هم وراء بث هذه الدعوة إلى « السلم العادل » ، في داخل مصر نفسها ، خلال الاسبوع نفسه ، عبر مقـالة محمود أمين العالم ، المفكر الشيوعي المصري الشهير (وصاحب المناصب الكبرى في أجهزة الأعلام المصرية المؤممة اليوم) ، في مجلة « روز اليوسف » ، التي كرسها لترديد دعوة رفيقه العقائدي يوسف حلمي .

يعرف ايبان أيضاً أهداف وغايات مقال فكري أباظة المعروف بعنوان « الحالة ج » ، الذي نشر في مجلة « المصور » القاهرية المؤممة ، بعد نحو خمس سنوات من مقترحات السلام الاشتراكية السوفياتيـة ، وبعد نحو شهر من صدور قرارات يوليو الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة ، يوم كانت ذات اقليمين .

قال « الاستاذ الكبير » فكري أباظة ، على صفحات بوق إعلامي رسمي ، تشرف عليه مصر الدولة والثورة معاً :

« تقرر الدول بالاتفاق ، حياد منطقة الشرق الأدنى وجميع الدول المنضمة لجامعة الدول العربية ، وينشأ بعد هذا الاتفاق اتحاد فيدرالي بين الدول العربية يكون اختصاصه قادراً على توحيد الجيوش العربية وسياستها الخارجية ، على ان تندمج فلسطين بأسرها في هـــذه المجموعـــة وتشمل اسرائيل بعد ان تزول صفتها الدينية ويصبح الاسرائيليون من رعايا الاتحاد ، الذي يكفل لكل الأقليات حقوقها كاملة ، حسب التقاليد الدولية المتبعة » [1] .

يعرف ايبان أهداف وغايات دعوة فكري أباظـة ، الموظف في مجلة اشتراكية رسمية مؤممة ، لأنه هو نفسه – أي ايبان – عاد فأطلق دعوة مماثلة بعيد خمس سنوات من دعوة أباظـة الثورية الاشتراكية ، عام ١٩٦٦ ، حينما قال بالحرف :

---

(١) مجلة « المصور » العدد الصادر في ١٧ تموز ١٩٦١ .

« ان اسرائيل دعت ، وما تزال تدعو ، الى إقامة شرق أوسط متحد، ذي منطقة مفتوحة، تشتغل بالتجارة الحرة في السلع والآراء. ومن الممكن : إما وجود شرق أوسط متحد مع اسرائيل، وإما عدم وجود شرق أوسط متحد على الاطلاق »[1].

والظاهر أن ايبان يريد « شروطـاً معينة » و « دولاً معينة ذات أنظمة معينة » كشرط لقيام هذا « الشرق أوسط المتحد» الذي يدعو إليه ، بدليل ما جاء في خطابه خلال أحد اجتماعات الدورة الخامسة للمؤتمر اليهودي العالمي ، الذي عقد في بروكسل عام ١٩٦٦ .

فقد قال ايبان في خطابه ذاك :

« إن اسرائيل عازمة على تقوية علاقاتها بالدول التقدمية في الشرق الأوسط ، وستساعد التطورات الاجتماعية والاقتصادية الجارية في بعض الدول العربية ، بأسلوب ثوري فعال ، الاتجاه الاسرائيلي على التسوية النهائية مع خصومها »[2].

ويرى اشتراكي صهيوني بريطاني بارز أنه « لن يكون هنـاك أي أمن للاشتراكيين في اسرائيل ، أو نماء للاشتراكية في البلدان العربية ، بدون إيجاد تفاهم عبر الحدود » ، إذ « ان إيجاد تفاهم بين الاشتراكيين الاسرائيليين والعرب ستكون له قوة كبيرة ، وقد تكون هذه القوة حاسمة في الوصول إلى السلام في الشرق الاوسط » .

وكشف هذا الاشتراكي اليهودي النقاب عن طبيعة محادثاته مـع قادة حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية عام ١٩٥٨ ، أي ابان العمل على إقامة الوحدة السورية - المصرية . فقال : « أستطيع القول إنني اجتمعت إلى أعضاء وقـــادة حزب البعث العربي الاشتراكي ،

---

(١) عن «الجويش اوبزرفر» راجع ملحق « النهار » العدد ٩٦٥٦ ، ٢٨ ايار ١٩٦٧ .
(٢) « الحياة » اللبنانية العدد ٦٢٣٦ ، ١٠ آب ١٩٦٦ .

من الذين درسوا ، دراسة جديـة ، النظرية الاشتراكية والعمـل الاشتراكي ، والذين لديهم تفهم صحيح للمبادىء الاشتراكية » . لكنه يعترف بأن قـادة البعث الذين اجتمع إليهم ليسوا مثقفين « تثقيفاً اشتراكياً ، لأن ذلك الأمر سيكون كثيراً على شعب لم يشعر بقوة الثورة الصناعية إلا مؤخراً ، وبشكل جزئي ، وكان محروماً من الثقافة والعلم ، وفرض عليه الفقر . ولكن العرب – صاحبنا يطمئن اسرائيل – يتجمعون بازدياد حول حزب البعث نتيجة تطلعاتهم نحو الديموقراطية ، وهذه بدورها تصنع الرغبة في المساواة الاجتماعية ، بالاضافـة إلى الاستقلال الوطني . والاسرائيليون يجب أن يكونوا أول المرحبين بهذا الحزب » .

ويزيد عضو حزب العمال البريطاني إلى اطمئنان الاشتراكيين اليهود في اسرائيل ، فيقول :

« في الغالب ، إن ما يشكو منه الاشتراكيون الاسرائيليون ، هو أن الشعوب العربية ترزح تحت سيطرة شيوخ الاقطاع ، ولذلك فإن التعاون معهم يشكل صعوبة فادحة . لكن حزب البعث يفضح الاقطاع وينادي بأن الثروة الناتجة عن النفط يجب أن توزع على الشعب ، بدل أن تذهب إلى الاقطاعيين . لذلك فإن شروط التعاون هي في سبيل التحقيق .

وأما القول بأن العرب هم عنصريون وقوميون ، فهـذا الأمر هو نتيجة لا مفر منها ، بسبب القرون الطويلة من الاستعمار والتحكم . ومن تجاربنا ، تجارب شعبنا نفسه ، يجب على الاشتراكيين اليهود أن يكونوا أول من يقدّر هذا الأمر . اننا على أبواب مرحلة تطور إنساني جديد ، يشعر المرء معه أن كلاً من اليهود والعرب سيصبحون تدريجياً وباطراد ، لا عنصريين و .. أمميين » .

وينبه الاشتراكي اليهودي البريطاني البارز، الاشتراكيين الاسرائيليين بأن عليهم «أن يعلموا أن الاستاذ (..) ، الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي ، قد أشار لي وللدكتور تورز (؟) بأنه على استعداد للدخول في مناقشات مع الاشتراكيين اليهود ، على أساس اتخاذ عمل مشترك لإقامة إتحاد اشتراكي للشرق الأوسط. وهو يفكر باتحاد يسمح للدول المستقلة بحكم ذاتي بالنسبة للشؤون الداخلية ، على أن تترك شؤون الخارجية والدفاع للحكومة الاتحادية. والاستاذ (..) يقول ، بكل صراحة، ان الشعب اليهودي قد جاء إلى الشرق الاوسط ليبقى فيه.

وأحب أن أقول أن التطور التاريخي في العصر الحديث يتضمن التعديل في السيادة القومية ، فالاتجاه الآن هو نحو الاتحاد الاقليمي. وفي النهاية ، كما نأمل ، نحو الاتحاد العالمي. ولا يمكن الاحتفاظ بالاستقلال التام في العصر الحالي. انني آمل انه بنتيجة المناقشات ، ستقوم لجنة مشتركة من الاشتراكيين اليهود والعرب ، لوضع مخطط تفصيلي يتفق عليه ، ليكون أساساً للاتحاد».

ويكرر عضو حزب العمال البريطاني ، نفس دعوة فكري أباظة وآبا ايبان ، فيقول إن الاشتراكيين البعثيين «ينادون بالحياد الإيجابي. وقد قيل لي ان اتجاهاً مشابهاً آخذ في الانتشار في اسرائيل بالنسبة للسياسة الخارجية ، وأن دعوة الدكتور ناحوم غولدمان — الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية — الأخيرة نحو المنطلق الجديد (ومن ضمنه عدم التدخل في الحرب الباردة ، والوصول إلى اتفاق بين الدول الكبرى لإيقاف سباق التسلح والتنافس للسيطرة على الموقف ، وجعل الشرق الأوسط منطقة حيادية) .. قد لاقت ترحيباً قوياً. ولحسن المصادفة — ؟.. — ان جعل الشرق الاوسط منطقة حيادية ، واتفاق

الدول الكبرى حول المنطقة ، همـا أيضاً من سياسة حزب العمال البريطاني . فإذا أمكن جعـل هذا الأمر سياسة اشتراكية مقبولة ومدعومة من اليهود والعرب معاً ، فسيكون هناك خطوة عظيمة في سبيل التعاون » .

ثم ينتقل هذا الاشتراكي اليهودي إلى الحديث عن مشكلة اللاجئين العرب ، فيعالجها بالمنطق الاشتراكي المعروف [1] الذي سبق للسوفيات أن أعلنوا عنه ، كما لاحظنا ، في خطاباتهم بالأمم المتحدة .. فقال :

« ان الشعوب العربية ، بمـا في ذلك حزب البعث العربي الاشتراكي ، تنظر إلى سياسة اليهود في الهجرة غير المحدودة كبرهان على نواياهم في التوسع ، وهي لم تقنع بعـد ، بالتطمينات الاسرائيلية بأن هناك في اسرائيل مساحات واسعة غير مزروعـة ، ولا يرغب العرب باحتلالها لأنها تحتاج إلى جهود فنية مركزة لجعلها خصبة .

---

(١) من المعروف ان الاتحاد السوفياتي ، ومعه كل دول المعسكر الشيوعي ، لم يدفع روبلا واحداً لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين ، حتى في أشد ظروف المأساة الفلسطينية حرجاً وتدفقاً باللاجئين الأبرياء . وموقف السوفيات هذا بقي حتى اليوم دون تبرير رسمي أو غير رسمي .

أما بالنسبة للسياسة السوفياتية حيال الفدائيين ، فيقول الدكتور صلاح دباغ ، على الصفحتين ٢٤-٢٥ من كتابه « الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين » الصادر عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في سلسلة « دراسات فلسطينية » :

« لم يعترف الاتحاد السوفياتي .. بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ورفض بالتالي ان تفتح المنظمة فرعاً لها هناك . ويرفض الاتحاد السوفياتي أيضاً تدريب الفلسطينيين تدريباً عسكرياً سواء كانوا تابعين لمنظمة التحرير أم لغيرها من المنظمات الفدائية . وكذلك اعتذر المسؤول عن شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجيـة السوفياتية عن مقابلة أحد المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية الذي ذهب الى موسكو في مطلع عام ١٩٦٦ بناء على دعوة وجهتها إليه لجنة التضامن السوفياتية مع شعوب آسيا وافريقيا ، وذلك بسبب احتجاج السفير الاسرائيلي في موسكو على دعوة ممثل المنظمة بعد أن أذاعت النبأ الجرائد السوفياتية » .

ومن الممكن حل هذه المعضلة بالتفاوض على حدود تقف عندها الهجرة اليهودية . ونأمل أنه بالاتحاد سيكون المجال أحسن لنمو التفاهم التام، الذي من شأنه تيسير المساعدة الفنية الاسرائيلية في المناطق العربية ..

.. والتقارير الحاليـــة تؤكد أن كثيراً من اللاجئين أصبحوا على استعداد للاستيطان في مشاريع للمعيشة الصحية في العراق وغيرها من البلدان العربية » .

ويعود عضو حزب العمال البريطاني فيجتر المخطط السوفياتي ، قائلا :

« هذه هي المشكلة التي تواجه كل من يرغب في وحدة الاشتراكيين اليهود والعرب. أنا أقدر الصعوبات. ان اليهود في اسرائيل قد أسهموا في بناء مجتمع اشتراكي. وبالتعاون مع الاشتراكيين العرب،فإن كثيراً مما فعلوه في اسرائيل،يمكن أن يكون مثالاً يحتذى في الشرق الاوسط كله .. وأنا أتوق إلى ذلك بإخلاص ، والحوار الأخوي مع الاشتراكيين العرب سيكون الخطوة التالية .

هذا ، وفوق كل شيء ، يجب أن يكون في تفكيرنا أن الاتحاد هو البديل الوحيد للشك والنزاع ، والحرب في النهاية . انـــه الحل الواضح ، إذا أراد الشعب اليهودي أن يعيش في أمان . انه الحـل الواضح ، إذا أراد العرب أن يعيشوا في سلام ، لإيجـــاد الفرصة للتغلب على الفقر . إنما ستكون جريمة لكل من اليهود والعرب على حد سواء ، إذا لم يجتمع الاشتراكيون مع بعضهم ، في سبيل سعي مخلص بناء حول فكرة الاتحاد ، في نطاق سياسة مشتركة تحوّل عداء اليوم

إلى تعاون بناء في الغد »[1] .

ولقد تأسست فعلاً لجنة مشتركة من الاشتراكيين العرب واليهود ، التي دعا إليها فنر بروكوي ، النـائب العمالي اليهودي في مجلس العموم البريطاني ، أطلقت على نفسها اسم « منظمة الاشتراكيين الاسرائيليين» وأصدرت « نداء » ، جاء فيه :

« إن – منظمة الاشتراكيين الاسرائيليين– ، التي تضم في صفوفها العرب واليهود ، تعتقد أن قضية فلسطين والنزاع العربي – الاسرائيلي يمكن ويجب حلها بطريقة اشتراكية وأممية ، مع اعتبـار الخصائص الفريدة لهذه القضية المتشابكة .

.. يجب أن تخضع دولة اسرائيل إلى تغير ثوري عميق يحوّلها من دولة صهيونية .. إلى دولة اشتراكية تمثل مصالح الجماهير التي تعيش فيها.

على اسرائيل أن تضطلع بدور فعال في نضال العرب ضد الامبريالية ، ومن أجل بناء وحدة عربية اشتراكية .

إن حل قضية فلسطين يجب ألا يقتصر على إصلاح ما تم من حيف بحق العرب الفلسطينيين ، بل يجب أن يضمن أيضاً المستقبـل القومي للجماهير اليهودية .

إن أولئك القادة العرب الذي ينادون بالجهاد المقدس من أجـل تحرير فلسطين ، ينكرون حقيقة هي انـه حتى لو هزمت اسرائيل عسكرياً ، ولم تعد موجودة كدولة ، سيبقى الشعب اليهودي موجوداً . إذا لم تحل مشكلة وجود هذا الشعب بصواب ، ستخلق من جديد حالة

---

(١) هو فنر بروكوي ، عضو حزب العمال في مجلس العموم البريطاني ، في مقالة نشرها بمجلة « نظرة جديدة » الاسرائيلية في عددها الصادر يوم ٧ شباط ١٩٥٨ ، بعنوان « الاشتراكيون السوريون يتحدثون عن السلام ».

تناقض قومي خطير وطويل ، وهذه ستسبب إهراق دماء ومآسي لا نهاية لها ، ومبرراً للتدخل الامبريالي .

بالاضافة إلى ذلك، يجب أن يفهم أن الجماهير الاسرائيلية لن تتحرر من تأثير الصهيونية ، ولن تناضل ضدها [1]، إلا إذا تقدمت لها القوى التقدمية في العالم العربي بأمل التعايش السلمي ، بدون تسلط قومي .

لذا تعتقد « منظمة الاشتراكيين الاسرائيليين » ، أن حلا حقيقيا لقضية فلسطين يتطلب الاعتراف بحق الشعب اليهودي في تقرير المصير .

يتبع ذلك ، أن الحل الوحيد المتطابق مع مصالح الجماهير العربية والاسرائيلية، هو اندماج اسرائيل كوحدة في اتحاد اقتصادي وسياسي للشرق الأوسط ، على أساس الاشتراكية .

ان التحليل النظري والتجربة العملية يظهران انه يمكن للوحدة العربيـــة أن تشكل وتبقى في سبيل راسخ ، إذا كان لهـــا صفة الاشتراكية .

يستطيع المرء أن يلخص الحـــل الذي نقترح : إلغاء لصهيونية اسرائيل واندماجها في اتحاد اشتراكي للشرق الاوسط .

نصر على أن مسألة المستقبـل السياسي لعرب فلسطين ، يجب أن تحل ضمن هذا الاطار .

---

(١) التفريق بين الصهيونية واليهودية شرك نصبوه لنا . فبن غوريون نفسه لا يفرق بينهما ، حينما يقول :

« أنا يهودي أولاً ، واسرائيلي بعد ذلك فقط ، لاعتقادي بأن دولة اسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه » . ويؤكد ثيودور هرتزل « نبي الصهيونية » ، في خطابه الافتتاحي للمؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ في بازل ، بأن الصهيونية هي العودة الى حظيرة اليهودية » .

هناك من يعتقدون أن العدل يقضي بتأسيس كيان سياسي خاص لعرب فلسطين. وجهة نظرنا : أن هذا الموضوع يجب أن يقرره العرب الفلسطينيون ، دون تدخل خارجي . إلا أننا نظن أن طرح مسألة المستقبل السياسي لعرب فلسطين بمعزل أو بشكل مستقل عن مسألة الوحدة العربية الاشتراكية سيكون خطأ خطيراً. العرب الفلسطينيون حالياً في الصفوف الأولى للنضال من أجل الوحدة ، وإذا ما قدم لهم هدف منعزل ومستقل، قد تعاني قضية الوحدة العربية ضرراً خطيراً. وتأسيس دولة عربية صغيرة منفصلة لا ينسجم مع مصالح الشعب العربي ، بما في ذلك الشعب العربي الفلسطيني .

لذلك ، نعتقد انه إذا قرر العرب الفلسطينيون تأسيس كيان سياسي لهم ، يجب أن توضع الترتيبات السياسية والاقليمية في إطار تأسيس اتحاد اشتراكي للشرق الأوسط . وعلى الدول التي تسيطر على أجزاء على أرض فلسطين – اسرائيل ، الاردن ، مصر – أن تساهم بشكل خاص في مثل هذا الحل »(١).

٣

ها هو زعيم شيوعي عربي كبير ، لعله من « منظمة الاشتراكيين الاسرائيليين » ، يعود بنسبه – للأسف الدامع – إلى بطل من أبرز أبطال أمتنا العربية والاسلامية المعاصرين الأمجاد ... أثبت بزياراته المتكررة لاسرائيل وتأليفه عدداً من الكتب عنها ، أن « الأخوة الاشتراكية » – التي زرعها ونماها السوفيات وكل الأغبياء من

(١) عن « نداء منظمة الاشتراكيين الاسرائيليين » ، نشرته مجلة «الحرية» اللبنانية ، لسان حال حركة القوميين العرب، في عددها ٤٠١ ، تاريخ ٢٦ شباط ١٩٦٨ ، دون أن تشير الى المصدر الأصلي .

أمتي ، الخونة منهم والبلهاء – (وقد تكون هي التي عناها ايبان بعبارته القائلة : « يوجد في الكيمياء ما يسمى بالانصهار تحت الحرارة العالية ! » ...) [1] ... هي وحدها الصالحة لأن تجعل من العربي الاشتراكي « المتمركس » صديقاً حميماً لأعداء أمتـه ووطنه ، الذين وضعوا مصير الوجود العربي والاسلامي برمته على كف عفريت !..

في رأي هذا الزعيم ، وأنا أبكي أمتي ، العاثرة ، كلما خطرت على بالي آراؤه وأفكاره ومواقفه .. بل استعد لنعيها .. لا سمح الله !..

.. في رأيه بأنـه « على عكس جميع ما يقال وتردده الدعـاية العربية ، ليست الصهيونية واسرائيل من صنع الاستعمار. ان مجرد كون وزير المستعمرات البريطانية ، لورد بلفور ، هو الذي أعطى وعـده عام ١٩١٧ ، بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، لا يعني أبداً أن اسرائيل هي صنيعة الاستعمار ، لأن عدداً كبيراً من الدول والأمم في العالم أسهم في إيجادها وخلقها .. الصهيونية وجدت قبـل بلفور ووعوده ، ومولد الأمم واندثارها ليسا من صنع فرد واحد ، بل ان التطور المادي وديالكتيكية التاريخ هما اللذان يؤثران على وجود أمة ما واندثارها » .

« هناك اليوم في العالم العربي قوميتان غير عربيتين تشكلان التناقض الأساسي الذي يشعل النـار في الشرق الأوسط : القومية الكردية والقومية اليهودية . والقوميتان ليس لهما إلا حل واحد ، هو انتقـال الدول العربية إلى المرحلة الاشتراكية الصحيحة . ففي الوضع الاشتراكي تزول المتناقضات » .

ان الصهيونية ليست تعبيراً عن (إرادة) المائة ألف يهودي في فلسطين ، بل هي تعبير عن إرادة ١٨ مليون يهودي موزعين في جميع

(١) عن « فيغارو » الفرنسية ، ٢٨ ايلول ١٩٦٧ .

أنحاء العالم ، والذين يضمون رجـال علم وفكر واقتصاد وسياسة من الطراز الأول . ان البلاد العربية فقيرة ومتخلفة ، وكان باستطاعة الهجرة اليهودية أن تلعب الدور الرئيسي في تطوير منطقة الشرق الأوسط . لكن الاستعمار البريطاني رفض أن يتم ذلك . ومن أجـل تحطيم هذا الهدف ،بدأ البريطانيون يزرعون بذور الحقد للحيلولة دون التعاون بين العرب واليهود ، دون أن يستغل العرب كفاءات اليهود العلمية والفنية في سبيل تطوير بلادهم .

ان سقوط خروتشوف وضع نهاية لما يسمى بالحياد الإيجابي في المنطقة العربية . لم يعد بعد اليوم أي مكان لطريق ثالث ، أو قوة ثالثة . ليس إلا الرأسمالية أو الاشتراكية الماركسية – اللينينية !..[1] . ولا يمكن المنطقة أن تعيش بسلام وتزدهر ، إلا إذا سقطت الأنظمة الرجعية وقامت الاشتراكية الصحيحة التي تعيد الحوار بـين العرب ويهود اسرائيل ، وتنهي جميع المشاكل والعراقيل القائمة اليوم »[2] ..

ترى ، مـا علاقة حرب حزيران التي كان الاتحاد السوفياتي واسرائيل الرابحان الوحيدان منها ، بسلام المنطقة وازدهارها ، كما يقول هذا الاشتراكي « العربي » ، وبـين سقوط الأنظمة الرجعية وقيام الاشتراكية الصحيحة ، ومن ثم ازدياد النفوذ السوفياتي اليوم في

---

(١) عند الساعة ٢٠٣٠ من بعد ظهر يوم ١٤ آب ١٩٦٧ ، بثت اذاعة دمشق تعليقاً سياسياً ، دعت فيه الى الانحياز في السياسة الدولية الى «جانب معسكر الشعوب الحرة ، معسكر الاشتراكية ، الى جانب الاتحاد السوفياتي » ، كحل لمعالجة الظروف الراهنة .

(٢) هو عبد الرزاق عبدالقادر (حفيد البطل العربي المسلم عبد القادر الجزائري) . زعيم الشيوعيين الجزائريين ، زار اسرائيل أكثر من مرة . وكتاب « العـالم العربي عشية مفترق » المنقولة عنه آراءه الآنفة الذكر حرفياً ، هو كتابه الثاني عن اسرائيل ، وقد صدر في عام ١٩٦٧ .

المنطقة ، على نحو لم يعرفه التاريخ ؟..

في يقيني أن زلزال حزيران ، قضى نهائياً على كل سدود وحواجز الديماغوجية والفوغائية التي كانت تحول بين العقل العربي وبين طريق البحث والتمحيص والوعي .

وإذا ما تصورنا ، بحسن نية ، أن آراء هذا الشيوعي « العربي » هي آراء فردية شخصية ، لا سيما وأن ألسنة الدعاية العربية الثورية — تساندها أقوى ألسنة الأرض الاعلاميـــة في واشنطن وتل أبيب وموسكو - كرست إمكاناتها طوال العقدين الماضيين من السنين للدفاع عن « نظافة » السياسة السوفياتية والتطبيل بقذارة السياسة الاميركية ، والغربية على وجه العموم ، نحو العرب .

.. إذا تصورنا ذلك ، نتيجة تلك الدعاية الغوبلزية السامة ، فإن الأحداث والوقائع التاريخية المعاصرة تؤكد عكس ذلك تماماً ، وتثبت اننا كنا بالنسبة لقضية فلسطين ، خصوصاً ، بلهاء .. وسخفاء .. و.. أخجل من قول الحقيقة التي تجمدت ، بل تفسخت ، في دنيانا العربية ، بعد أن دفن الثوريون وعي العقل العربي ..

الأحداث والوقائـــع المضادة لتصورنا الحسن النية ، التي عنيتها كثيرة جداً ، لكن اليهودية العالمية أبرع — لا أبرع منـا لو كنا على مستوى مسؤولية قضايانا — من أن تسمح بطرحها على الرأي العام .

فبالاضافة إلى ما جاء في مقـــال النائب العمالي اليهودي البريطاني - في هذا الفصل — عن نتائج محادثاته ، ابان توحيد سورية مع مصر ، مع قادة حزب البعث العربي الاشتراكي بشأن القضية الفلسطينية ، وما قاله الكاتب اليهودي هامباراجي عن نتائج اجتماعه بأحد القادة الاشتراكيين في سورية — في الفصل الأول — قبل توحيد سورية مع مصر ..

.. بالإضافة إلى ذلك، هناك القرار التاريخي الذي أصدرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان يوم ١٥ تموز ١٩٥٣، الذي جاء فيه بالحرف الواحد :

« في القضية الفلسطينية ، تبين أن الحوادث والتطورات أكدت وبرهنت على صحـــة موقف الاتحاد السوفياتي ، وبالتالي على صحة الموقف الذي اتخذه الحزب بتأييد قيام دولتين مستقلتين عربية ويهودية في فلسطين والنضال ضد الحرب الفلسطينية ، رغـــم المقاومات التي لقيتها هذه الخطة من بعض العناصر المسؤولة في الحزب . ومن المهمات الرئيسية الموضوعة أمام الحزب ، إيضاح مسألة فلسطين من الوجهـة المبدئية أيضاً ، فإذا كان اليهود لا يؤلفون قومية ، فإن اليهود الذين تركزوا في فلسطين أخذوا يؤلفون أمة في طريق التكوين ، فلهم ، مثل جميع الأمم والقوميات ، حق تقرير مصيرهم ، بصرف النظر عن الاتجاهات الرجعية المماثلة للاستعمار الاميركي التي تتميز بها البورجوازية اليهودية الصهيونية .

ان المستعمرين الانكليز والاميركيين والرجعيين العرب ، يريدون بقاء العداء بين جماهير العرب واليهود ، لإلهاء هذه الجماهير عن النضال ضد الاستثمار والاضطهاد ، وضد الاستعمار الانكليزي والأميركي ، وضد الرجعية العربية الحاكمة !.. فمسألة العمل لسيادة السلام ، والتقريب بين الجماهير العربية واليهودية وفضح مآرب الصهيونيـة والرجعيين العرب بمنع سيادة السلام والصداقة بـــين الشعبين ، هي مسألة مهمة جداً لتطوير النضال الوطني الديموقراطي في الأقطار العربية ، في الحاضر والمستقبل . ويجب القيام بنضال لا هوادة فيه ضد دعـايات الرجعيين القائلة ان الخطر الصهيوني أعظم من الخطر الاستعماري ، أو أن الخطر الاستعماري يمكن زواله ، لكن الخطر

الصهيوني ، إذا تمركز ، فلا يمكن استئصاله . ويشبه ذلك قول البعض ان الدولة اليهودية في فلسطين تشكل خطراً على الشعوب العربية .

.. فالحقيقة هي :

١ - ان الصهيونية هي خطر لأنهـا عميلة الاستعمار الانكلو - أميركي !..

٢ - ان الدولة اليهودية ، هي مثل كل الدول البورجوازية ليست كلاً موحداً متجانساً ، فالنظرة إليها بهذا الشكل هي نظرة قوميـة بورجوازية شوفينية . ويجب أن نذكر دائماً قول كارل ماركس بأن الأمة أمتين ، وذلك يصح على الدولة اليهودية التي تناضل فيها الجماهير الشعبية اليهودية ، وفي مقدمتها العمال والفلاحين ، وطليعتهم الحزب الشيوعي في اسرائيل ، لأجل التحرر الوطني الديموقراطي ، ولأجـل الاشتراكية ، مثلهم مثل الجماهير الشعبية والعمال العرب . فكما أن الخطر على الجماهير العربية هو من فئـات الاقطاعية والبورجوازية الحاكمة ، عميلة الاستعمار ، فكذلك الخطر في دولة اسرائيـل ناشىء عن البورجوازية الصهيونية الرجعية ، عميلة الاستعمار . ولا ريب أن أحسن وسيلة لأجل التعجيل في تعميق التفريق الطبقي وتعميق الهوة بين العمال والجماهير اليهودية من جهة ،والبورجوازية الصهيونية من جهة أخرى ، هي استتباب السلام في فلسطين ، وقيـام دولتين عربية ويهودية ، فإن ذلـك ينزع سواء من الحكام الرجعيين اليهود والحكام الرجعيين العرب وطبعاً من سادتهم المستعمرين ، سلاحاً هاماً، إذ يمكن إذ ذاك النضال بصورة أنجع ، للتقريب وقيام أواصر صداقة وتفاهم بين الجماهير الشعبية العربية واليهودية »[١] .

ولعل ما دار من مناقشات في البرلمان الاسرائيلي - الكنيست - ،

(١) عن « المؤامرة ومعركة المصير » لسعد جمعة ، ص ١٣٤-١٣٥-١٣٦ .

بعيد حرب حزيران ، وأثر عودة وفد الحزب الشيوعي الاسرائيلي من رحلته الى الاتحاد السوفياتي (وقد ضم الوفد عربياً ويهودياً) ، يلقي ضوءاً كاشفاً على الحل السياسي الذي يريده الشيوعيون والاشتراكيون والثوريون في كل مكان لقضية فلسطين ، إذ نلاحظ دوماً أن انتقاداتهم وتهجماتهم توجه فقط إلى « الطغمة الحاكمة » و « الادارة الامبريالية » في حكومة اسرائيل..دون الاشارة،ولو بحرف ، إلى وجود اسرائيل نفسه والأهداف المخططة لهذا الوجود..

قال توفيق الطوبي ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، والنائب في البرلمان الاسرائيلي :

« الطغمة الرجعية والمغامرون العسكريون في حكومة تل أبيب ، شنوا حرباً على القوى الاشتراكية التقدمية في المنطقة العربية،مثل مصر وسورية (طبعاً ، الحكم في الاردن حكم رجعي امبريالي يجب القضاء عليه ، لتسود المنطقة اشتراكية الجماهير التقدمية اليهودية النموذجية في اسرائيل !..)

ان للوطن الاسرائيلي كل الحق في مسائل جوهرية وحيوية في أوضاع الشرق الأدنى . هذه المسائل هي : السلامة والسيادة الاقليمية لدولة اسرائيل ، وحرية الملاحة في المياه الدولية ، والاعتراف العربي بهذه الحقوق الاسرائيلية [1] .

---

(١) نسبت « الغارديان » البريطانية في عددها الصادر يوم ٢٠ ايلول ١٩٦٨ ، الى وزير الخارجية المصرية السيد محمود رياض قوله « ليست لنا مطامع أرضية في اسرائيل » . ونسبت وكالة أنباء « ا.ب» من الأمم المتحدة إليه قوله،ان مصر ستسمح للسفن الاسرائيلية بالمرور في قناة السويس ومضائق تيران، وان مصر لن تطلب إعادة قطاع غزة الى الادارة المصرية ، بل انها ستترك التصرف به للفلسطينيين . (راجع « النهار » ١٠١٢٩ ، ١٥ تشرين الأول ١٩٦٨) .
وفسر محمد حسن الزيات،الناطق الرسمي لحكومة القاهرة،فقرة من أحد =

ولكن هذه الحقوق لا تصان بالحرب . فالحرب هي من صنـــع الامبريالية الاميركية، مستغلة وجود طغمة رجعية حاكمة في حكومة وجيش اسرائيل . والجماهير في اسرائيل ، جماهير العرب – ؟.. – وجماهير اليهود ، لا تريد الحرب ، ولا الحكومات التقدمية في دمشق والقاهرة أرادت الحرب » .

واشترك الشيوعي اليهودي ويلنر – رئيس الشيوعي العربي توفيق الطوبي – في الحوار البرلماني ، عندما ارتفعت أصوات النواب اليهود الآخرين ، فصرخ ويلنر قائلاً : « أنتم أغبيـــاء .. نحن اليوم في أمس الحاجة إلى السلام ، ولا يقوى على تحقيق هـــذا السلام سوى القوى التقدمية في المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفياتي ، وتعاون القوى الاشتراكية التقدمية في العواصم العربية .. »

تدخـــل حينئذ رئيس الكنيست كاديش لوز ، فسمح للعضوين الشيوعيين ، الطوبي وويلنر ، بمتابعة الكلام ، فقال الأخير :

« من هو القادر على تحقيق السلام في هذه الفترة العصيبة ؟... الاميركيون ؟.. وهم مكروهون جداً في الدول العربية اليوم .. من الذي يستطيع تحقيق السلام لاسرائيل، إذن؟.. الملك فيصل الرجعي،

= خطابات الرئيس المصري ، بقوله : ان الرئيس المصري قال : « لا معاهدة صلح مع اسرائيل » وليس « لا سلام مع اسرائيل » . (راجع « النهار » ٩٨١٥ ، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٧) .

ونسب إلى سفير مصر في باريس اعلانه عن استعداد بلاده لإنهاء حالة العداء مع اسرائيل ، ولاحترام سيادة كل دولة في المنطقة ، وذلك ضمن حدود آمنة ومعترف بها .

كما نسب إلى السفير المصري في العاصمة الفرنسية عرض بلاده انشاء مناطق مجردة من السلاح وفتح قناة السويس في وجه الملاحة الاسرائيلية، مقابل حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. (راجع «النهار» ٩٩٨٣ ، ٢٢ أيار ١٩٦٨).

الذي يثير النعرات الدينية في الدعوة الى الحلف الاسلامي؟.. إن الذين يستطيعون تحقيق السلام بين اسرائيل وجاراتها، هم فقط الاشتراكيون بزعامة الاتحاد السوفياتي.. فهم وحدهم القادرون على ضبط الجماهير العربية واقناعها بالسلام مع اسرائيل»[١].

وينصح عضو بارز في حزب «مابام» اليساري الاسرائيلي، بأن «الزمن يعمل ضد اسرائيل وضد العرب معاً، وضد السلام أيضاً، خاصة وان سباق التسلح يبدو في هذه الأيام على أشده. وهنا يأتي دور الاشتراكيين العرب والاسرائيليين لمنع سباق التسلح، تمهيداً لإقامة حوار بين الفريقين»[٢].

٣

رغم أن نسبة عدد اليهود في الاتحاد السوفياتي تتجاوز قليلا الواحد بالمائة من مجموع سكانه، إلا أنهم، مع ذلك، يمثلون ٦٠ بالمائة من أعضاء هيئة التدريس في المعاهد العلمية العليا، و٨٠ بالمائة من المسؤولين عن التوجيه العقائدي في كوادر الحزب الشيوعي وفي إدارات رسم وتنفيذ السياسة الخارجية. حتى أن بنيامين ديمشيتز، اليهودي الذي يحمل وسام «بطل الاتحاد السوفياتي»، وهو أرفع

(١) مجلة «الطريق»، لسان حال الحزب الشيوعي الاسرائيلي، عن «الحياة» ٦٦٧٤، ١٣ كانون الثاني ١٩٦٨.

(٢) هو سيمحا فلابان، عن مقالته «الحوار بين الاشتراكيين العرب والاسرائيليين هو حتمية تاريخية»، المنشور في مجلة «الأزمنة الحديثة» الفرنسية اليسارية، التي هاجم صاحبها جان بول سارتر، العرب ابان حرب حزيران، ودعا اشتراكيي العالم الى مساندة اسرائيل للقضاء على ما أسماه بالعدوان العربي لإفناء الشعب الاسرائيلي. راجع العدد الخاص من «الأزمنة الحديثة» عن القضية الفلسطينية الصادر في عام ١٩٦٧.

وسام سوفياتي على الاطـــلاق ، هو اليوم نائب رئيس مجلس الوزراء السوفياتي ، ورئيس المجلس الاقتصادي للاتحاد السوفياتي .

هذا في عهد الحكم الشيوعي السوفياتي . أما في العهد القيصري ، فقد اتصفت معيشة اليهود باضطهاد مستمر. فقد فرض أمر امبراطوري صدر عام ١٧٩١ على اليهود السكن والإقامـــة في أماكن محددة . وابتداءاً من عام ١٧٩٤ واليهود في روسيا يدفعون ضرائب تساوي ضعفي الضرائب التي يدفعها سائر السكان . ثم تعرض اليهود لسلسلة من المذابح عام ١٨٨١ ، وطردوا من موسكو عام ١٨٩٠ . وعام ١٩٠٣ تعرض اليهود القاطنون في مدينتي كيشينيف وهومل لمذابح دامية .

إلا أنه في روسيا السوفياتية الشيوعية اليوم جريدتان تعنيان بالشؤون اليهودية ، واحدة تصدر باللغة الروسية ، والأخرى بلغة اليديش اسمها « بيرويد جانرشترن » [١] .

وبلغ من تأثير اليهود على القيادة السوفياتية العليا أنهـــا رخصت رسمياً عام١٩٦٥ لمسيرة يهودية جرت في موسكو،احتفالاً بأحد الأعياد اليهودية الدينية . وقد اشترك في المسيرة عدد من أقطاب الدولةوالحزب هناك [٢].

وفي العام المنصرم ، ١٩٦٨ ، قامت موسكو بطبـع وتوزيـع عشرات الألوف من كتب للصلوات اليهودية وغيرهـا ، رغم كوميدية « قطع » العلاقات مع اسرائيل ، ورغم مرور نحو عام على هزيمـــة « الأصدقاء العرب » [٣].

---

(١) عن « الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين » .
(٢) عن « جويش كرونيكل » في عددها الصادر يوم ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٥ .
(٣) عن « النهار » ٩٩٦٥ ، ٤ أيار ١٩٦٨ ، نقلاً عن وكالة أنباء «ا.ب.» .

... هـــذا فيما كان المؤتمر الثالث والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي ، المنعقد في ربيع عام ١٩٦٥ ، قد قرر : « **فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط الابتعاد عن أي تعايش سلمي مع الرجعية الدينية ، لأن المرحلة الراهنة للتحويل الاشتراكي في المنطقة ، الذي تتزعمه القاهرة ، تستوجب جعل الناحيــة الدينية عنصراً مؤيداً للدعوة الاشتراكية ، فلا تعايش سلمي مع الحركة الدينية إلا اذا أيــــدت الاشتراكية . ويوصي المؤتمر بتفويض الاشتراكية العربية في مصر بأن تأخذ على عاتقها مهمة مقاومة التحديات الاسلامية** »(١) .

ولم يأت المؤتمر الثاني للأحزاب الشيوعية في العالم العربي المنعقد في « مكان ما » عام ١٩٦٧ ، على ذكر القضية الفلسطينية البتة ، حتى انه لم يهاجم « الدوائر الرجعية العميلة » في اسرائيل ، في مقرراته السرية ، إنما اكتفى بالقول : « إن نمو الشيوعية باطراد منحصر تقريباً بالبلاد المتحررة كمصر والجزائر وسورية ، حيث تتيح التغييرات الاجتماعية والاقتصادية المجال أمام القوى التقدمية للعمل والتغلغل » .

ذلك ، لا بد أن يذكرنا بما جاء في خطاب آبا ايبان في أحـــد اجتماعات الدورة الخامسة للمؤتمر اليهودي العـــالمي ، الذي عقد في بروكسل عـــام ١٩٦٦ ، من « أن اسرائيل عازمة على تقوية علاقاتها بالدول التقدمية في الشرق الاوسط ، وستساعد التطورات الاجتماعية والاقتصادية الجارية في بعض الدول العربية ، باسلوب ثوري فعال ، الاتجاه الاسرائيلي على التسوية النهائية مع خصومها » (٢) .

وأكد مؤتمر الأحزاب الشيوعية في العـــالم العربي ، من جهة أخرى ، في مقرراته السرية ، بأن « **التكتيك الذي ستطبقه وتتبع**

(١) عن « الحياة » ٦٤٦٤ ، ٩ أيار ١٩٦٧ .
(٢) عن « الحياة » ٦٢٣٦ ، ١٠ آب ١٩٦٦ .

طرقه الأحزاب الشيوعية في العالم العربي هو التعاون مع الحركات التقدمية بجميع أنواعها . وعلى هـــذه الأحزاب ان تعرف كيف تستغل هذه الظروف في المنطقة »[1] .

في عام ١٩٦٥ ، عام جرت المسيرة اليهودية في العاصمة السوفياتية، استدعى قادة الكرملين ، إبّان زيارة أحد زعماء الاشتراكية العربية للاتحاد السوفياتي ، الحاخام يهودا ليفين ، كبير حاخامي الاتحـــاد السوفياتي ، وطمأنوه « إلى أن السياسة السوفياتية في الشرق الأدنى لا تشكل عداوة للدولة اليهودية أو المصالح اليهودية ،بل على العكس» . واتبع القادة السوفيات ذلك بإصدار أوامرهم إلى لجنة الشؤون الدينية في الحزب بوجوب رفـــع أي قيود ، إن كانت موجودة ، على كل النشاطات الدينية والقومية لليهود في الاتحاد السوفياتي[2] .

أما تيتو « الصديق الصدوق » للاشتراكيين العرب ، فقد استقبل في عاصمة بلاده يوم ٢٧ أيلول ١٩٦٧ ، (أي بعد عودتـــه من رحلته الطويلة إلى عدد من البلدان العربية يعرض عليها مشروعاً للسلام مـــع اسرائيل ، وضعه بنفسه) ناحوم غولدمـــان ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي وقتذاك، حيث جرى بينهما حديث طويل « في جو من السرية الكبيرة جداً ، دار فيه الكلام عن الأزمة العربية – الاسرائيلية ، ومختلف المشروعات المطروحة . وقد عرض الرئيس اليوغوسلافي على غولدمان مشروعاً للسلام بالتفصيل، وأطلعه على ردود الفعل الإيجابية لهذا المشروع لدى مختلف الدول العربية »[3] .

ومن المعروف أن اسرائيل هي الوحيدة في العالم التي ترفض إعادة

---

(١) عن « النهار » ٩٨١٠ ، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

(٢) عن مجلة « Presse Nouvelle » الفرنسية ، ٨ ايلول ١٩٦٥ .

(٣) عن « ليموند » ، ٣١ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

فتح قناة السويس ، وتهدد باستعمال القوة إذا أقدمت مصر على إعادة فتحها ، بحجة أن لها الحق بالمرور بها .

الحقيقة أن هذه ليست هي كل الأسباب التي تدفع اسرائيل إلى رفض إعادة فتح القناة ، فهناك من يقول أن « استمرار إغلاق القناة يعود بفوائد تجارية ضخمة لا يمكن إنكارها على الاتحاد السوفياتي .. وقد شرع السوفيات يستغلون ذلك لمصلحتهم بالفعل ، حيث أنشأوا حتى الآن طريقين مائيين بديلين للقناة إلى الشرق : أولهما الطريق المائي الذي يربط بحر البلطيق ببحر قزوين ، والثاني طريق بحر الشمال من أوروبا عبر المحيط المتجمد الشمالي إلى المحيط الهادي . ومعروف أن المسافات عبر هذين الطريقين أقصر من المسافات عبر السويس ، بعكس الطريق التي تمر حول رأس الرجاء الصالح . وإذا طال إغلاق قناة السويس كثيراً ، فإن هذين الطريقين قد يكسبان جزءاً محسوساً من حركة المرور إلى الشرق الأقصى بشكل دائم »(١) .

ولم تشعر موسكو باي حرج عندما وجهت ، عبر اذاعتها باللغة العبرية ، تهانيها الحارة ، لمناسبة الذكرى العشرين لقيام الدولة اليهودية ، ليلة السادس من ايار ١٩٦٨ ،مؤكدة بأن الاتحاد السوفياتي لم يكن في يوم من الأيام ضد اسرائيل أو ضد شعبها . وقال تعليق سوفياتي كرس لهذه الذكرى ان الاتحاد السوفياتي يدعو الجماهير الاسرائيلية الى ضرورة النضال المشترك مع الجماهير العربية ضد الامبريالية العالمية ... »(٢) .

ذلك لأن السياسة السوفياتية ترى « أن الموقع الاستراتيجي لاسرائيل يتمتع بمزايا خارقة . فمن الواجب توجيه الاهتمام السوفياتي إلى ذلك .

---

(١) عن « الفاينانشال تايمز » ٢٤٤٦٥ ، ١٤ شباط ١٩٦٨ .

(٢) عن « النهار » ٩٩٦٨ ، و « نداء الوطن » اللبنانيتين ٧ أيار ١٩٦٨ .

فإذا كان القائمون على الحكم في اسرائيل اليوم جماعة تتعاون مع الولايات المتحدة ، لأن الاتحاد السوفياتي يساعد على عمليات التحويل الاشتراكي في العالم العربي ، ولا صبر ليهود اسرائيل من البورجوازيين على إتمام هذا التحويل الاشتراكي ، كان من واجب الاتحاد السوفياتي أن يؤكد للجماهير الاسرائيلية بأن مصيرها هو في الاعتماد على الاتحاد السوفياتي .. »

ورغم أن موسكو تستدرك بالقول انه « صحيح أن لنا حزباً شيوعياً قديم العمل راسخ الجذور في اسرائيل يمكن الاعتماد عليه ، إلا أن علينا أن نتذكر أيضاً أن حزب « ماباي » وأغلبية الأحزاب والنقابات العمالية في اسرائيل يسارية . وقد ظلت هذه الأحزاب مسؤولة عن حكم اسرائيل منذ مولدها ، الذي شاركنا نحن فيه مشاركة جوهرية . فإذا رضيت هذه الأحزاب اليسارية الاسرائيلية أن تتلقى العون المادي من الرأسمالية الاميركية والبورجوازية اليهودية في العالم ، فإنه من المفيد أن نقدر حاجتها إلى هذا العون » . إلا أن موسكو ترى ، رغم ذلك ، بأن « الكيان السياسي » كله في اسرائيل اليوم وفي المستقبل تكمن فيه كل المعطيات لروابط استثنائية مع الاتحاد السوفياتي »[1] .

ولم يدم الغش الماركسي السوفياتي طويلا ، حيث فشل الاتحاد السوفياتي في إخفاء بعض أهدافه ومراميه وأطماعه من وراء معوناته الاقتصادية والعسكرية والعقائدية للدول العربية الثورية ، وهي المعونات التي اختلف المختصون في العالم على تحديد قيمتها .

فهناك من يقول ان الاتحاد السوفياتي وظّف في مصر وحدها نحو

(١) عن مقال للخبيرة السوفياتية بشؤون الشرق الاوسط فالتولينا في مجلة « Voprosy Ekonomiki » العدد ٤ ، من ص ٩٤ إلى ١٠٥ ، عام ١٩٦٦ .

الألفي مليون دولار حتى الخامس من حزيران ١٩٦٧ [١].

وقال آخرون ان روسيا أنفقت مليوني دولار إضافي على الأسلحة التي باعتها، قروضاً، للعرب، إضافة إلى الثلاثة بلايين دولار الأصلية، قيمة الأسلحة التي بددت خلال حرب حزيران [٢].

بينما نقلت إحدى الصحف الفرنسية عن مصادر سوفياتية رسمية، بأن الدول العربية خسرت نتيجة الحرب أكثر من مليار دولار، بالإضافة إلى النفقات العسكرية. وتبلغ حصة مصر وحدها من هذه الخسائر ٧٠٠ مليون دولار [٣].

ولكن هناك من قدر قيمة الأسلحة التي زودت بها روسيا العرب بما يتراوح بين ٣ و ٤ ملايين دولار، زاعماً أن موسكو تعتبر الضعف الذي أصاب العرب بعد هزيمة حزيران، « فرصة ملائمة لإزالة النفوذ الغربي إزالة تامة من العالم العربي، وتثبيت نفسها بوصفها القوة المسيطرة على منابع الزيت وطريق المواصلات في تلك المنطقة » [٤].

ويرى فرانس غورهارت، مقرر لجنة الاتحاد الأوروبي الغربي للدفاع « ان المنتصر الحقيقي كان الاتحاد السوفياتي الذي عزز تعزيزاً كبيراً نفوذه السياسي والعسكري في المنطقة » [٥].

وكما أن حرب حزيران كانت سبيل الاتحاد السوفياتي إلى التغلغل والسيطرة والنفوذ في العالم العربي، كذلك كانت السبيل الوحيد إلى

---

(١) عن « يو. اس. نيوزاند وورلد ريبورت »، ١٩ حزيران ١٩٦٧.

(٢) عن « نيويورك تايمز »، ١٠ آب ١٩٦٧.

(٣) عن « ليموند »، ٤ ايلول نقلا عن « تاس » السوفياتية الرسمية.

(٤) عن « هيرالد تريبيون »، ٨ تموز ١٩٦٧.

(٥) عن « هيرالد تريبيون »، الأول من كانون الثاني ١٩٦٨.

التمهيد لتحقيق حلمه الأبعد، وهو السيطرة على منابع البترول العربي، طالما انه سيواجه ودول أوروبا الشرقية في عام ١٩٨٠ نقصاً في النفط يبلغ مليوني برميل يومياً ، كما قال خبراء اقتصاديون شيوعيون[١].

ونظراً لحاجة الاتحاد السوفياتي إلى القطع النادر ، فقد استغل فرصة امتناع الدول العربية عن بيع نفطها خلال حرب حزيران ، وراح يعرض نفطه على دول العالم كله التي تأثرت من وقف تدفق النفط العربي إليها ، بل انه لم يتورع عن بيع النفط لاسرائيل بالذات .

فقد قالت صحيفة «الفاينننشال تايمز» اللندنية أن الاتحاد السوفياتي يحاول بيع النفط لبريطانيا ، وان اتصالات جرت مع عدد من مستوردي النفط البريطانيين في الأيام الأخيرة . وأن اسبانيا وقعت عقداً مع الاتحاد السوفياتي لشراء نصف مليون طن من النفط، وذلك مخافة نقصان النفط اللازم لاسبانيا بسبب انقطاع النفط العربي ... وذكرت الصحيفة بأن ناقلة نفط أسبانية توجهت إلى أحد شواطىء البحر الأسود للعودة بالشحنة الأولى من النفط السوفياتي، والبالغة ٦٠ ألف طن[٢].

ونقلت جريدة « النهار » عن وكالة أنباء « أسوشيتدبرس »[٣] النبأ التالي :

« قالت مصادر ملاحية اسرائيلية اليوم – ٤ ايلول ١٩٦٧ – الاتحاد السوفياتي يواصل تزويد اسرائيل بالنفط بواسطة ناقلة نفط اسرائيلية ترفع علم ليبيريا، رغم اقدام الاتحاد السوفياتي على قطع

---

(١) عن مجلة « فورتشن » الشهرية الاميركية ، ٢٣ حزيران ١٩٦٨ .

(٢) عن « الفاينننشال تايمز » ، ١٦ حزيران ١٩٦٧ .

(٣) عن « النهار » ، ٥ ايلول ١٩٦٧ .

العلاقات مع اسرائيل .

وتقوم الناقلة (فيلوس) برحلة اسبوعية من أوديسا على البحر الأسود الى ميناء اشدود الاسرائيلي حاملة ١٨ ألف طن من النفط المكرر ، الذي تستخدمه الطاقة الكهربائية الاسرائيلية .

وحتى الماضي القريب كانت الناقلة (فيلوس) تعرف باسم حيفا، حيث كانت مسجلة. وكانت خطوط الملاحة الاسرائيلية (زيم) تملكها.

ولكن هذه المصادر قالت انه جرى تغيير جنسية الناقلة فأصبحت ليبيرية وسجلت في ميناء مونروفيا، وذلك نتيجة للضغط السوفياتي، خشية افتضاح الأمر » .

وقال مدير شركة ربيسا الاسبانية أن الاتحاد السوفياتي وافق على زيادة ما يرسله إلى الشركة من النفط الخام في هذا الشهر - حزيران ١٩٦٧ - بعد وقت قصير من نشوب الحرب في الشرق الأوسط .

وأبلغ مدير الشركة الصحافيين أن الاتحاد السوفياتي، الذي يزود شركة ربيسا بحوالي ٤٠ ألف طن من النفط الخام شهرياً بموجب عقد وقّع في شهر نيسان، وافق على إرسال ٩٥ ألف طن إضافي هذا الشهر.

وقال ان الشركة التي تمتلك الدولة ٥٠ بالمائة منها ، طلبت كميات إضافية بسبب الوضع في الشرق الأوسط ، وذلك في برقية بعثت بها وكالة النفط المركزية السوفياتية في موسكو [1] .

ولم يمض عام واحد على هزيمة « الأصدقاء العرب » ، حتى سمحت بولونيا بهجرة اليهود البولونيين « الذين يعتبرون اسرائيل وطنهم » [2] ، فبدأ تدفق المهاجرين اليهود من بولونيا الشيوعية إلى

(١) عن « النهار » ، ١٦ حزيران ١٩٦٧ .
(٢) عن « الحياة » ، ٢٠ آذار ١٩٦٨ .

اسرائيل ، حتى تجاوز عددهم المائة كل أسبوع . ولم تعترض موسكو على ذلك ، كما لم يفه أي من أقطاب الاشتراكية العربية بحرف احتجاج واحد على ذلك ، لمعرفتهم أن الاتحاد السوفياتي نفسه سبق أن أعلن أنه ليس بإمكانه أن يستوعب « اليهود القاطنين فيه » وأن يجعل منهم قومية منفصلة ذات كيان ثقافي خاص ، لأن مثل هذا الكيان لليهود السوفيات لا يوجد إلا في اسرائيل »[1].

٤

من ناحيـــة أخرى ، كيف يرى الاسرائيليون التغلغل والنفوذ السوفياتيين في العالم العربي ؟..

لا شك أن اسرائيل حريصة على ربط القضية الفلسطينية من وجهة نظر الحق العربي بعجلة الشيوعية الدولية والثورة الدائمـــة ، لأسباب كثيرة ترتبط أولاً وآخراً بمصيرهـــا ووجودها ، ومن ثم يتطور عقيدتها التوسعية التي لا تقتصر على تمدد رقعتها الأرضية فحسب ، إنما تتجاوز ذلك إلى توسيع المدى الحيوي لتأثيرها الاقتصادي والفكري والسياسي والاجتماعي في منطقـــة الشرق الأوسط بالذات . وهي تفضل التنازل عن كل ما لها من نفوذ في سائر دول العـالم ، مقابل انتقال هذا النفوذ إلى الدول العربية والاسلامية كافة ، لأن ذلك ، يمنحها قوى وفعالية دولية لا تحلم بها أكبر دولة في العالم ، لمـا لموقع الرقعة الاسلامية – العربية الاستراتيجي من تأثير على حياة كوكبنا

---

(١) عن « جويش اوبزرفر » الانكليزية عـــدد ٦ نيسان ١٩٦٦ ، نقلاً عن مجلة « مشاكل التاريخ » الشهرية ، لسان حال المجتمع الأعلى للعلوم التاريخية في الاتحاد السوفياتي ، عدد شهر نيسان ١٩٦٦ .

الأرضي هـذا ، بالاضافة إلى الأهمية العالمية لهذه الرقعة اقتصادياً وفكرياً وحياتياً .

هكذا نلاحظ أن ليس في اسرائيل من يناوىء « الصداقة العربية — السوفياتية » ، لا سيما إذا ارتكزت هذه « الصداقة » على أساس القضية الفلسطينية ، لأن ذلك يقحم القضية ، كما حصل ، في خضم الصراع الدولي ، ويجعل منها ، كما حصل أيضاً ، ورقة جديدة من أوراق المساومة بين العملاقين . وكل ذلك ، في النهاية ، كما تخطط اسرائيل واليهودية العالمية ، يعني تصفية القضية على النحو الذي تحب وتشتهي ، طالما انها استطاعت حتى الآن أن تدير هـذا الصراع وتغذيه وتوجهه إلى المنحنى الذي يخدمها ويضمن مصلحتها .

فحتى الفئات الدينية المتطرفة في اسرائيل ترحب « ترحيباً كلياً بكل هذه القرارات والتوصيات التي تتزعم الجمهورية العربية المتحدة المناداة بها ، كالدعوة إلى التعايش السلمي وإلى فض النزاعات بالطرق السلمية . فهذه القرارات ترددها دوماً السياسة السوفياتية ، كلما سنحت الفرصة ، لإفهام العرب بأن هدم اسرائيل ليس من سياسة الاتحاد السوفياتي ، ولا يمكن أن يكون » .

وترى هذه الفئات أنه من الجميل جداً « أن تقتبس الاشتراكية العربية التقدمية في مصر هذه المبادىء الداعية إلى السلام وفض النزاعات بالطرق السلمية . ورغم أننا — حزب حيروت — خصوم للاشتراكية العربية ، إلا أننا نرحب بتصريحاتها . والفضل في هذا النضوج السياسي عند القادة العرب الاشتراكيين يعود إلى تتلمذهم على أيدي الساسة السوفيات وعلى الماركسية العلمية التي لا تعرف الرجعية العربية الدينية الاستفادة منها ، كما تستفيد العناصر التقدمية العربية في مصر أو سورية أو الجزائر . »

وتقول هذه الفئات الدينية اليهودية المتطرفة التي تتجمع في حزب « حيروت » اليميني انه « ليس المهم أن ننزعج لتصريحات العداء الموجهة ضد اسرائيل من بعض زعماء الاشتراكية العربية ، إذ أن مثل هذه التصريحات هي للاستهلاك المحلي فقط ... وليس منها أي ضرر ، طالما أن مصدر السلاح وأكثر المعونات المادية للأنظمة والحركات الاشتراكية العربية رهن برضى الاتحاد السوفياتي أو عدم رضاه . وطالما أن موسكو حريصة على ضمان سلامة اسرائيل ، وأن السلاح السوفياتي الذي اشترته مصر وغيرها من الدول العربية مقيد في الذخيرة وقطع الغيار والأمور الفنية الأخرى بمشيئة الاتحاد السوفياتي ، فلا خوف على اسرائيل من أي عدوان عربي ، طالما أن الاتجاه في المنطقة يسير نحو الماركسية برعاية الاتحاد السوفياتي .. »

ويكشف حزب « حيروت » الاسرائيلي عن التطمينات السوفياتية التي قدمها مسؤولون سوفيات في اسرائيل وفي موسكو ، مرحباً بهذه التطمينات ، بالقول « إننا نرحب ونميل إلى تصديق هذه التصريحات المطمئنة التي جاءت على لسان المسؤولين السوفيات في أحاديثهم الخاصة مع حكومة اسرائيل ومبعوثيها ، وفي الأحاديث والتصريحات والبحوث والتقارير التي تظهر في حذر شديد بين آن وآخر في أجهزة الأعلام السوفياتية الرسمية . لكن كل ما بيننا وبين الاتحاد السوفياتي من خلاف هو حاجة اسرائيل إلى مزيد من الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي إلى اسرائيل. غير أن هذه المسألة لن تكون حجر عثرة في سبيل الود والتعاون السوفياتي – الاسرائيلي. فالاتحاد السوفياتي الذي بذل كل الجهد في تدعيم اسرائيل خلال أعنف أيام العدوان العربي سيبذل جهداً مماثلاً في صيانة اسرائيل أمام أي عدوان عربي جديد. ومركز السوفيات اليوم في **المنطقة العربية مركز ممتاز** ، اذ أن

أقوى الدول العربية ، مصر مثلاً ، أصبحت رهينة بيــد الاتحاد السوفياتي ، لا تستطيع ان تتصرف كثيراً ، لا سيما في مسائل الحرب والاقتصاد ، إلا بمشيئته ، وفي هذا أكبر ضمان لاسرائيل . ونحن نعرف أنه لم ولن يصدر بالأمس أو اليوم أو غداً عن موسكو اي تصريح أو تلميح أو اشارة فيها خطر على اسرائيل . لذلك ، فاننا واثقون بأن حسن النوايا السوفياتية نحو اسرائيل ستظل كما كانت عليه . وتستطيع موسكو أن تفرض على المنطقة العربية ما تشاء من الاتجاهات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، لما لها من أعوان وتلامذة وقواعد مهمة في قلب المنطقة . وفي ذلك أحسن ضمان لبقاء اسرائيل . .»[1] .

أما المعتدلون في اسرائيل ، فتقول «لامرحاف» ، الناطقة بلسانهم ، انه أصبح من الضروري الآن أن نشير إلى تزايد التبادل التجاري بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية ، دليل على أن ازدياد النفوذ السوفياتي ورواج الماركسية في البلدان العربية يفيد اسرائيل أكثر من أي لون آخر من ألوان الاتجاهات السياسية .

وتضيف قائلة أن مندوبها علم بأن ابراهام جولدبرغ مدير شركة « الكيمياويات والفوسفات » في منطقة البحر الميت ، عاد من موسكو وأوروبا الشرقية وفي يده عقود جديدة سخية سيزداد بموجبها شراء الاتحــاد السوفياتي والدول الاشتراكية من الفوسفات والكيمياويات الاسرائيلية .

ونقلت « لامرحاف » عن مصادر الحكومة الاسرائيلية امتناعها عن نشر التفاصيل الخاصة بهذه الصفقات حرصاً على رغبة السوفيات والدول الاشتراكية الأخرى في عدم نشر التفاصيل ، لأسباب سياسية

---

(١) جريدة « حيروت» الاسرائيلية ، لسان حال حزب « حيروت» الديني المتطرف. عدد ٥ شباط ١٩٦٥ .

تتعلّق بمركز السوفيات ودول المعسكر الاشتراكي في المنطقة العربية.

وعلّقت « لامرحاف » على ذلك بقولها : « إلا أننا نستطيع أن نؤكد بأن هذا التعامل بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي أنفع لنا ألف مرة من كل ضروب التعامل التجاري أو العسكري أو السياسي، الذي يتم بين الدول العربية والاتحاد السوفياتي ... »[1]

ولعل أهم رأي في هذا الموضوع هو رأي الشيوعيين الاسرائيليين الموالين لموسكو، الذين يؤكدون بأن « صلة الاتحاد السوفياتي باسرائيل أعمق وأقدم وأقوى مما يدركه خصوم الاشتراكية . فنحن عالمون، أدق العلم، بأن في أصول السياسة السوفياتية حرصاً شديداً على صيانة اسرائيل . ولنذكر، على سبيل المثال، بأن زيارة الرئيس (...) لموسكو مؤخراً لم تستطع أن تنتزع من السوفيات أي تصريح أو تلميح فيه مساس باستقلال اسرائيل أو تعاون السوفيات للقضاء عليها. فجاء البيان المشترك ..... خالياً من أي التزام سوفياتي ضد اسرائيل . نحن مع السوفيات ومع الاشتراكية العربية في مكافحة الاستعمار والرجعية العربية، وكل ما ينقص اسرائيل، هو تحول عاجل في السياسة الرسمية للحكومة الاسرائيلية لتنضم إلى المعسكر الاشتراكي التقدمي »[2] .

وينبئنا الشيوعيون في اسرائيل، في مقال افتتاحي على صفحات جريدتهم، بأن الاتحاد السوفياتي لا يدع فرصة تمر دون أن يؤكد لأصدقائه العرب بأن التعايش السلمي بين العرب واسرائيل جزء جوهري من السياسة السوفياتية، حيث جاء في المقال :[3]

« قد لا يعلم الكثيرون أن الاتحاد السوفياتي لا يدع فرصة تمر دون أن يؤكد على أصدقائه في الأنظمة والحركات الاشتراكية العربية

---

(١) « لامرحاف »، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٤ .

(٢) « كول هاعام »، ٢٣ ايلول ١٩٦٥ .

(٣) عن « كول هاعام »، ١٠ حزيران ١٩٦٥ .

بأن التعايش السلمي بين العرب واسرائيل جزء جوهري من السياسة السوفياتية ، وان تزويد موسكو للاشتراكيين العرب بالسلاح مقيد تقييداً كاملاً بهذا الاعتبار السياسي المهم بالنسبة لسلامة اسرائيل . وآخر نماذج هذا التوكيد السوفياتي ما حمله نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي الرفيق نوفيكوف في زيارة قام بها مؤخراً للقاهرة ، حيث تناول الحديث هذه المسألة بالذات . وقد وجد الرفيق نوفيكوف بأنه لم يطرأ على السياسة المصرية أي تبديل فيه خطر على اسرائيل .. بل على العكس ، فإن الرفيق نوفيكوف لمس لدى القاهرة استعداداً أكثر من ذي قبل لتمييع القضية الفلسطينية [1] في سلسلة من الاجراءات

(١) قال سعد جمعة على الصفحة ١٠١ من كتابه « المؤامرة ومعركة المصير » :

« كانت اسرائيل مرتاحة للاتفاق السري الذي عقد،أثر عدوان السويس، بين القاهرة وهمرشولد ، وقد كشف النقاب عن هذا الارتياح،في البيان الذي أدلى به مستر جرانت،مساعد وكيل وزارة الخارجية الاميركية سنة ١٩٦٢، أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، وقال فيه، دفاعاً عن وجهة نظر حكومته في التحسن النسبي الذي طرأ على العلاقات الاميركية — المصرية ، منذئذ ، وتبرير استئناف شحن القمح الى مصر .. قال : « ان لدى الحكومة الاميركية ضمانات مؤكدة من المسؤولين في القاهرة بتجميد الصراع بين مصر واسرائيل ، وان وجود القوات الدولية ، سيحمي ذلك الوضع !.. »

وقالت صحيفة « فويل دافي دي سيون» في عددها الصادر يوم ٧ حزيران ١٩٦٧ :

« نشر كريستيان بينو ، وزير الخارجية الفرنسية أثناء أزمة السويس ، مقالاً في « دايلي تلغراف » ، اتهم فيه القاهرة بأنها خرقت دون مبررات أو تمهيد اتفاقاً حول إقامة القوات الدولية في العقبة. وقال بينو ان الاتفاق عقد أثناء غداء خاص في منزل همرشولد فينيويورك حضره السيد محمود فوزي ممثلاً لبلاده، وكنت أنا قد تبلغت من الحكومة الاسرائيلية تفويضاً كاملاً للتفاوض باسمها . ومن المؤسف انه لم يوجد شخص آخر أثناء هذه المحادثات ليشهد عليها بعد وفاة مستر همرشولد ، واضطرار محمود فوزي للسكوت » . =

العربية الجماعية التي تعرقل أي صراع مسلح بين العرب واسرائيل » .
وتروي صحيفة يهودية تصدر في بريطانيا شيئاً من تعاظم التعاون

= ونشر الفريق المتقاعد عبد الكريم زهر الدين على الصفحتين ٢٧٨ – ٢٧٩ من كتابه « مذكراتي عن فترة الانفصال في سورية » ، الوثيقة التالي نصها ، قال ان شعبة المخابرات السورية تلقتها عن طريق البريد :

« وزارة الخارجية

التفتيش الفني والاداري ١٠/٨/١٩٦١

نشرة رقم ٣٧ – ت لسنة ١٩٦١

الى بعثات التمثيل الدبلوماسي والقنصلي للجمهورية العربية المتحدة بالخارج

تتشرف وزارة الخارجية بإهداء تحياتها الى بعثات التمثيل الدبلوماسي والقنصلي للجمهورية العربية المتحدة بالخارج ، وإلحاقاً بنشرتها رقم ٢٩ – ت تاريخ ١/٨/١٩٦١ بشأن قضية اللاجئين الفلسطينيين ، نود الاحاطة بما يلي :

١ – لم يطرأ أي تغيير فيما سبق وجاء في النشرة المذكورة أعلاه، وتود الوزارة أن تؤكد مرة أخرى ضرورة مراعاة عدم الخوض في موضوع اللاجئين الفلسطينيين قدر الإمكان ، وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية والدول المرتبطة بها .

٢ – ترجو الوزارة التحفظ في الإجابة على الأسئلة التي تتعلق بموضوع اللاجئين والتي قد تثيرها بعض الجهات الأجنبية . ويستحسن أن يراعى في الاجابات والتصريحات الصادرة بهذا الشأن أن تكون غير ملزمة ، وأن تقتصر على القول مثلاً أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تولي قضية اللاجئين عنايتها، وهي تسعى في سبيل حل قضيتهم .

٣ – إذا أثارت جهات عربية هذا الموضوع ففي هذه الحالة تقتصر الاجابة على أن قضية اللاجئين هي قضية الأمة العربية بأسرها، وأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعمل من جانبها لإعادة حقوق اللاجئين . وترجو الوزارة عدم إثارة الموضوع من جهتكم والامتناع عن الدخول في مناقشات حوله .

ملاحظة : ان وزارة الخارجية تتشرف بإفادتكم بأنها إذ ترسل إليكم هذه التعليمات إنما تهدف من وراء ذلك إلى التسهيل على سير المفاوضات التي تدور =

المثمر بين السوفيات واسرائيل ، فتقول :

« وصلت إلى لينينغراد هذا الاسبوع – الاسبوع الثاني من شهر ايلول ١٩٦٤ – أول باخرة يهودية يستعملها الاتحاد السوفياتي لنقل الفحم الانكليزي إلى الاتحاد السوفياتي ، وذلك تنفيذاً لاتفاقيات سوفياتية – اسرائيلية سارية المفعول منذ وقت طويل ، رغم ما يقال عن عداوة السوفيات للسياسة الاسرائيلية. وقد فرغت كل من موسكو وتل أبيب من صياغة نص جديد لاتفاقية الملاحة التجارية وغير التجارية بين البلدين ، يتعاون عن طريقه البلدان في النقل البحري على أسس تستفيد منها اسرائيل استفادة عظيمة .

واسم الباخرة التي نقلت البضائع إلى لينينغراد هو (عمال) ، وحمولتها أربعة آلاف طن ، وهي تابعة للشركة الاسرائيلية (عتيد). وتقوم السفن الاسرائيلية بالتعاقد الطويل الأمد لخدمة التجارة السوفياتية ، كما تقوم السفن السوفياتية ، في الوقت نفسه ، لخدمة التجارة الاسرائيلية . وقد احتفلت نقابات العمال السوفياتية احتفالاً رائعاً بهذه الباخرة الاسرائيلية ، بحضور عدد من كبار المسؤولين السوفيات. وكانت البواخر الاسرائيلية خلال السنوات الماضية تدخل وتخرج من الموانيء السوفياتية بأقل قدر من الضجيج والاعلان، خشية أن يعلم بها المراقبون العرب . ولكن يبدو أن الاتحاد السوفياتي قد اطمأن إلى نفوذه في المنطقة العربية قد توطد ، لا سيما في مصر ،

= الآن في جو هادىء وبالطرق الدبلوماسية بين حكومتنا وحكومة الولايات المتحدة الاميركية لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين .

ان هذه المفاوضات تتقدم بصورة مرضية. وقد أظهرت الحكومة الاميركية نيتها الحسنة نحونا وذلك بتوقيعها على اتفاقية تبادل فوائض السلع التموينية معنا. وعدم إثارة موضوع اللاجئين يساعد كثيراً على سير المفاوضات في الطريق المرغوب.

وكيل الخارجية – إمضاء محمد حافظ اسماعيل »

على نحو أصبحت معه موسكو لا تجد أي حرج أو حذر من التعامل والحفاوة العلنيتين مع اسرائيل »[1] .

وتشير صحيفة اتحاد نقابات العمال الاسرائيلي « الهستدروت » ، الذي يسيطر ، منذ وجود اسرائيل ، على معظم مرافق الحياة في الدولة اليهودية ، إلى اتفاقات اقتصادية عقدها السوفيات مع حكومة تل أبيب لا نعلم عنها شيئاً . لكن الهستدروت يستغل هذه الفرصة ، ليسخر عبر صحيفته « اومير » ، من أجهزة الإعلام العربية الاشتراكية ، لأنها لم تعلق بشيء على هذه الاتفاقات ، حيث تقول :

« سواء اطلع العرب أم لم يطلعوا على هذا التعاون الوثيق بين الاتحاد السوفياتي وإسرائيل ، فإن الحقيقة التي تؤكدها هذه الاتفاقات الجديدة هي أن حكومة الاتحاد السوفياتي ترفض رفضاً كلياً أن تنساق مع الموقف العربي في المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل . ومن الطريف أن العرب ، لا سيما أجهزة مصر الاعلامية الواسعة الانتشار ، لم ينشروا أو يعلقوا بكلمة واحدة على هذا العداء السوفياتي للمقاطعة العربية لاسرائيل »[2] .

وكشفت صحيفة حزب « ماباي » الاسرائيلي الحاكم ، الذي أسسه بن غوريون ، عن أن الاتحاد السوفياتي بما له من نفوذ وأتباع في الدول العربية ، بات اليوم أقدر على السيطرة ، من أي دولة في العالم ، على ما أسمته بالعربدة العربية ، إذ تقول بالحرف :

« هذه الاتفاقات الجديدة مع الاتحاد السوفياتي تتجاوز المألوف في العلاقات التجارية ، ولها معانٍ بليغة ، وهي دليل عملي على أن تفسير العرب ، وخصوصاً الاشتراكيين منهم ، لسياسة الاتحاد

---

(١) عن « جويش كرونيكل » ، ١١ ايلول ١٩٦٤ .

(٢) عن صحيفة « اومير » الناطقة بلسان الهستدروت ، ٧ تشرين الأول ١٩٦٤ .

السوفياتي نحو اسرائيل هي تفسيرات خاطئة . فالاتحاد السوفياتي ، بفضل ما له من نفوذ وأتباع في البلدان العربية ، بات اليوم أقدر من أي دولة في العالم على فرض القيود على العربدة العربية ، وخصوصاً عربدة الأنظمة الاشتراكية العربية .

فهذه الأنظمة ، التي تحيا على السلاح السوفياتي والذخيرة والمعونات والقروض السوفياتية وعلى العقيدة الماركسية السوفياتية ايضاً ، عاجز عن حرية التصرف في اي عمل عسكري ضد اسرائيل. ونحن واثقون من صدق التأكيدات السوفياتية الرسمية لحكومة اسرائيل ، التي تقول بأنه ليس في علاقات الاتحاد السوفياتي مع مصر أو غيرها من الدول العربية الأخرى في مسألة بيع السلاح وتقديم القروض المالية والتعاون العقائدي ما يؤذي اسرائيل في المرحلة النهائية . بل ان المرحلة النهائية سيكون فيها كل الخير والأمن والسلام لاسرائيل ... » [1] .

وترى صحيفة مقربة من الحكومة الاسرائيلية في التعاون بين موسكو وتل أبيب من جهة وبين موسكو وعواصم الدول العربية الثورية من جهة أخرى ، ما تراه الفئات الاسرائيلية الأخرى ، ولكن بطريقة معينة ، إذ تقول :

« إن استعداد الاتحاد السوفياتي لقبول المدفوعات الاسرائيلية ، بشكل بضائع ومنتجات اسرائيلية ، هو في حد ذاته دلالة عملية على عودة السوفيات إلى سابق الجهر بودتهم لاسرائيل . هذه المودة التي بلغت ذروتها يوم احتضنت موسكو القضية الصهيونية في الأمم المتحدة أكثر من حضانة الأميركيين ، وفي ساعات الحرج اليهودي ، يوم تراجعت الولايات المتحدة عن مشروع التقسيم ، وقالت بتجميد

(١) عن « الهامشمار » الناطقة بلسان حزب « ماباي » ، ٧ تشرين الأول ١٩٦٤ .

تنفيذه في مشروع الوصاية الدولية ومشروع برنادوت، بينما ظل الاتحاد السوفياتي يناضل حثيثاً لصيانة مكاسب حرب التحرير الوطني اليهودية ضد العدوان العربي .

ولئن اعترى العلاقات السوفياتية – الاسرائيلية لون من الصمت بعد حرب سيناء عام ١٩٥٦، واتجاه السوفيات نحو تثبيت نفوذهم في المنطقة العربية وفي قلبها بالذات، في مصر، فان عودة السوفيات الى التعاون المستمر مع اسرائيل اليوم لهو دليل عملي على أن موسكو قد رسخت أركان نفوذها في العالم العربي على نحو أصبحت معه لا تخشى كثيراً عودة السياسة السوفياتية الى سابق عهدها في العمل العلني مع حكومة اسرائيل . ولقد أحسنت موسكو باستبدال سفيرها بسفير جديد بلغ نشاطه حداً رائعاً لتعزيز العلاقات السوفياتية – الاسرائيلية ، هذا السفير هو الرفيق ميخائيل بودرف ..»[1] .

وقارنت صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي « كول هاعام » بين طبيعة اهتمام السوفيات باستقبال الاسرائيليين وبين طبيعة اهتمامهم باستقبال العرب الاشتراكيين في بلاد السوفيات ، فتقول :

« حين يأتي رئيس (...) إلى موسكو لتوطيد الصداقة والتعاون السوفياتي – العربي ، سيجد في الاتحاد السوفياتي أفواجاً من الجماعات الاسرائيلية سبقته إلى هناك. فإذا احتفت الحكومة السوفياتية بالوفد... رسمياً ، فإن مختلف الأوساط الحكومية والشعبية في الاتحاد السوفياتي منهمكاً انهماكاً متواصلاً بالاحتفال والتقارب مع أفواج عديدة من الجماعات والشخصيات الاسرائيلية ، وفي مجالات أهم وأدق من هذه الصفة الرسمية التي سيلقاها الوفد ... المفاوض .

ففي كل من اسرائيل والاتحاد السوفياتي بضعة عشر مكتباً وهيئة

---

(١) عن « دافار » ، ٦ تشرين الأول ١٩٦٤ .

ومنظمة رسمية وغير رسمية متفرغة كلياً لتعزيز العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية في جهد متواصل ومنظم لا يعكره ولا يؤثر فيه نشاط السوفيات في العالم العربي . واسرائيل ، حكومة وشعباً ، تعلم ، أتم العلم ، بأن ازدياد النفوذ السوفياتي في الوطن العربي ، وزيادة اعتماد العرب على الاتحاد السوفياتي ، عسكرياً ودبلوماسياً واقتصادياً ، هو في المرحلة النهائية ، وفي المرحلة الحاضرة أيضاً ، يعزز سلامة اسرائيل تعزيزاً أكيداً راسخاً . . » (١)

وقد أجرت صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي استفتاءاً ، تحدث فيه عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية الاسرائيلية عن هذا الموضوع، فقال الكاتب الاسرائيلي مردخاي أبي شاؤول ، أحد زعماء جمعية الصداقة السوفياتية ـ الاسرائيلية :

« طالما أن القاهرة تردد شعارات موسكو حول السلام والتعايش السلمي وفض المنازعات الاقليمية بالطرق السلمية ، فنحن على يقين بأن سياسة الاتحاد السوفياتي في المنطقة العربية تخدم مصالح اسرائيل أيضاً . فاعتماد الاشتراكية العربية على معونات وعقيدة السوفيات وسلاح السوفيات يجعلنا نؤمن بأن القاهرة تعني ما تقوله عن السلام والتعايش السلمي وفض المنازعات بالطرق السلمية .. وهذا بالطبع يشمل اسرائيل .

لقد أكد لي أكثر من مسؤول سوفياتي كبير في جميع المناسبات ، بأن موسكو لن تخذل اسرائيل ابداً ، وسيجدد السوفيات يوماً ما معونتهم الخطيرة لاسرائيل لتصفية القضية العربية الفلسطينية، على نحو المعونة السوفياتية الخطيرة التي قدمتها موسكو للدولة اليهودية يوم مولدها في الأمم المتحدة » .

---

(١) عن « كول هاعام » ، ٨ آب ١٩٦٥ .

وقال موشي أموتا ، عضو الكنيست عن الحزب الديني ، وعضو اللجنة السياسية الخارجية بالكنيست :

« كل شيء يجري على ما يرام بالنسبة لعلاقات السوفيات مع اسرائيل . ونحن واثقون من أن ازدياد النفوذ السوفياتي في الشرق العربي مفيد لنا . وليس لدينا من مطلب عند الاتحاد السوفياتي سوى إفساح المجال أمام هجرة يهودية متزايدة من اليهود السوفيات إلى اسرائيل . »

وقال يوخانان بادر ، عضو الكنيست عن حزب « حيروت » المتطرف :

« ليس بيننا وبين السوفيات أي اختلاف في السياسة السوفياتية حيال العالم العربي... انها سياسة عظيمة النفع لنا ولمصالحنا ولسلامتنا. ولكن علينا أن نصر على الاتحاد السوفياتي بضرورة فتح باب الهجرة أمام اليهود السوفيات إلى اسرائيل الآن، وعدم الاكتراث بمعارضة العرب. وقد أصبحت أم بلدان العرب رهينة بيد الاتحاد السوفياتي ، ولا حول لها في ان تعارض أو تؤثر على عزم موسكو على فتح ابواب الهجرة الواسعة امام اليهود السوفيات للاستيطان في اسرائيل... »

وقال يشوعا اريئيلي ، أستاذ التاريخ المعاصر في الجامعة العبرية :

« كل معالم الحياة والحكم في هذا البلد الاسرائيلي متشابهة ومتجانسة مع الاشتراكية السوفياتية ، فمن السخافة أن يتساءل الناس حول محبة السوفيات لاسرائيل ، ناهيك بمشاركتهم في أي مجهود عربي للعدوان على اسرائيل. على العكس.. إن السوفيات اشد حرصا من أي قوة اخرى في العالم على صيانة اسرائيل التي تعتبر نموذجا بديعا للتجربة الاشتراكية . والشعب اليهودي لا يمكن ان يخاصم زعيمة الماركسية » .

وقال دافيد هاكوهين ، زعيم الهستدروت ، وأحد زعمـاء حزب « مابای » الحاكم ، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية ولجنـة الدفاع في الكنيست :

« اسرائيل بحاجة إلى الاتحاد السوفياتي مثـــل حاجة الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل . هذه قاعدة قديمة وراسخة في العلاقات بين البلدين، ولا تنس أن موسكو أول من اعترف باسرائيل وأيدها تأييداً كاملاً قبل أن تولد وابان الولادة .

...وحينما ياتي الوقت المناسب،فسيلعب الاتحاد السوفياتي اكبر دور في تصفية المسألة الفلسطينية التي تتاجر بها الرجعيةالعربية . ونحن وموسكو على يقين بانه لن يكون هناك أي خلاف أو صدام بيننا وبين السوفيات في المشاريع المرسومة والمفهومة سلفاً على السلام والتعايش السلمي في الشرق الاوسط[1] .

---

(١) نشرت « الأهرام » القاهرية في عددها الصادر يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٩ ، قانون اختصاصات مجلس الدفاع الوطني، الذي شكله الرئيس المصري برئاسته، كأعلى سلطة في مصر، جاء في الفقرة ١١ من اختصاصاته، التالي بالحرف الواحد:

(حادي عشر : دراسة مشروعات المعاهدات والاتفاقات المتعلقة بالأحلاف العسكرية وبتوقيع الهدنة وعقد الصلح وإعدادها ..)

ولم تقل « الأهرام »، أو توضح ، مع من سيجري « عقد الصلح»...!!..

هـــذا في الوقت الذي كان الكسندر شيليبين ، عضو المكتب الشيوعي السوفياتي ، يزور القاهرة ليسلم الرئيس المصري رسالة خاصة وصفت بأنها على غاية في الأهمية من الزعيم السوفياتي ليونيد بريجينيف.

ولوحظ أن شيليبين في كلمته التي ألقاها في المؤتمر الرابع للاتحـــاد الدولي لنقابات العمال العرب يوم ٣١ كانون الثاني ١٩٦٩ ، قد دعا إلى التوازن ، واستبعد أي حل آخر لأزمة الشرق الأوسط غير قرار مجلس الأمن المؤرخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

=

إن شعب اسرائيل يلاحظ ازدياد الاتصـــال السياحي والعمالي والثقافي والتجاري بين البلدين . وهذا الأمر ليس نتيجة عفوية ، إنمـا هو جزء من مخطط ثابت . ونحن والسوفيات طويلو الصبر ، ومصالحنا ومصالحهم متجانسة ، سواء في الموقف نحو المانيا الغربية أو في الموقف نحو الرجعية والعنصرية العربية . **وكلما ارتفعت اسهم السوفيات وعقيدتهم الاشتراكية وسياستهم في المنطقة العربية ، كلما ازدادت اسرائيل سلاما ورسوخا في المنطقة » .**

وقال موشى كول ، عضو الكنيست عن حزب الأحرار ، ووزير السياحة في حكومة العدو حالياً :

« المعرفة الدقيقة هي أساس الصداقـــة والتعاون . ونحن نعرف الاتحاد السوفياتي وسياسته ، وهم يعرفون حاجتنا وسياستنا . لذلك ، لا خوف على اسرائيل أبداً . بل ان لها كل المصلحة في أن لا تعرقـل

= ونقلت « النهار » (عدد أول شباط ١٩٦٩ ، رقم ١٠٢٣٤) عن وكالة أنباء الصحافة الفرنسية من القاهرة ، أن المراقبين هناك لاحظوا أيضاً أن شيليبين لم يتحدث مطلقاً ، في المؤتمر ، عن حق الفلسطينيين في أن يكون لهم وجود قومي ، وعن الواقع القومي الفلسطيني ، كما لم يتحدث عن إعادة النظر في الأسس الحالية للسياسة الاسرائيلية . واكتفى بالاشارة الى « كفاح التحرير العادل في الأراضي المحتلة » .

ولم يتحدث أيضاً عن اللاجئين الفلسطينيين أو عن المقاومة الفلسطينية بل « عن المهاجرين العرب » .

.. بينما كان شاورو ، رئيس المكتب الثقافي في اللجنـــة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، وورومانتفيف ، عضو اللجنة المركزية للحزب ، يجريان مباحثات مهمة مع المسؤولين الاسرائيليين ، كموفدين رسميين عن الحكومة والحزب في الاتحاد السوفياتي !!..

ترى ، هل حان الوقت المناسب لدور الاتحاد السوفياتي الأكبر في تصفية القضية الفلسطينية ؟!..

المسمى البناء الذي تحققه موسكو في الدول العربية ».

وقال يعقوب ريفتين ، عضو الكنيست عن حزب « مابام » :
« ليس من باب الارتجال ان اقترحت موسكو وتل أبيب معاً حظر السلاح في الشرق الأوسط . ان بيننا تفاهماً سيزداد أهمية في المستقبل. ألم تقرأ البيان السوفياتي – المصري المشترك حول حظر السلاح وحول التعايش السلمي وحول فض النزاعات بالطرق السلمية ؟ حتى العرب أخذوا ينادون بهذه المبادىء. والحقيقة أن سياسة السوفيات في المنطقة العربية مفيدة لنا جداً. وفي كل مؤتمرات الاشتراكيين، وعدم الانحياز، يجري ترديد هذه النداءات ، التي هي أيضاً مبادىء أصيلة من مبادىء سياسة اسرائيل . نحن نريد السلام والتعايش السلمي وفض النزاعات بالطرق السلمية . **ولهذا فسياسة السوفيات في الشرق العربي عظيمة النفع والفائدة لنا. وستظهر ثمارها على أطيب شكل وأعظم المواقف لصالح اسرائيل** » .

وقال غابرييل شتاين ، أحد كبار العلماء الفيزيائيين، والعضو البارز في حزب الأحرار :

« حين يقوم السوفيات بالدعوة إلى إعلان الشرق الأوسط منطقة مجردة من السلاح النووي ، فإن موسكو قادرة على أن تخدم اسرائيل والسلام العالمي أجل الخدمات . فمقدرات العرب العسكرية تزداد يوماً بعد يوم في يد الاتحاد السوفياتي . ولا بأس أيضاً من أن تساعد موسكو القاهرة على نوع من الانتاج الذري ، فبذلك يتحقق « ميزان الرعب » . فلا تعبأوا بكل ما يقوله الاشتراكيون العرب من تهديدات لاسرائيل . فتلك بضاعة سياسية ودعائية مألوفة . والعلم بالحقائق

يدفعنا إلى القناعة بأن السوفيات سيخدمون اسرائيل وسلامتها أكثر من أي طرف أجنبي . أنا مع الصداقة السوفياتية – الاسرائيلية إلى أبعد حد . والسوفيات حريصون حرصنا في اسرائيل على هذه الصداقة .. فهي ضرورية . ولولا ذلك لما أسهموا في توطيد سلامة اسرائيل يوم ولادتها بالسلاح والرجال والعمل الدبلوماسي . **لا تكترثوا للقول الدعائي الذي يوجهه السوفيات الى العرب .. فالسوفيات قوم يعلمون مواطن الضعف والقوة في الدول الضعيفة . واسرائيل ليست جاهلة ولا متجاهلة للسياسة السوفياتية . ونحن نعلم ، تمام العلم ، بأن هذه السياسة مؤيدة ، أشد التأييد ، لسلامة اسرائيل ... »[١] .**

وقد نقلت « كول هاعام »[٢] نفسها نص مقال نشرته مجلة « مازيناروودني بوليتكا » التشيكوسلوفاكية الشهرية ، يشرح بالتفصيل تكوينات الجيش الاسرائيلي مطنباً في الثناء عليه ، مؤكداً بأن « الروابط التاريخية التي جمعت بين القوات التشيكوسلوفاكية وبين جيش التحرير الوطني اليهودي أيام حرب الاستقلال اليهودية ضد العدوان العربي الرجعي عام ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، لم يعترها أي فتور ، وان العلاقة والزمالة بين المعسكر الاشتراكي ، بزعامة السوفيات ، وبين اسرائيل ، لا يمكن أن تتأثر بسبب معونة المعسكر الاشتراكي للأنظمة الاشتراكية العربية ، كالجمهورية العربية المتحدة وغيرها ، لإنجاح التحويل ، الاشتراكي في كل العالم العربي . فمثل هذا التحويل ضروري لسلامة

---

(١) عن « كول هاعام » ، ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٤ ، في استفتاء أجرته عن أهمية الصداقة السوفياتية للعرب واسرائيل .

(٢) عن « كول هاعام » ، ١٣ ايلول ١٩٦٥ .

اسرائيل. إذ أن الذين يعارضون اسرائيل ووجودها من الجانب العربي هم الرجعيون وعملاء الاستعمار. أما الأنظمة والحركات التقدمية فلا يمكن أن تكون طرفاً في عدوان على اسرائيل، وإلا لما قام الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى، مثل تشيكوسلوفاكيا، بالأخذ بيد الاشتراكية العربية التقدمية في مصر ومساعدتها على النجاح... فمقدرات اسرائيل متجانسة تجانساً كلياً مع مدى نجـــاح التحويل الاشتراكي التقدمي في البلدان العربية، بقيادة الجمهورية العربية المتحدة ومعونة الشقيق الأكبر الاتحاد السوفياتي».

٥

من البديهي أننا مهما حاولنا البحث عن حقيقة العلاقة التي تربط موسكو بتل أبيب ويهود العالم بصورة عامـــة من جهة، وموسكو بالزعامات الاشتراكية العربية من جهة أخرى، فالعجز عن الالمـــام بصورة، ولو مبسطة، عن تلك الحقيقة، هو حتماً مـا سنخرج به بنتيجة بحثنا المرهق.

ويبدو أن الله تعالى لم يشأ بعد أن نقف على حقيقة تلك العلاقة، بدليل انـــه لم يهد إلى الصراط المستقيم حتى الآن أياً من الزعامات العربية الاشتراكية – من التي كانت غارقة، أو ما تزال، في «بئر صداقتها» مع الاتحاد السوفياتي– فتتمرد هذه الزعامات على «صداقتها المشبوهة»، وتكشف لنا عما يريده السوفيات والشيوعية العالمية بشكل عام؟..

وفي اعتقادي أنه عز وجل يريد من ذلك حكمة عميقة، لا شك، نحن أعجز عن اكتناه سرها. لقد نسيناه، فنسينا، وأنسانا طريق فلاحنا، وانتصارنا، ولو أننا عدنا إليه، إلى رحابه الكريمة الواسعة،

إلى أصول دينه ، إلى التوحيد باسمه لا غير ، وتضامنا مؤمنين جميعاً ، وشعر كل منا بمسؤوليته . . لو فعلنا ذلك « في هذه الليلة ، لوافانا النصر صباح الغد » . فقد « تعهد الله تعالى في كتابه الكريم بنصر المؤمنين ، فاذا كنا حقاً مؤمنين ، وعملنا بما يقتضيه هذا الايمان ، لانتصرنا »[1] .

المؤمنون الحقيقيون فقط هم المنتصرون . .

ألم يكن غريباً وعجيباً ، وغير طبيعي ، إذن ، أن ننتصر ؟! . .

. . غير أن أحد الاشتراكيين العرب ممن لعبوا دوراً بارزاً في حياة سورية خلال السنوات القليلة الماضية [2] ، كشف أخيراً ، ولكن في أسطر قليلة ، عن تجربته مع السوفيات ، فقال :

« يعتقد الرأي العام الأوروبي أن الاتحاد السوفياتي حوّل الشرق الاوسط الى ترسانة حربية ، هذا منطق يمكن قبوله بسهولة ، لما يبدو عليه من ارتكاز على واقع فعلي . ان الاستراتيجية السوفياتية - وحين نتحدث عن استراتيجية حرب عالمية محتملة ، نتجه في تصورنا إياها حسب قواعد الحروب الكلاسيكية السابقة - ترى انه إذا اتفق يوماً أن هوجم القوقاز السوفياتي ، فان الهجوم لا بد أن يعبر سورية ومصر . لذلك كانت صداقة هذين البلدين ضرورة دفاعية بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي . لهذا السبب ، زعمت صحف كثيرة أن الاتحاد السوفياتي ضد اسرائيل ، وانه يسعد بان نحذف اسرائيل من خارطة

---

(١) من كلمة للملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود « الحياة » ٦٧٥١ ، ١٠ نيسان ١٩٦٨ .

(٢) هو الدكتور سامي الجندي ، الذي انتخب عضواً في قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي القطرية بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ في سورية ، وعين وزيراً للثقافة والارشاد القومي والاعلام ، وعضواً في مجلس قيادة الثورة ، وناطقاً رسمياً باسم هذا المجلس . . كان سفيراً لسورية في باريس ابان حرب حزيران ١٩٦٧ .

العالم . وتستند الصحف هذه في رأيها الى صداقة الاتحاد السوفياتي للعرب . أنا نفسي اقتنعت برأيها في البدء .

كلفني مجلس قيادة الثورة عام ١٩٦٣ – في سورية – الاتصال ببعض ممثلي الاتحاد السوفياتي لاقامة علاقات صداقة بين بلدينا . وقد كلفت بذلك لأني كنت مقتنعاً بأن الاتحاد السوفياتي هو الدولة الوحيدة التي ستدافع عنا ، والحامية الوحيدة للاشتراكية .

قال لي المسؤول الدبلوماسي الروسي في لقائنا الأول :

« تعلم ، أن الاتحاد السوفياتي معترف باسرائيل ، ونحن ضامنون بقاءها » .

قلت ضاحكاً :

« من ترى بحاجة الى حماية حدوده ؟ .. »

فأجابني بصراحة تامة :

« أنتم ... ومع ذلك ، فنحن لا نسمح بعدم توازن القوى في الشرق الاوسط »[1] .

أثبتت الأحداث أن الاتحاد السوفياتي كان ، وما برح ، ضامناً ، كل الضمان ، بقاء اسرائيل . كما أثبتت مواقفه طوال سني « الصداقة العربية – السوفياتية » ، أنه أبداً لم يسمح بعدم توازن القوى في المنطقة لصالح « صديقاته » من الدول العربية .. ذلك أن كارثتنا التي نتجت عن اختلال في هذا التوازن خلال حرب حزيران ، إنما وقع بسبب « تقارير مغلوطة » اعتمد عليها الطيب الذكر وزير الدفاع السوفياتي السابق الرفيق مالينوفسكي !..

حقاً ، تفسخ العقل العربي عقماً ؟..

---

(١) ص ١٦٨ من كتاب « عرب ويهود » للدكتور سامي الجندي .

الفصل الخامس

« صحيح أننا عملنا حتى الآن على تسهيل الحياة أمـــام مملكة تعيش بعيدة عن النفوذ السوفياتي . ولكن ، في النهاية ، تفرض علينا مصالحنا الاختيار ... نجد الآن أنه يوجد في سورية نظام بعثي ، عنيف في عدائه لاسرائيل – ؟!.. – وهو تحت النفوذ السوفياتي . ولكن الواقع أن هدوءاً كاملاً يسود خطوط وقف اطلاق النار التي تفصل بيننا وبين هذه البلاد . وبتعبير آخر ، وبغضّ النظر عن المفاهيم العقائدية ، علينا أن ننظر إلى الأمور نظرة واقعية » .

آبا ايبان

من تصريح لمجلة « الاكسبريس » ٢٢ نيسان ١٩٦٨

قبل حربنا الثالثة المزعومة مـــع اسرائيل في حزيران ، بنحو اسبوعين ، أعلن مسؤول سوري عسكري كبير في تصريح رسمي[١] أنه يرى أن لا بد « على الأقل من اتخاذ حد أدنى من الاجراءات

(١) لجريدة « الثورة » ، الناطقة بلسان الحكومة السورية ، عدد ٢٠ أيار ١٩٦٧.

الكفيلة بتنفيذ ضربة تأديبية لاسرائيل تردها إلى صوابها » .

وأضاف : « إن مثل هذه الاجراءات ستجعل اسرائيل تركع ذليلة مدحورة ، وتعيش جواً من الرعب والخوف يمنعها من أن تفكر ثانية في العدوان » . وقال ان الوقت قد حان « لخوض معركة تحرير فلسطين » . وان القوات السورية المسلحة أصبحت جاهزة ومستعدة « ليس فقط لرد العدوان الاسرائيلي ، وإنما للمبادرة لعملية التحرير بالذات ونسف الوجود الصهيوني من الوطن العربي »[1] .

وقال : « اننا أخذنا بعين الاعتبار تدخل الأسطول الاميركي السادس » . وأضاف : « ان معرفتي لامكاناتنا تجعلني أؤكد أن أية عملية يقوم بها العدو هي مغامرة فاشلة . وهناك إجماع في الجيش السوري ، الذي طال استعداده ويده على الزناد ، على المطالبة بالتعجيل في المعركة ، ونحن الآن في انتظار إشارة من القيادة السياسية » .

---

(١) قال الدكتور سامي الجندي على الصفحتين ١٦٣ – ١٦٤ من كتابه «عرب ويهود»:

« قامت في سورية في ٨ آذار ١٩٦٣ ثورة ضد حكم قائم وحل محله حكم جديد تسلم السلطة فيه حزب البعث، وانتخبت في هذه الفترة عضواً في القيادة القطرية للحزب وعينت وزيراً للثقافة والاعلام وعضواً في مجلس قيادة الثورة وناطقاً رسمياً باسم هذا المجلس . ألقينا على أنفسنا أسئلة كثيرة ، وناقشنا كل القضايا ، ومن بينها القضية الفلسطينية التي كانت دوماً محور السياسة العربية الرئيسي والأساسي ، وخاصة الدول المتاخمة لاسرائيل. وفي وعينا انها أخطر القضايا ، فهي مكمن خطر كبير ، كما هي مصدر خوف جماهيري . ولأعطي فكرة عن موقف سورية تجاه هذه القضية ، يكفي أن أنوه بأن ٦٣ بالمائة من الميزانية مكرس للتسلح . سألنا أنفسنا هذا السؤال الدقيق : « ماذا نفعل لو هاجمتنا اسرائيل ..؟.. » . طلبنا أدق المعلومات السرية لنستطيع تقييم قوة العدو وقوتنا . وفوجئنا بالفرق الشاسع بين القوتين . وقدرنا أن الجيش السوري ، رغم تسلحه الجيد وتمرسه وشجاعته ، ليس في وضع يسمح له أن يصمد أكثر من ساعات أمام أي هجوم اسرائيلي » .

وكشف المسؤول البعثي الكبير في تصريحه النقاب عن أن طائرات سلاح الطيران السوري قامت بعدة رحلات استطلاعية فوق اسرائيل، كانت آخرها في ١٤ أيار – ١٩٦٧ – وعند الظهر. وقال: «ان طائراتنا توغلت عشرات الكيلو مترات في مهمة استطلاعية. وقد أطلقت المدافع المضادة وصواريخ (هوك) الاسرائيلية على الطائرات السورية التي قامت بمهمتها وعادت إلى قواعدها». وأضاف ان سلاح الطيران السوري أصبح في المستوى «الذي يمكنه من القيام بواجبه على أكمل وجه، وله مهمات محددة ومرسومة بموجب الخطة الموضوعة». وذكر ان سلاح الطيران السوري «تطور تطوراً كبيراً بعد ثورة ٢٣ شباط ١٩٦٦ من حيث الكمية والنوع والتدريب، وأصبحت لديه زيادة كبيرة في عدد الطائرات، وهي من أحدث الطائرات في العالم وأفضلها تسلحاً. كما ازداد عدد الطيارين وارتفع مستوى التدريب». وقال: «ان العملاء يركزون باستمرار على أن هناك عدداً كبيراً من الطيارين المسرحين. ولكن عدد الطيارين المؤهلين لخوض المعارك الجوية والذين هم خارج الخدمة، لا يتجاوزون عدد أصابع اليد».

وأشار المسؤول السوري العسكري الكبير إلى أن الثورة انتهت من سياسة الشكوى إلى الأمم المتحدة وصممت على الاعتماد على نفسها «في تأديب العدو. وكانت ترد على كل تحرك يقوم بـــه رداً قاسياً وتدك مواقعه».

وأضاف: «رغـــم اعتماد اسرائيل على الأسطول السادس وعلى القوى الاستعمارية، فستبقى المسألة مغامرة غير معروفة النتائج بالنسبة إلى المغامرين. إنما نحن واثقون بأنفسنا وبشعبنا وقدرته على تدمير

العدوان، كما اننا واثقون من تأييد شعوب العالم الثالث وشعوب البلدان الاشتراكية » .

وكانت مصر الثورة قد أكدت في ٢٦ أيار ١٩٦٧ [١] ، بأنـــه « أخيراً ، شعرنا بأن قوتنا كافيـــة ، واننا بدخولنا أية معركة مع اسرائيل سننتصر » [٢] ..

---

(١) عن « النهار » ٩٦٥٥ ، ٢٧ أيار ١٩٦٧ .

(٢) أورد الدكتور سامي الجندي على الصفحتين ١٦٤ - ١٦٥ من كتابه «عرب ويهود»، الحادث التالي :

« في ٩ تموز - ١٩٦٣ - قدم المهدي بن بركة إلى دمشق ليتصل بالمسؤولين على وجه السرعة. وطلب مقابلتي شخصياً. وقال لي : « يريد الرئيس عبدالناصر الانسحاب من ميثاق ١٧ نيسان » . كان ذلك أعظم وأشمل خيبة أمل لدى السوريين جميعاً ، بل كان خطراً يتهدد تطلعنا القومي ، فاجتمع مجلس قيادة الثورة رأساً، وقرر أن يرسل إلى القاهرة وفداً مؤلفاً من ثلاثة عسكريين، ومني.

وصباح ١٨ تموز ، غادرت الطائرة بنا دمشق إلى القاهرة ، وبعد أربعين دقيقة من إقلاعها ، قامت محاولة فاشلة لقلب نظام الحكم في دمشق ، يقودها صديق للرئيس هو العقيد جاسم علوان . كان الرئيس حزيناً ، لأنه كان في خشية على أصدقائه . وأنا أعرف أن عبد الناصر يحب أصدقاءه .. »

وانتقل الجندي إلى الحديث عن المباحثات التي دارت بين الوفد السوري وبين الرئيس المصري ، فقال :

« استمر النقاش من السابعة مساء - من يوم ١٨ تموز ١٩٦٣ - حتى الخامسة صباحاً . واستؤنفت في الثامنة والنصف صباحاً، ولم ينته إلا في الثانية عشرة والنصف . استعرضنا كل القضايا العربية وكل المواضيع التي تستحوز على اهتمام شعبنا . سأله أحد الضباط السوريين هذا السؤال : « ما رأيك، سيدي الرئيس ، في حرب قد تقع مع اسرائيل ؟.. نحن السوريين ، نعتقد انها تعد لحرب !.. » قال الرئيس: « ليس لنا إلا أن ندافع !.. وإذا شئنا أن ننتصر، فإن علينا أن نملك قدرنا ، وأن نحدد مكان المعركة وزمانها !.. »

وذكر سامي الجندي على الصفحة ١٦٦ من كتابه، انه في مؤتمر القمة المنعقد بالدار البيضاء « قدم الفريق علي علي عامر بيانه الحربي، فقال: إذا تحملت الدول=

هذا قبل الحرب المزعومة في حزيران ..

لكنه .. في النهاية « انقذ الهجوم الاسرائيلي على سوريا، خلال حرب حزيران، النظام البعثي المتطرف فيها...»[1]، بعد أن أوشك هذا النظـــام على الانهيار خلال شهر أيار، السابق لشهر العدوان الاسرائيلي، بعد الثورة الشعبية التي كادت أن تعم سورية للشطط الالحادي الذي كرس الحكم البعثي وجوده في سبيل تعميمه، ليتوّجه بعد ذلك بالمقال الالحادي المشهور عن « خلق الانسان العربي الاشتراكي الجديد » في مجلة « جيش الشعب » الصادرة عن وزارة الدفاع السورية في العدد رقم ٧٩٤ الصادر يوم ٢٥ نيسان ١٩٦٧، إيمانـاً من الحزب البعثي الحاكم بأن « التجربة الدينية كانت تجربة القرون الوسطى، وقد انتهت بالفشل، وكلفت البشرية كثيراً من الجهد والدمـاء ومن المشاكل. وحدثت تقريباً في أوقات قريبة في البلاد الاسلامية وفي أوروبا المسيحية »[2]..

٢

الحديث عن موقف نظام حكم البعثيين في سورية من حرب

= العربية مسؤولياتها كاملة، فستصبح قواتنا معادلة لقوات اسرائيل خلال ثلاث سنوات. فإذا شئنا التفوق عليها لزمنا ثلاث سنوات أخرى، لأن تعادل قواتنا لا يعني النصر حتماً. ذلك أن التدريب الاسرائيلي متفوق على تدريب جيوشنا. وثمة عوامل عدة في صالح اسرائيل في كل معركة: وحدة الأرض، سهولة الادارة، سهولة الحركة. أضف إلى ذلك وحدة القيادة. ولا ننس أبداً وسائل الاتصال الجيدة. فلتحشد اسرائيل جيوشها لا تحتـاج إلى استقدام وحداتها المسلحة من مسافة آلاف الكيلومترات .. »

(١) عن « تايم »، ٢٣ حزيران ١٩٦٧.

(٢) ميشال عفلق في كتابه « في سبيل البعث » ص ٩٦.

حزيران ، حديث مرعب ودام لكل نفس عربية ومسلمة مؤمنة .

ما الذي جرى خلال حرب حزيران، في ذلك البلد العربي الاسلامي الأصيل ، الذي كان جيشه أمل العرب والمسلمين في تحرير فلسطين ، على حد تعبير الملك فيصل بن عبد العزيز ؟ ..

عند « ظهر الخامس من حزيران ، اتصـــل سفير دولة كبرى في دمشق بمسؤول كبير ، ودعاه إلى منزله لأمر عاجل مهم !!.. وتم الاجتماع في الحال ، فنقل السفير للمسؤول السوري نص برقية عاجلة من حكومته ، تؤكد أن سلاح الجو الاسرائيلي قد قضى قضاء مبرمـاً على سلاح الجو المصري، وان المعركة بين العرب واسرائيل قد اتضحت نتائجها منذ الساعة التاسعة من ذلك الصباح ، وان كل مقاومة أرضية ستورث خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات لا مبرر لها، وان اسرائيل لا تنوي مهاجمة النظام السوري ، بعد أن يستتب لهـــا تأديب جمال عبد الناصر !.. وبانتهاء الزعيم المصري ، تتفتح الآفاق العربية أمام الثورة البعثية من المحيط إلى الخليج ، **وان اسرائيل ، من قبل ومن بعد ، بلد اشتراكي ، يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية ... خاصة البعثية العلوية ، ويمكنها ان تتعايش وتتفاعل معها لمصلحة الكادحين في البلدين.. وقد يكون ذلك منطلقاً نحو تسوية نهائية على أسس الأخوة الاشتراكية ، ولذا ، فمصلحة سورية .. مصلحـــة الحزب ومكاسب الثورة، ان تكتفي بمناوشات بسيطة، لتكفل لنفسها السلامة !!..**

وذهب المسؤول السوري ، ليعرض ما سمعه لتوّه على رفاق القيادة القومية والقيادة القطرية .. إلى آخر القيـادات !.. وكانت الطائرات الاسرائيلية في تلك اللحظة تدمر المطارات السورية والطائرات الجاثمة - براحة - فوقها ، مما أضفى على الموقف جو المأساة !..

وعاد الرسول السوري ، غير بعيد ، ليبلغ السفير استجابة الحزب والحكومة والقيادات ، لمضمون البرقية العاجلة !.. وهكذا كان !..

غير أن اسرائيل ، بعد أن انتهت من العمليات الحربية في الجبهتين الجنوبية والشرقية ، اتجهت بثقلها إلى الجبهة الشمالية ، بعد أن مهدت لهذه الحركة المفاجئة بحرب نفسية ، فسقط خط « ماجينو » السوري دون قتال !..وسحبت القوات الأمامية لحماية مكاسب الثورة وبطولات الحاكمين في دمشق !..

وقال معلق راديو دمشق ذلك المساء : الحمد لله !..لقد استطاعت قواتنا الباسلة حماية مكاسب الثورة أمام الزحف الاسرائيلي ! الحمد لله الذي أفسد خطة العدو وقضى على أهدافه الجهنمية !.. ان اسرائيل لن تحقق نصراً يذكر ، طالما أن حكام دمشق بخير !!.. »[1]

ثمة رواية أخرى نشرتها مجلة فرنسية [2] ، تقول انـــه « حوالي الساعة التاسعة من يوم الاثنين ٥ حزيران ، تلقى موظف كبير مسؤول في قسم الصحافة بوزارة الخارجية السورية ، مكالمة هاتفيــة من أحد محرري وكالة الصحافة الفرنسية بدمشق ، طلب إليه فيها أن يلقي نظرة على جهاز استقبال الرسائل البرقية « التلكس » التابع للوكالة والمجهز به مكتب الموظف .

هكذا عرفوا في دمشق بخبر نشوب الحرب . وقد اتصل الموظف هاتفياً في الحال بالسكرتير العام لوزارته ونقل إليه الخبر ، وحمله هذا بدوره إلى ابراهيم ماخوس ، وزير الخارجية ، الذي كان موجوداً في ذلك الحين في مطـــار المزة ، لوداع زميله الليبي . وتهلل وجه

---

(١) عن « المؤامرة ومعركة المصير » لسعد جمعة ، ص ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ .
(٢) عن « جون افريك » ، ٦ آب ١٩٦٧ .

الدكتور ماخوس فرحاً عندما سمع بالعدوان الاسرائيلي . وكان أول ما فعله أن طلب دعوة الموظفين الرئيسيين في وزارتـــه إلى اجتماع « تاريخي » عند ظهر اليوم نفسه . قـــال ماخوس في هذا الاجتماع لموظفيه : « لا يفصلنا عن الانتصار إلا ساعات قلائل . علينا أن نسرع جـــداً . هيئوا تعميماً لبعثاتنا في الخارج ، وزعوه أيضاً على السفراء المعتمدين في دمشق ، تشيرون فيه بأسلوب غير صريح طبعاً ، إلى أننا نحن الذين أشعلنا الحرب ، واننا نحن الذين سوف نقطف ثمرات النصر ، وان الجمهورية العربية المتحدة لم تفعل غير السير مع التيار ... » .

مساء الاثنين ، كانوا ينتظرون في دمشق توغـــل القوات المصرية والاردنيـــة في الأراضي الاسرائيلية لـكي يصدروا الأوامر إلى قوات الجبهة السورية بالهجوم . وكانوا قـــد سيروا جميع الاحتياطي نحو الجنوب .

بدأ الفرح ينقلب حزناً ، عند مساء الثلاثاء . فالقيـــادة العربية الموحدة تطلب إلى السوريين فتح جبهة لتخفيف الضغط عن الجبهات الأخرى ، وتحثهم على المبادرة بالهجوم فوراً . ولم يكن أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث على اتفـــاق . فالأغلبية تعارض إرسال اللوائين النخبة ، اللواء الخامس واللواء السبعين ، إلى الجبهة ، وهما اللواءان الوحيدان اللذان يسمح لهما تسليحهما القيام بهذه المبـادرة ، ولكنهما أيضاً الوحيدان اللذان يعتمد عليهما النظـــام لحمايته والدفاع عنه ضد أعدائه في الداخل . وفي الساعة الرابعة من صباح الثلاثاء افترقوا بعد اجتماع صاخب ، حدث خلاله أن رمى صلاح جديد رأس حافظ أسد ، وزير الدفاع ، بكرسي .. بعد أن طالب هذا الأخير بإرسال اللوائين المذكورين ، المعسكرين في حمص ودمشق ، إلى الجبهة .

صباح الخميس، هبت ريح من الذعر على صفوف المسؤولين البعثيين. فقد عبر سليم حاطوم الحدود ووصل إلى السويداء، حيث اتصل سلطان باشا الأطرش، الزعيم الدرزي المعروف، بالمسؤولين ليقول لهم ان حاطوم و ١٧ من رفاقه الضباط المبعدين، موجودون لديه وهم مستعدون لتسليم أنفسهم للقضاء السوري أو الذهاب إلى الجبهة للقتال، واستدعي سليم حاطوم وصحبه إلى دمشق، حيث أوقفوا وعذبوا، ثم أعدموا.

صباح الجمعة، أعلن البلاغ رقم ٦٦ سقوط القنيطرة، مع أن هذه المدينة لم تحتل إلا بعد مرور عشر ساعات. وفي شرح هذه المناورة، يقول صلاح جديد انه أراد إرغام مجلس الأمن على إصدار قرار بوقف إطلاق النار، في أقرب موعد ممكن. وبالفعل صدر قرار وقف إطلاق النار، ولكن الاسرائيليين لم يحترموه إلا بعد أن تم لهم احتلال منابع نهر الأردن والقنيطرة، وهي مركز خطوط المواصلات التي تربط جميع المناطق الجنوبية من البلاد بالعاصمة، وحيث توجد مستودعات المؤن والذخائر قدرت قيمتها بمائة مليون ليرة سورية. وعندما عرف جنود الجبهة بسقوط القنيطرة قبل الأوان، تصوروا انهم قد طوقوا وانطبق عليهم فكا كالكماشة، التي شكلتها القوات الاسرائيلية. وعندئذ بدأ التراجع الكيفي الذي يعبر عنه باللغة العسكرية « لينج من يستطيع ». وفي الحال بادر الضباط الاحتياطون، وجلهم من معلمي المدارس البعثيين، إلى استبدال بزاتهم العسكرية بألبسة مدنية وانطلقوا هاربين نحو دمشق. وطالبهم جنودهم بتنظيم الانسحاب، لكنهم أجابوا بأنهم ليسوا أبناء المهنة !.. وهكذا يمكن القول أن البلاغ رقم ٦٦، الذي أعلن سقوط القنيطرة قبل الأوان، قد أفضى إلى تحطيم معنويات الجيش السوري بالدرجة الأولى، فترك هذا الجيش

للاسرائيليين معدات ثقيلة وقطع مدفعية من أحدث طراز وفي حالة ممتازة .

الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم السبت .. كل شيء انتهى . وجمع الوزير ماخوس موظفيه مرة أخرى ، وخاطبهم قائلا : لقد خسرنا جولة ، فلا داعي للحزن . كل ما أطلبه منكم هو إعداد تعميم آخر يوجه إلى بعثاتنا في الخارج ، تبرزون فيه الفكرة القائلة بأن تسرّع الجمهورية العربية المتحدة في شن الحرب قد جاء عندما لم نكن نحن مستعدين للقتال ، وان تحطيم طيرانها الذي كنا نعتمد عليه ، هو الذي أعاق هجومنا على حيفا .

(الظاهر ، كما يحصل دائما عند البعثيين ، ان ماخوس نسي تصريح زميله المسؤول العسكري البعثي الكبير في ١٩ أيار ١٩٦٧ عن استعدادات الجيش العقائدي البعثي في سورية « ليس فقط لرد العدوان الاسرائيلي ، وإنما للمبادرة لعملية التحرير بالذات ونسف الوجود الصهيوني من الوطن العربي » ، وتأكيد هذا المسؤول البعثي العسكري الكبير على أن هناك إجماعاً في الجيش العقائدي البعثي « على المطالبة بالتعجيل في المعركة » ..

– راجع التصريح كاملا في مستهل هذا الفصل – ..) .

الحقيقة أن المسؤولين الحاليين في دمشق ، بوقفهم المتصلب وبدعوتهم إلى الصمود في وجه الخطر الصهيوني ، يلبون رغبات الأكثرية الساحقة من السوريين ، ويستعيدون بأيديهم إمساك زمام الخط السلوكي الذي أصبح الصفة المستمرة للسياسة السورية . فمنذ خلق اسرائيل عـــام ١٩٤٨ ، وفي ظل جميع الأنظمة التي توالت على دمشق ، كانت القضية الفلسطينية في نظر جميع المسؤولين ، ونظر جميع طبقات الرأي العام ، قضية وطنية عليا ، خليقة بكل الجهود وكل التضحيات . فمن النظام

البرلماني للرئيس الراحل شكري القوتلي إلى النظام البعثي الجديد لصلاح جديد، مروراً بالوحدة السورية – المصرية، نجد أن سورية قد ضحت، باسم فلسطين، بمئات الشهداء. وباسم فلسطين، قبلت تجميد نموها الاقتصادي لتنشىء جيشاً كلفها حتى الآن أكثر من خمسة مليارات من الدولارات.

ان الجبهة السورية – الاسرائيلية «خط ماجينو» السوري المشهور الذي كلف البلاد أكثر من ثلاثمائة مليون دولار لتحصينه وتجهيزه بأحدث المعدات، والذي اشتهر عنه بأنه لا يؤخذ، هذا الخط سقط بأيدي القوات الاسرائيلية خلال ٤٨ ساعة فقط»..

وترسم «التايم» الاميركية[1] صورة عن خط «ماجينو» السوري هذا، فتقول ان سورية تسيطر «على سلسلة من التلال الصخرية الشديدة الانحدار تمتد لمسافة أربعين ميلاً، وتشرف على سهول منكشفة للنيران، وعلى جوانب التلال خطوط دفاعية مستقلة فوق بعضها، وكل خط منها تحميه ثلاث طبقات من الألغام، وأسلاك شائكة، واستحكامات منيعة. وللوصول إلى الطبقة العليا يجب عبور تسعة خطوط «ماجينو» مصغرة. وعلى كل قطعة من الطبقة العليا تكمن متاريس صخرية تحت الأرض وأبراج مدفعية من الخرسانة تبلغ سماكة جدرانها خمسة أقدام. وتربط كل هذا أنفاق سميكة الجدران. وقد حفرت المرائب في الأرض لتضم الدبابات والمركبات. وتحمي مواقع المدفعية طبقة أرضية يبلغ ارتفاعها عشرين قدماً. كما زرعت الألغام ضد الدبابات»..

لكن «تايم» تقول خلافاً لرواية المجلة الفرنسية، انه «في خلال سبع وعشرين ساعة فقط، وبعد دفع الثمن بمائة وخمسة عشر

---

(١) عن «تايم»، العدد الصادر في الأول من ايلول ١٩٦٧.

قتيلاً وثلاثمائة واثنين من الجرحى الاسرائيليين ، مقابل ألف قتيـــل سوري وعدد لا يحصى من الجرحى وستمائة أسير ، أصبح الاسرائيليون أسياد المرتفعات السورية » ..

ولعل في رواية ضابط لبنـاني شهد المعركة بين سورية واسرائيل صبيحة التاسع من حزيران في موقع (تقل القاضي) ما يكشف عن أبعاد النكبة الكبرى التي يعيشها العرب جميعاً ، نتيجة هيمنة الثوريين الاشتراكيين ، أنظمة وحركات ، واحتكارهم العمل الوطني والقومي . وفي يقيني أن نكبة حزيران لم تقع في الخامس منه ، إنما بدأ الاعداد والتمهيد لها منذ يوم ٨ اذار ١٩٦٣ في سورية ..

قال الضابط اللبناني الذي شهد المعركة :

« بدأ الاسرائيليون المعركة حوالي الساعـــة التاسعة إلا ربعاً في الصباح .

بدأت أسراب الطائرات الاسرائيلية – وكان كل سرب مؤلفاً من أربع طائرات – تتدافـــع ، سرباً إثر سرب ، لضرب التحصينات السورية في (تل القاضي) .

ومنطقة (تل القاضي) هي الجزء الوحيد في التحصينات السورية التي لم تبن فيه المواقع الدفاعية بالأسمنت المسلح ، لأن هـــذه المنطقة محصنة بشكل طبيعي ، وتعتبر الصخور التي تحميها من أقسى وأقوى المواقع الجبلية في سورية ..

ولم ندرك في البداية سر اختيار الاسرائيليين لهذه المنطقة بالذات ، التي كانت الفكرة السائدة عنها انها أصعب نقطة في التحصينات السورية .

واستمر ضرب الطيران الاسرائيلي للمنطقة بالقنابل والصواريخ حوالي الساعة . وعندما خف نشاط الطيران بدأ ضرب المدفعية .

ومع أن تحضير أرض المعركة من قبل المدفعية يستغرق عادة بين الأربع والست دقائق ، نظراً للصروف الباهظ بالذخيرة الذي يحتاجه ضرب المدفعيـة ، إلا أن الاسرائيليين استمروا في الضرب حوالي ١٥ دقيقة ، انتهت بتوجيه كمية من قنابل الدخان الكثيف ، دليلا على بدء المعركة الفعلية على الأرض .

وفي الساعـة العاشرة ، تحرك لواء مدرع من جرافات البلدورز الضخمة – وهي آليات مدرعة ولها جنزير وبرج لحماية السدنة فيها – وأخذت توجه جرافاتها المسنونة إلى الكتل الصخرية التي تحمي تحصينات موقع (تل القاضي) والتي كانت التقديرات العسكرية تؤكد استحالة اختراقها من قبل أسلحة الدروع .

ووقع ما لم يكن في الحسبان ، واستطاعت مدرعـات البلدورز اختراق الصخور . وبعد ذلك أخلت الطريق للدبابات الاسرائيلية التي أخذت تتسلق الطريق في محاولة لتطويق التحصينات السورية وضربها من الخلف . وكانت كل دبابة مزودة بسيارتين مصفحتين احداهمـا للذخيرة والثانية للوقود .

وكان في برج المراقبـة المشترك على الحدود السورية – اللبنانية ضابط سوري ، كان المفروض أن يتصل بمقر قيادة الجيش السوري على الجبهة ، ليحيطها علماً بأخبار محاولة اختراق الجبهة بمدرعات البلدورز وتعيين زوايا تحرك الدبابات الاسرائيلية بواسطة المنظار المكبر، لتتمكن المدفعية السورية من توجيه ضربات قاتلة إليها .. ولكن سرعان مـا تبين أن الضابط السوري لم يكن يعرف لا استعمال المنظار المكبر ولا تعيين زوايا تحرك الدبابات وإبلاغها إلى سلاح المدفعية .

لقد كان الضابط السوري وطنياً مندفعاً ، ومن أشد المتحمسين

للنظام القائم ، ولكنه كان معلم مدرسة لم تمض عليه أكثر من ستة أشهر في الجيش ، وبالتالي لم تكن لديه أية مبادرة عسكرية أو معرفة في فنون القتال الضيق .

ومع ذلك ، فلم يكن لذلك أية أهمية ، لأن المعركة في الأساس لم تكن معلقة على مقدرة ضابط برج المراقبة ، بقدر ما كانت متوقفة على مقدرة القيادة السورية على الجبهة ، للقيام بهجوم مضاد يقوم به اللواء المدرع الذي لم يصب – وهو في تحصيناته – بالقذف الجوي .. وذلك في الوقت الذي تكون المدرعات الاسرائيلية قد وصلت إلى رأس (تل القاضي)، أي في اللحظة التي تعتبر منتهى الارهاق بالنسبة للمهاجم..

في تلك الدقائق الحاسمة ، أخذت الدبابات السورية تخرج من تحصيناتها .. ولكن المفاجأة التي أذهلتنا أن هذه الدبابات بدلاً من القيام بهجوم معاكس مضمون النتائج ، اتجهت نحو القنيطرة ..

لماذا ؟.. ما هي الحكمة ؟..

الى الآن ، لم استطع أن أعرف ، وبالتالي ان افهم . لا سيا وأن القنيطرة سقطت بعد ذلك بدون قتال وباعلان مسبق بالاذاعة ...

وقد وقع أثناء انسحاب اللواء المدرع السوري حادث طارىء ، كشف عن مدى الخسائر التي كان يمكن إلحاقها بالمدرعات الاسرائيلية لو قامت الدبابات السورية بالهجوم المعاكس .

لقد تعطلت إحدى الدبابات بالصدفة ، بعد تعطل جنزيرها . وكانت هذه الدبابات في أواخر الرتل السوري المنسحب ، ولم يكن أمام قائد الدبابة إلى أن يحارب ، فأدار مدفعه إلى الخلف ، واستطاع من مكانه ، وخلال دقائق معدودة ، أن يدمر ست دبابات ، ويوقف تقدم الإسرائيليين. واستنجد العدو بالطائرات ، فدمرت الدبابة

السورية الشجاعة بصاروخ جوي . ولولا ذلك لاستطاعت تدمير ١٥ دبابة اسرائيلية على الأقل قبل أن تصاب وتحترق ، ..

وحينما سئل الضابط اللبناني ، بماذا يفسر ذلك كله ، أجاب :

« بقصة السوري الذي أرسل الى برج المراقبة .. إن كثيراً من الضباط السوريين من رتبة ملازم الى رتبة نقيب – وهم الضباط الذين يشكلون الأعمدة الأساسية لكل جيش في العالم – يتمتعون بمزايا حزبية عالية ، ولكنهم لا يتمتعون بمزايا عسكرية مماثلة ... »[1].

ويعزو الملك حسين أسباب الهزيمة إلى عاملين ، إذ يقول :

« لما كنت أعتقد أن المبرر الوحيد لغلطة ترتكب هو الدرس الذي يمكن استخراجه منها ، يهمني ان اوضح هنا – دون أن أحاول إلقاء مسؤولية الفشل المشترك على فريق معين – ان عاملين اثنين قـد أوصلانا ، والنزاع في مستهله ، الى ما انتهينا اليه ، وجعلانا ندفع الثمن غالياً .

فمن جهة فوّت علينا تأخر الطيران السوري في التدخل فرصة ذهبية كان يمكن ان ننتهزها لقلب الموقف لمصلحة العرب. فلولا تردد السوريين لكنا قـد بدأنا عمليات القصف الجوي في وقت مبكر ، ولاستطعنا اعتراض القاذفات المعادية وهي في طريق عودتهـا الى قواعدها بعد قصفها القواعد المصرية، وقد فرغت خزاناتها من الوقود ونفذت ذخيرتهـا ، وكان بامكاننا حتى مفاجئتها وهي جاثمة في مطاراتها يملأ خزاناتها استعداداً لشن هجمات جديدة . فلو قيض لنا ذلك لتبدل سير المعركة وتبدلت نتائجها .

من جهة أخرى ، أسارع الى القول انه ليس من العدل في شيء تحميل السوريين وحدهم مسؤولية التسبب في تفويت تلك الفرصة

(١) عن مجلة « الحوادث اللبنانية »، العدد رقم ٤٠٦ ، تاريخ ٧ حزيران ١٩٦٨ .

علينا . فقد ُزودنا منذ اللحظة الأولى لنشوب النزاع بمعلومات غير صحيحة عما حدث في مصر أثناء الهجوم الاسرائيلي على قواعدها الجوية. وجدير بالذكر ان المشير عامر أبلغنا في برقية ثانية أن الهجوم الاسرائيلي الجوي مستمر ، وأكد مرة أخرى أن المصريين اسقطوا وأعطبوا ٧٥ بالمائة من طائرات العدو ، وقال إن القاذفات المصرية انتقلت الى الهجوم المضاد ودمرت المطارات الاسرائيلية ، وأن الجيش المصري دخل اسرائيل عبر النقب »(١).

ورغم ان الدكتور سامي الجندي ، يوم كان سفيراً لسورية في باريس ، كان قد أبرق إلى حكومته في ٢٧ ايار ١٩٦٧ ، أي قبل العدوان الاسرائيلي في حزيران بأسبوع واحد ، يقول :

« علمت من مصادر وثيقة الاطلاع أن الطيران الاسرائيلي سيهاجم مطاراتنا ومطارات الجمهورية العربية المتحدة، قبل الرابع من حزيران على أبعد تقدير..»(٢).

رغم ذلك ، فإن نظام الحكم البعثي لم يكن مستعداً ، ولا هو حاول الاستعداد ، لهذا الاحتمال ، حيث يؤكد الملك حسين :

« الزمن وحده سيعطي تفسيراً لمسائل عديدة. لكن ما تأكدت منه هو أن الطيران السوري لم يكن مستعداً ، يوم ٥ حزيران، للحرب »(٣).

وقد استخدمت القيادة العربية الموحدة ، التي كانت تدير العمليات العسكرية من الاردن فقط –؟!.. – بالاشتراك مع القيادة الاردنية، ليلة الأحد في الرابع من حزيران ، خطوط المواصلات العسكرية في طلب الامدادات من البعثيين في سورية الذين لزموا الصمت.

« ومع هذا ، فنحن نظلم دمشق إذا قلنا انها لم تساعدنا قط . فيوم

---

(١) عن كتاب « حربنا مع اسرائيل » ، أحاديث الملك حسين مع فيك فانس وبيار لوير ، ص ٥٣-٥٤ .

(٢) عن كتاب « عرب ويهود » لسامي الجندي ، ص ١٧٠ .

(٣) عن « حربنا مع اسرائيل » ، ص ٨٣ .

الاربعاء الواقع في ٧ حزيران، وبعد انتهاء الحرب المزعومة حربا، بالنسبة الى الاردن على الأقل، أرسلت سوريا لنجدتنا لواءا واحدا. وقد وصل اللواء الى مدينة صويلح الاردنية الواقعة على بعد ٦٠ كيلومترا من الحدود السورية، ولكنه لم يقترب من ميدان المعركة، وسرعان ما عاد من حيث أتى لأن الاسرائيليين شنوا هجوما مركزاً على المرتفعات السورية ..»[١].

ولكن، لماذا لم يسارع الطيارون الاردنيون إلى الاقلاع بطائراتهم فور نشوب الحرب ؟..

يجيب الملك حسين على هذا السؤال، بقوله :

«لأننا كنا ننتظر السوريين. فبدون مساعدة طائراتهم الميغ لا يمكن أن يسفر قصف قواعد اسرائيل الجوية عن نتيجة مهمة. ومنذ الساعة التاسعة – من صباح الخامس من حزيران – اتصلت قيـــادة العمليات الجوية بالسوريين، فكان جوابهم أنهم بوغتوا بالأحداث، وأن طائراتهم ليست مستعدة، وأن مطارداتهم تقوم برحلة تدريبية، وطلبوا امهالهم نصف ساعة. ثم عادوا وطلبوا ساعة. وفي العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين كرروا الطلب نفسه فوافقنا. وفي الحادية عشرة لم يعد بالامكان الانتظار، فاقلعت الطائرات العراقية من قاعدتها لتنضم الى سلاحنا الجوي وتساهم في القيام بالمهمة المشتركة المنوطة بسلاح الطيران.

وكان من نتيجة الاستمهال المتكرر من جانب السوريين، أن عملياتنا الجوية لم تبدأ إلا بعد الحادية عشرة صباحاً ..»[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥١-٥٢.

لتفسير مواقف البعثيين تلك ، من المفيد أن نستعيد في الأذهان ما توصل إليه قادتهم إثر مؤتمرهم الاستثنائي الذي عقدوه بعد حرب حزيران مباشرة « لاستخلاص الدروس من حرب حزيران » ، بتأكيدهم على :

« لقد قلنا دائما ان النضال ليس مكانه بين العرب واسرائيل ، ولكن بين القوى التقدمية والقوى الرجعية في الشرق الأوسط . . »[1]

(١) عن « جون افريك » ، الأول من تشرين الأول ١٩٦٧ .

الفصل السادس

« ان جيش اسرائيل يختلف عن سائر جيوش العالم في النسب والتقليد العريق والروح والعظمة والمفاخر .

أي جندي في العالم يمكنه أن يضاهي جندي دولة اسرائيل ؟... ما من احد . إن جيش اسرائيل فتي ، ولكنه ، في الوقت نفسه،أقدم جيوش العالم.فالجيش الاسرائيلي لا يبدأ تاريخه مع تأسيس الدولة . انه يعود الى زمن سحيق في القدم .

من تعتقد انه كان أول قائد للمحاربين اليهود ؟..

حاخامنا موسى ؟.. أم علينا أن نبدأ من أبينا إبراهيم ؟..

الأب ابراهيم وحاخامنا موسى ، يشوع ابن نون وديبورا النبية ، الملك داوود ، المكابيون ، باركوحبا .. هؤلاء كانوا القادة اليهود . من الذي لا يعرف أسماءهم ؟..

حتى أبناء الأجانب - الأمم - في مهدهم يعرفونهم .

كان هناك قـــادة حرب شهيرون بين الأجانب، والتاريخ يحفل بسجلات أعمالهم. أعمالنا مسجلة في تناخ - التوراة -. قادتهم أصحاب شهرة . قادتنا تم تكريسهم .

كلما كانت التوراة مقدسة كان محاربونا مكرسين . والانتماء الى جيش كهـــذا هو « امتياز مقدس »، وكناية عن متزفا - فعل ديني - بأعمق معنى روحي. فهناك - وصية إلهية - وضعت في التوراة إلى الأبد، تقول:

لأن الرب ، إلهكم ، سائر معكم ، لكي يحارب عنكم اعداءكم ، ليخلصكم .. لتكن حربكم مقدسة ..

هذه هي التوراة الجديدة التي تخرج اليوم من صهيون . »

حاييم وايزمن

عن « نشرة الأنباء اليهودية » ، المجلد ١٢ ، جزء ١٨ ، ١٧ أيلول ١٩٥٦ .

في حزيران ١٨٩٥ ، أي قبل أكثر من سبعين عامـــاً من حربنا الثالثة مع اليهود ، سجل ثيودور هرتزل ، « نبي الصهيونية » والأب الروحي لاسرائيل ، في مذكراته، واقع حال بني قومه اليهود، فرسم

الصورة الحقيقة لطبائعهم ونفسيتهم وسلوكهم ، التي عهدت عنهم على مر التاريخ ..

ولكن ..

لكن الزعامات الدون كيشوتية التي استأثرت ، بالارهاب والنار والدم ، بتسيير مقدرات عالمنا العربي خلال العشرين سنة الماضية ،

ورفضت ، وهي التي زعمت بعد كارثة الحرب الثالثة في حزيران أنها كانت تعرف بموعد العدوان الاسرائيلي بالساعة واليوم ... وبالدقيقة ،

رفضت أن تطلع من أسمتهم بالرجعيين ،

وهم الذين علموها ألف باء الوطنية والعروبة ،

على مخططاتها العسكرية والسياسية لمواجهة العدوان ..

.. هذه الزعامات ،

التي أثبتت المحن أنها ليست أكثر من نمور ورقية ، تختال كذباً وادعاءاً وصخباً وتدميراً ..

جعلت منا ،

نحن معشر العرب والمسلمين الذين أذهلنا العالم ، بإيماننا، ورسالتنا السماوية الانسانية ، حضارة ورقياً وعلماً وشجاعة ومروءة وشرفاً ..

.. جعلت منا أضحوكة متهافتة على فم انسان القرن العشرين ..

فها هو ذا هرتزل، يتحدث عن أولئك ، بني قومه ، الذين هزمونا ودحرونا ومرغوا كرامتنا في أوحال الذل والمهانة، فيقول عن شجاعتهم وشرفهم :

« نحن جنود سيئون ، لأنه ليس لنا شرف ، ولأننا لا نؤمن بأن لنا شيئاً بعد الموت ، ولكننا لا نعدم أفراداً يعرفون كيف يموتون ميتة حسنة . وكذلك لا نقدر أن نصبح قواداً . وهنا أرى أن الدول

على حق ، وإلا لكان منا قواد مناطق في كل مكان خلال جيلين، لا سيما وأن الحرب قد أصبحت قضية عقلية . ومن الطبيعي أن لا تسمح الأمم بالهزيمة عن طريق تعيين أشخاص لم يتزوجوا ، ولا يتزوجون ، قواداً لجيوشهم ...»[1].

هؤلاء هم الذين سلطهم الله علينا ليهزمونا ، فتكون اللعنة أكثر عمقاً وأشد تأثيراً .. لماذا ؟..

علنا نخجل ، ونعود إليه تعالى ، إلى دينه ، قبل أن نتبجح أناشيد وخطابات وتصريحات بالعودة إلى أرضنا المقدسة ..

ولعمري ما الذي نعرفه نحن اليوم عن قداسة هذه الأرض ، إذا كنا في حال لم يكن عليها حتى الجاهليون من أجدادنا الأوائل ، يوم كانوا يئدون بناتهم أحياء ، لكنهم ، والحق ، كانوا أساتذة المروءة والشجاعة والصدق والشرف والبطولة ..

وقال هرتزل عن حب اليهود للظهور والتعاظم :

« اننا معشر اليهود شعب محب للظهور ، نستطيع أن نزود المجتمع (الفاضل) بأكبر عدد من المتعاظمين .. »[2].

وعن كسلهم ، قال هرتزل :

« سيمر وقت طويل قبل أن أهز اليهود وأوقظهم من الكسل الذي هو سجن حياتهم ..»[3].

وعن عدم ثقتهم بأنفسهم ، قال :

« ان أصعب معركة أجابهها هي محاربة استهزاء اليهود بأنفسهم . هذا الميل إلى الاستهزاء هو محاولة السجناء الضعيفة ليظهروا كأنهم

---

(١) عن « يوميات هرتزل » ص ٧١ .
(٢) عن المصدر السابق ، ص ٩٧ .
(٣) عن المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

أحرار ، مثل هذه السخرية تؤثر فيَّ كثيراً ..» [1].

وعن سخريتهم من فكرة الرحيل إلى « أرض الميعاد » ، قال :

« ليس هناك مجال لمساعدة اليهود اليوم . لو أراد أحد أن يريهم أرض الميعاد سيهزأون منه ، لأنهم ذو عزيمة مفسدة واهنة .. » [2].

وعن فساد أخلاقهم ، قال :

« يقف في وجهي حائط ، هو فساد أخلاق اليهود . وأنا أعرف أن في اختراقه الوصول إلى الحرية والعظمة . ولكني لا أستطيع أن أحطم هذا الحائط برأسي أنا وحدي ، كذلك فأنا أتنازل عنه ....» [3].

لكن هرتزل لم ييأس من شعبه ، وقد اكتشف أن لا سبيل إلى تحقيق أهدافه سوى الانطلاق نحوها من تطويع الديانة اليهودية لخدمة هذه الأهداف ، واستعمال الحاخامين كعناصر رئيسية لتحقيق مشروع هرتزل بإقامة دولة يهودية في فلسطين ، إذ فكر بأنهم « سينشطون الناس ، ويعلمونهم أثناء الرحلة (أي الرحلة إلى « أرض الميعاد ») ، ويهدونهم في الجانب الآخر (أي في أرض الميعاد) . ومكافأة لهم سيكون لهم سلطة كهنوتية معززة » [4].

واعترف هرتزل بأن كل ما يقوم به ويعد له ليس لأهداف سياسية ، إنما لصالح الدين اليهودي :

« مما يدل على أنني لا أعمل لغير صالح الدين ، انني أريد أن أتعامل مع الحاخامين ، جميع الحاخامين » [5].

وحدد طريق الرحلة الدينية ، التي سيكون الحاخامون قادتها ،

---

(١) عن المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
(٢) عن المصدر نفسه ، ص ١١٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١١٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

إلى « أرض الميعاد » ، على النحو التالي :

« سنقوم بنداءات خاصة لاشتراك الكهنة . يذهب مع كل جماعة حاخامها ، وبهذا تسير هذه الجماعات سيراً طبيعياً ، فيكون الحاخام نواة الجماعة ، وسيكون هناك جماعات بقدر عدد الحاخامين سيفهم الحاخامون قضيتنا أولاً ، ويتحمسون لها ، وهم بدورهم ، ينقلون هذه الحماسة للآخرين من على منابرهم »[1].

ولم يغفل هرتزل عن التأكيد بأن « الشيء الوحيد الذي ما زال يجمعنا هو إيمان آبائنا .. الايمان يوحدنا .. »[2] .

في غضون عامين فقط من الجهد ، استطاع هرتزل إقناع عدد كبير من الحاخامين بحضور جلسات المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل عام ١٨٩٧ ، حيث اقترح أحدهم ، ويدعى « سيف » ، العمل على تدريب اليهود الروس على السلاح في أميركا . وطبعاً ، لم يكن الحاخام سيف يستطيع وقتذاك الدعوة إلى تدريب يهود روسيا على الأرض الروسية نفسها ، في ظل حكم القياصرة الذين لم يألوا جهداً في سبيل حجز اليهود في داخل أماكن وأحياء معينة ، ثم قاموا ، نتيجة المحاولات اليهودية للقضاء على الحكم القيصري والكنيسة الارثوذكسية في روسيا ، بعدة مذابح ضدهم ، بغية اثنائهم عن الاعداد لمزيد من المؤامرات ضد القيصرية ، التي تفاقمت بشكل ملحوظ منذ ذاك الحين ، أي قبل ١٢٠ سنة تقريباً من النجاح الذي أحرزه اليهود أخيراً في عام ١٩١٧ بإعلان أول دولة ماركسية في العالم .

---

(١) المصدر نفسه ، ١٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧١ ، من رسالة الى روتشيلد .

لكن هرتزل ، في مؤتمر بازل ، علق على اقتراح الحاخام سيف بالدعوة إلى إنشاء أندية سلاح يهودية .. واتسمت دعوته هذه بالشمول والاطلاق ، والغموض أيضاً ، دون أي تحديد للبلدان التي ستقام فيها أندية السلاح هذه :

« قدم الحاخام (سيف) اقتراحاً مهماً : يجب تدريب اليهود الروس في أميركا . لدي فكرة توازي ذلك : إنشاء أندية سلاح يهودية .. »[1] .

ويبدو انه خطط لإنشاء هذه الأندية ، التي انبثق عنها في غضون سنين معدودة منظمات ارهابية كالهاجاناه وشترن ، في أميركا وفي غيرها ..

فقد فكر هرتزل يوم ١٥ حزيران ١٨٩٥ ، انه « في مدى عشرين عاماً (وقبل أن تظهر) – يقصد الدولة اليهودية – يجب أن أدرب الشباب ليكونوا جنوداً ، وسيكونون جيشاً محترفاً . القوة: عشر عدد الذكور [2] ، إذ أن أقل من ذلك لن يكفي في الداخل . سأعلمهم جميعاً أن يكونوا أحراراً ، أقوياء ، مستعدين أن يتطوعوا للخدمة عند الحاجة . وسيكون التعليم عن طريق الدين والأناشيد الحماسية والمكابين ، والمسرحيات البطولية والشرف وغيرها .. »[3] .

قبيل أيام من نضوج هذه الفكرة في رأس هرتزل ، في الثاني من حزيران ١٨٩٧ أي قبل ٧٢ عاماً من حربنا الثالثة مع اسرائيل ، جرى

---

(١) من خطاب هرتزل بالمؤتمر الصهيوني الأول ، عن يومياته ، ص ٥٨٩ .

(٢) المعروف أن ما تستطيع اسرائيل تجنيده لأي حرب ، كما فعلت في حرب حزيران ، نحو ٢٦٣ ألف شخص .. ويبلغ عدد سكان اسرائيل نحو المليونين ونصف المليون نسمة .

(٣) ص ٣٨ من يومياته .

بينه وبين صديقه اليهودي « هيرش » حديث يكشف عن مدى أبعاد الأهمية الدينية التي ارتكز عليهـا مخططه والمخطط اليهودي العالمي برمته ، إذ قال هرتزل لصديقه « هيرش » :

« وصدقني أن سياسة شعب بكامله ، خاصة إذا كان متشرداً في أنحاء الدنيا ، يمكن تحقيقها بواسطة هفّاف في الهواء . هل تعرف كيف كانت الامبراطورية الألمانية ؟.. أحلام وأناشيد وخيالات وشرائط سوداء وحمراء وصفراء ، وفي وقت قليل .. لقد اكتفى بسمارك بهز الشجرة التي كان الحالمون بالقضية قد زرعوها ..

ماذا !!.. ألا تفهم هذا الهفّاف ؟.. ما هو الدين إذن ؟.. حاول أن تفكر بما تحمّله اليهود من أجل هذا الحلم منذ ألفي عام .. نعم .. ان مثل هذه الرؤى وحدها تستطيع أن تمتلك أرواح الرجال، ومن لا يستفيد منها قد يكون عظيماً قديراً وذا عقل عملي ، وقد يكون رجـــل خير وبر كبير ، ولكنه لن يكون زعيماً ولن يبقى منه شيء .. » [1] .

ولم يفرق هرتزل في يوم من الأيام بين اليهودية والصهيونية ، فقد اعتبر اليهودية أساساً وحيداً للصهيونية حينما قال :

« الصهيونية هي العودة الى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة الى أرض الميعاد » [2].

وقد أيده في ذلك ، فيما بعد ، القس الصهيوني جيمس باركيس ، الذي قال :

« الصهيونية لها تاريخ طويل ، يرجع كثيراً إلى ما قبل تأسيس هرتزل المنظمة الصهيونية العالمية في نهاية القرن التاسع عشر. انها قصة

---

(١) ص ٢٧ من المصدر السابق .

(٢) من خطابه الافتتاحي للمؤتمر الصهيوني الأول .

يختلط فيها حنين يهود أوروبا الشرقية بمثالية حفنة من الغربيين ونفر من المسيحيين ، بينهم بريطانيون بارزون ، وهي تسير في خط متواز لتاريخ التحرر »[1].

ورفض باركيس المبررات التي رفع اليهود شعاراتها ، لإخفاء الدوافع والتحريضات الدينية ، من أجل بناء دولة لهم في فلسطين ، فقال :

« ليس العداء للسامية ولا هي الحاجة إلى ملجأ للمشردين ، ولا هي القومية السياسية التي تقبع في أساس الحركة الصهيونية ، أو تمد بالوحي والإلهام حتى أولئك الزعماء والمستوطنين الذين لا تحركهم بصورة مكشوفة أو واعية محبتهم لإرث اليهودية الديني والحلم الخلاصي بالعودة إلى صهيون !.. فوراء كل ذلك يقبع الواقع التاريخي لليهود كشعب ، وطبيعة اليهودية كدين يعبر عن ذاته في حياة مجتمع له كيان مستقل »[2].

وأغرق هرتزل « القضية اليهودية » في مزيد من التعصب والتحريض الروحاني ، فهو لم يتوان عن ربطها بالله تعالى ، إمعاناً في استثارة مشاعر اليهود الدينية وتحريك عقدهم في « التحرر » و « التشتت » و « الاضطهاد » ، لتشجيعهم على العمل من أجل تهيئة المسيرة الدينية نحو « أرض الميعاد » ، شاحذاً ، بكل ما أوتي من خبث وبأسلوب مفتعل البساطة ، كل تراكمات تعصبهم الديني الأعمى وهو يتعمد إحراق نفوسهم بسياط من نار دينية ، ولكنها واهمة :

« إن الله لم يكن ليبقينا على قيد الحياة طيلة العصور الفائتة ، لو لم

---

(١) عن « الدولة والدين في اسرائيل » ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨ .

يتبق لنا دور لنلعبه في تاريخ البشرية . . »[1].

غير أنه يترك الحديث عن طبيعة هذا الدور لخيال اليهود أنفسهم، لبعث المزيـــد من النشاط والتحفز والتأهب والاستعداد، ولحكمائهم المخططين لهذا الدور الذي لم يعد اليوم غامضاً كما كان أيام هرتزل . . .

ثم يتعاظم هـــذا التعصب، وبأنفاس أكثر أملا وأشد إيجابية وطموحاً مفترساً، بعد خمسين عاماً بالضبط، على لسان حاخام كبير هو ج.ل. هاكوهن فيشمان، المعروف باسم الحاخام ميمون، الذي أصبح إثر قيام اسرائيل، أول وزير للشؤون الدينية :

« ان الرباط بين اسرائيل وأرضها، ليس كالرباط الذي يشد سائر الأمم إلى بلادها . فهو لدى تلك الأمم، وفي أجلى مظاهره، رباط سياسي، علماني، وخارجي وعرضي مؤقت... بينما الرباط القائم بين الشعب اليهودي وبلاده كناية عن (سر خفي من القداسة). فالشعب والأرض قد أنعم عليهما بتاج القداسة، حتى في زمن خرابهما، والرباط الذي يشدهما رباط محايث وسماوي وأبدي . انه رباط أزلي . »[2] .

ويستشهد الحاخام ميمون بالأسطورة القديمة « فايكرا رابا » رقم ١٣، فيزعم بأن الله تعالى هو بنفسه قد اصطفى أرض اسرائيل لبني اسرائيل – ؟!!.. – :

« – الواحد القدوس – تبارك اسمه، قاس جميع البلدان بمقياسه، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح لاسرائيل سوى ارض اسرائيل» !!..

وفي عام ١٩٢٦، عرّفت دائرة المعارف البريطانية «الصهيونية» بالتالي:

---

(١) عن « يوميات هرتزل » ص ١٨ .

(٢) عن كتابه « تطور الصهيونية الدينية » الصادر في القدس عام ١٩٣٧ .

« ان اليهود يتطلعون إلى افتداء اسرائيل ، واجتماع الشعب في فلسطين ، واستعادة الدولة اليهودية ، وإعادة بناء الهيكل وإقامة عرش داوود في القدس ثانية ، وعليه أمير من نسل داوود »[١].

هكذا ، نلاحظ أن كل أهداف اليهود ترتكز ، أولاً وآخراً ، على أسس أحلام يقظة دينية غارقة في تراب التاريخ ، على نحو لم تعرفه الانسانية قط.

وطبيعة التعاظم والغرور والعنجهية والاحساس بالتفوق – وعلى أساس ديني بحت – على البشر أجمعين ، عند اليهود، وهي الطبيعة التي لازمتهم حتى في أقسى ظروف حياتهم ، انتقلت في هذا العصر ، وبعد بناء دولتهم ومن ثم استمرارها حتى الآن ، إلى إحساس زائد صاعق وعميق بالثقة بالنفس ، وبصدق « أحلامهم » الدينية ، بل ان واقعهم اليوم – بسبب استهتار العرب والمسلمين بقدراتهم وإمكاناتهم الدينية والروحية والحضارية والاقتصادية .. – زادهم إيماناً على إيمان بنظريات زعمائهم الدينيين – السياسيين ، أو السياسيين – الدينيين .. لا فرق ، الذين أكدوا لهم ، كنظرية هرتزل مثلاً ، بأن الله تعالى لم يكن ليبقيهم طوال العصور الفائتة ، لو لم يكن قد خصص لهم دوراً يلعبونه في تاريخ البشرية !!.

شجع ذلك رجال الدين اليهودي ، بصورة خاصة ، على السعي إلى تعميق الإحساس بالتفوق الروحي والديني عند اليهودي ، أكثر مما هو عليه :

«نحن لا نختلف فقط عن جميع الأمم ونتميز عنها بتجربة تاريخية فريدة من نوعها ولا مثيل لها، إنما نحن ننتمي الى نظام روحي أعظم وأسمى بكثير . لكي نعرف أنفسنا عن حق ، علينا أن نعي عظمتنا،

(١) ص ٩٨٦-٩٨٧ ، المجلد ٢٧ ، ٢٨ من دائرة المعارف البريطانية ، طبعة عام ١٩٢٦ .

والا سقطنا في الحضيض . . » [1] .

والطريق إلى وعي المظمة اليهودية ؟ . .

« يا ذاكري الرب ، لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت ، حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبيحة في الأرض .

لا تمنحوا أنفسكم سكينة أو سكوتاً ، ولا تتركوا للأمم فرصة الراحة حتى تبنون صهيون من جديد ، وحتى تصبح وحدة الشعب اليهودي مضمونة ، وتغدو القدس بحق رمز الوحدانية اليهودية ، ومجد الأرض كلها . . » [2] .

استمر الإيمان اليهودي بـ « الوعد اليهودي الإلهي » وفكرة « الشعب المصطفى » ، إلى ما بعد قيام دولتهم عام ١٩٤٨ ، فرفض زعماؤهم تعيين حدود لاسرائيل في ذاك العام ، وحتى اليوم ، لأنهم ، كما يقول ايبان ، قد حققوا في عام ١٩٤٨ الدولة الاسرائيلية من الناحية السياسية ، وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ أصبحوا على وشك – لاحظ « على وشك » – العودة إلى « صهيون » إلى أرض التوراة ، « وفي مرحلة رسم خارطة دولة اسرائيل كما يجب أن تكون » [3] .

وفي « إعلان دولة اسرائيل » ، أكد اليهود بأن « أرض اسرائيل هي مهد الشعب اليهودي . هنـا تكونت هويته الروحية والدينية

(١) الحاخام ابراهيم اسحق ، عن أرثر هرتزبرغ ، الفكرة الصهيونية ، ص ٥١٧ من كتاب « الرؤيا والخلاص » لبن غوريون ، رسالة اسرائيل ، جاكوب بعل - تشموا (ناشر) نيويورك ١٩٦٣ .

(٢) الحاخام ماكس موسباوم ، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية ، من كلمة في اجتماع المجلس الصهيوني العام – الجلسة الرابعة بعد المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين (١٩٦٠) . عن « دون بيريتز » ، اسرائيل وعرب فلسطين (واشنطن العاصمة – مؤسسة الشرق الأوسط) ص ٨٦ .

(٣) عن « ذي تلغراف » الكندية التي تصدر في تورنتو ، ٢٧ نيسان ١٩٦٨ .

والسياسية ... دولة اسرائيل سوف تفتح أبوابها أمام الهجرة اليهودية لتجميع شمل المنفيين . سوف ترعى تطور البلاد لمنفعة جميع السكان ، وستقوم على مبادىء الحرية والعدالة والسلام كما تصورها أنبيـــاء اسرائيل » [1] .

ويقول اليهود الارثوذكسيون أن المزاعم اليهودية لاسترجاع فلسطين والحديث عن الحق اليهودي التاريخي بفلسطين ، تفتقر إلى أساس ثابت فيما لو جرى إقصاء مسألة الإيمان بالوعد الإلهي وفكرة الشعب الذي اختاره الرب واصطفاه . مما يؤدي حتماً إلى إظهار اليهود بمظهر الفاتحين والامبرياليين [2] .

لكنه ، وعلى الدوام ، ربط اليهود عملياً بين أفكارهم ومعتقداتهم الدينية المدمرة التي يعانون عقدها ، وبين الحرب .. والسيف .. والمدفع .. والقتال .. والارهاب .. والغدر ..

ففلاديمير جابوتنسكي ، الروسي الأصـــل ، الذي يعتبر من أعنف اليهود إرهاباً وإيمانــاً بتزاوج السيف مع التوراة ، ينبه قومه بأن باستطاعتهم إلغاء كل شيء ، « القبعات ، والأحزمـة ، والافراط في الشراب ، والأغاني .. أما السيف فلا يمكن إلغاؤه . عليكم أن تحتفظوا بالسيف ، لأن الاقتتال بالسيف هو ملك لأجدادنا الأوائل » .

بل يذهب جابوتنسكي إلى أبعد من ذلك ، فيؤكد بأن « **التوراة والسيف انزلا علينا معاً من السماء** .. » .

وقد صرخت صحيفة المتدينين المتطرفين في اسرائيل « هاتزوفيه » بعد شهر من حرب حزيران :

---

(١) ترجمة حرفية ، ج . بادي ، القوانين الأساسية لدولة اسرائيل (نيويورك ١٩٦١) ص ١٨-١١ .

(٢) عن ملحق « النهار » ٩٦٥٦ ، تاريخ ١٩٦٧ .

« ليس قاضي القدس من يعلمنا تاريخنا !... لقد بــدأ عصر جديد !.. لا بد من بزات عسكرية لكل الناس ..»[1].

ذلك لأن جميع الخلافات الحادة التي تقع بين اليهود، كانت تتلاشى بعد كل حرب ، وبعد كل توسع يهودي ..

وقد أكد المجلس العالمي للمعابد اليهودية الذي يتمثل فيه ٢٢ بلداً والمنعقد بالعاصمـة البريطانية في شهر تموز ١٩٦٨ ، بأن الخلافات في الوحدة اليهودية العالمية رتقت نتيجة حرب حزيران ..

وأعلن رئيس المجلس إيمانويـل سكوبليونكو في الاجتماع الذي استغرق ثلاثة أيام أن روابط الوحدة بين اليهود في مختلف أنحاء العالم تدعمت وقويت بعد حرب الشرق الأوسط .

وقال : « لقد كانت هناك خلافات كبيرة بين اليهود داخل اسرائيل وبين اسرائيل واليهود في بقية أنحاء العالم عندما اجتمعنا قبل سنتين . وقد زالت هذه الخلافات بضربة واحدة »[2] .

وأعلن دايان بعيد حرب حزيران مـا أسماه بـ « حلم الشعب اليهودي » .. فقال :

« إذا كان ثمة كتاب هو التوراة ، وشعب هو شعب التوراة ، فلا بـد من وجود أرض تكون أرض التوراة : أرض القضاة ورؤساء الكهنة ، أرض أورشليم وحبرون وأريحا وغيرها ..

نحن هنا لسنا في أورشليم ونابلس وأريحـا بفضل أولئك الذين لا يحلمون إلا بدخول تل أبيب . ونحن هنا لأن هذه الأرض هي مهد أجدادنا . وليس هناك ما يعادل أهمية أرض أجدادنا ، مهدنا ..

---

(١) عن « نوفيل اوبزرفاتور » ١٤٩ ، ١١ أيلول ١٩٦٧ .

(٢) عن « النهار » ١٠٠٣٩ ، ١٧ تموز ١٩٦٨ .

ليس هذا برنامجاً سياسياً ، إنما هو حلم شعب ..»[1].

وقال :

« هناك اتفاق بين التوراة وأرض التوراة . وأنا لا أستطيع أن أتصور انــه يمكن استثناء حاجة الشعب كله إلى وطنه التاريخي ، وخصوصاً تلك الأجزاء من الوطن في الضفة الغربية التي كانت المهد التاريخي ووطن الشعب »[2].

وقال الحاخام الأكبر لاسرائيل اسحق نسيم ، الذي تطاول ، بعد الاعتداء الاسرائيلي الغادر على مطار بيروت الدولي المدني في شهر كانون الأول ١٩٦٨ ، على مقام قداسة البابا بولس السادس ، واتهمه بالتحيز الى جانب القضيـــة العربية الاسلامية المسيحية ، بعد أن استنكر قداسته ذلك الاعتداء اليهودي الأثيم :

« ان أرض اسرائيل إرث لكل يهودي ، ولا تملك أي سلطة دينية أو دنيوية سلطة التخلي عن شبر واحد منها »[3] .

ويعزو دايان أسباب « الانتصار » اليهودي في حزيران المشؤوم ، إلى مـــا أسماه بمحاربة اليهود للعرب ، بنفسية هي « مزيج من الحب والإيمان والوطنية » ..وإلى « تمسك اليهود بالعقيدة التي صورتها آلاف السنين من التشرد والاضطهاد .. » . رابطاً بين معرفة اليهود الدقيقـة بالفنون الحربية وبين ذلك « المزيج » وهذا « التمسك » :

« ان الصفـــات العسكرية الاسرائيلية المتمثلة بتكتيك وتوقيت ممتازين ، وبمعرفة دقيقة للفنون الحربية ، هي التي حولت الانكسار العربي في نهاية الأمر إلى هزيمـــة كلاسيكية ستدرس بإعجاب في

---

(١) عن « الفيغارو » الفرنسية ، ٧١٣٩ ، ١١ آب ١٩٦٧ .

(٢) عن « معاريف » الاسرائيلية ، ٧ شباط ١٩٦٨ .

(٣) عن « الهيرالد تريبيون » ، ٢٦٣٨٠ ، ٦ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

الكليات الحربية في مختلف أرجاء العالم . ويكمن وراء هذه الصفات الملموسة تمسك اليهود بالعقيدة التي صهرتها آلاف السنين من التشرد والاضطهاد ، وتصميمهم الأكيد على تأمين بقاء اسرائيل كاملة .

كل واحد منا حارب من أجل شيء هو مزيج من الحب والإيمان والوطنية . وكنا نشعر اننا نقاتل لمنع سقوط (الهيكل الثالث) . . »[1]

ونقل عن مراقبين عسكريين حياديين شهدوا حرب حزيران المزعومة في أيامها الستة ، قولهم :

« والاسرائيليون مدربون تدريبا حسنا، ومنضبطون جيداً ، وأصحاب عقيدة ، يقودهم ضباط ممتهنون . أما العرب فعاطفيون، وسريعو التهييج، ولا يميلون الى التدريب والانضباط، ولا يحرصون على أسلحتهم وأجهزتهم ، ولم يكونوا قط جنوداً فعالين » [2] .

لماذا ؟ . .

تكفي قراءة واعية للتاريخ الاسلامي ، للاجابة عن هذا السؤال، هذا إذا تحمسنا قليلاً للحفاظ على وجودنا .

٢

نفى بن غوريون اتهام الرئيس ديغول بأن لليهود طموحاً متأججاً وغازياً، وقال في رسالته إلى الرئيس الفرنسي ان كل ما يقوم به اليهود إنما هو نتيجة إيمانهم الحار بنبوءات أنبياء اسرائيل في « السلام » :

« صحيح أننا آمنا ، طوال آلاف السنين ، بنبوءات أنبيائنا ، وبيننا أشخاص يعتقدون بمجيء المسيح الذي سيجمع يهود العالم – أمواتاً وأحياء – في الأرض المقدسة ، ولكن لم يكن لدينا أي

---

(١) عن « تايم » ، ١٦ حزيران ١٩٦٧ .

(٢) عن « يو. اس. نيوزاند وورلد ريبورت » ، ١٩ حزيران ١٩٦٧ .

طموح متأجج وغاز، بل على الأصح كان لنا إيمان حار بنبوءات أنبيائنا في السلام » !!..[1].

ويتذكر بن غوريون قول معلمه هرتزل :

« ان الله لم يكن ليبقينا على قيد الحياة طيلة العصور الفائتة ، لو لم يتبق لنا دور لنلعبه في تاريخ البشرية » ..

.. فيزعم ، مفسراً، بأن هذا الدور هو خلاص الشعب اليهودي ومعه الانسانية جمعاء. أي ان خلاص اليهود ، كما زعم بن غوريون ، هو تمهيد لخلاص البشرية جمعاء !!.. ودولة اسرائيل ، في اعتقاد بن غوريون وبني قومه ، هي أداة تحقيق هذا الخلاص :

« ان ما ضمن بقاء الشعب اليهودي عبر الأجيال ، وأدّى الى خلق الدولة ، هو رؤيا المسيح المنتظر لدى أنبياء اسرائيل ، ورؤيا خلاص الشعب اليهودي ومعه الانسانية جمعاء . ودولة اسرائيل أداة لتحقيق هذه الرؤيا عن المسيح المنتظر »[2] .

لذلك ، لم يتدخل بن غوريون في قضية معارضة كبير حاخامي حيفا لزواج حفيدته غاليـــا من ضابط يهودي في قوات المظلات الاسرائيلية ، « لأنه ليس هناك أي إثبات على أنها يهودية » .. إذ ان بن غوريون لا يستطيع أن « يخون دينه » ، الذي حدد مبادءه « حكماء بروتوكولاته » ، وينفذها الحاخامون المدربون على أيدي أولئك الحكماء المجهولين ، وإلا تلاشت كل أوهـــام بني اسرائيل و « أنبيائهم » المزعومين !..

---

(١) من رسالة بن غوريون إلى الرئيس ديغول في ٦ كانون الأول ١٩٦٧ ، عن «النهار» ١٠ كانون الثاني ١٩٦٨ .

(٢) من مقالة له في « الجيرو سالم بوست » الاسرائيلية ، عن « الدولة والدين في اسرائيل » ص ١١٦ .

وبعد حربنا الثالثة المزعومة مع اليهود ، عقد اجتماع في تل أبيب ، تحدثت عنه صحيفة « لي نوفيل اوبزرفاتور » ، فقالت :

« صاح شلومو بن ماير ، نائب وزير الداخليـة في الحكومـة الاسرائيلية : فتوحاتنا مقدسة ، وكل تنازل بشأنها يماثل عدم الثقة بالقدرة الإلهية .. ودوت عاصفة من التصفيق .

والذين التهبت أكفهم بالتصفيق لم يكونوا كثيري العدد ، إلا أنهم يمثلون نخبة الشبيبة في « الحزب الوطني الديني » ، الذي له ١١ نائباً في الكنيست – وشلومو بن ماير أحدهم –. وكان هذا الحزب قد اجتمع مساء في تل أبيب لينظر في أمر (الأراضي المحررة) . وكان ثمـة مدعوون من ذوي الأهمية كالجنرال حاييم لاسكوف ، رئيس الأركان السابق ، وايزاكوهاريل الشهير ، الذي شغل في السابق منصب رئيس المخابرات العسكرية . وقد تحدث الاثنان عن ضرورة المحافظة على كل شيء من أجل صيانة « أرض اسرائيل » التاريخية كاملة . وبمثل هـذا المعنى أفاض جميع خطباء الاجتماع .. لكن الذي ألهب الجو أكثر من سائر الخطباء هو صحافي يعمل في الجريدة الدينية اليومية «هاتزوفيه» ، الذي وقف وأعلن بصوت يتهدج بالثأر : ليس قاضي القدس من يعلمنا تاريخنـا . لقد بدأ عصر جديد !.. لا بد من بزات عسكرية لكل الناس .. !..

التوراة بيد والسيف باليد الأخرى .. هل هـــذه هي صورة اسرائيل الغد ؟..

البعض يطرح هذا السؤال بصورة جدية ، وهو الذي جرفته الموجة الوطنية التي غمرت البلاد والتي بدت على صورة دينيـة – عسكرية مقلقة .

وليس مما يدعو الى الاطمئنان طبعاً أن ترى جنرالاً ممتهنا

الجندية ، يضع على رأسه قبعته ويروح يلقي خطباً ملتهبة بأسلوب توراتي ، ولا أن ترى حاخاماً كبيراً يمتهن رعاية النفوس وارشادها، وقد ارتدى بزة عسكرية وراح ينفخ في صورة (قرن خاروف) ، لكي تنهار في النهاية جميع اسوار المدن، كما انهارت أسوار أريحا...
ان ريح الجنون تهب على هذه البلاد !.. »[1].

وقد شرع اليهود ينفذون ، بعد حرب حزيران، مخططاتهم الدينية، وهم الذين « يبغون أن يجمعوا أمرهم، وأن يتوجهوا إلى القدس ويتغلبوا على قوة أعدائهم ، ويعيدوا العبـــادة إلى الهيكل (مكان المسجد الأقصى) ويقيموا ملكهم هناك »[2] .

ففي احتفال ديني كبير استقرت المحكمة الشرعية العليا (رابينيك) وعلى بعد خطوات قليلة من حائط المبكى . وفي أثناء تدشين هـــذه المحكمة في مبنى مدرسة بنات قديمة ، ذكر الحاخام الأكبر لاسرائيل اسحق نسيم ، رئيس المحكمة ، ان لمحكمة القديمة (سنحدرين) كانت تقوم قبل ألفي سنة في مكان قريب جداً من هذا المكان . وأكد على أهمية العودة إلى منابع اليهودية التي يرمز إليها بالعودة إلى إقامة هذه المؤسسة الوطنية الأولى على جدران القدس القديمة[3].

ولم ، ولن ، تقف جهود اليهود الدينية عند هذا الحـد ، فهم منذ قيام دولتهم الدينية يعملون بشكل دائب وحثيث على تنشئة الجيل اليهودي الجديد على مبادىء الديانة اليهودية المتعصبة . ويذكر ان بن غوريون قد طالب يهود الولايات المتحدة في عـام ١٩٥٦ بتهجير

---

(١) عن « لي نوفيل أوبزرفاتور » ، ١١ أيلول ١٩٦٧ .

(٢) دائرة المعارف اليهودية (جويش انسكلوبيديا) المطبوعة بالانكليزية ، تحت كلمة « الصهيونية » .

(٣) عن « ليموند » ، ١٧ آب ١٩٦٧ .

أبنائهم وبناتهم الشباب الى اسرائيل ، إذا كانوا هم ليسوا على استعداد للمجيء إلى « أرض الميعاد » . .

فاسرائيل تحوي نوعين من المدارس : المدارس الحكومية التي تستوعب ثلثي مجموع الطلاب ، والمدارس الدينية الحكومية أو الرسمية التي تعني بتعليم الثلث الباقي وتراعي المبادىء الارثوذكسية الدينية . على أن الهيئات الدينية لم تكتنف بما حققته من تبني الدولة للمدارس التي تخضع لإشرافها ، بل راحت تطالب بمساعدات الدولة المالية ، فحصلت عليها . كما نالت اعترافاً تاماً بنظام التعليم الديني الثانوي . واستطاعت حمل وزير التعليم في اسرائيل عام ١٩٥٧ على إدخال مادة جديدة في البرنامج وجعلها إلزامية في جميع المدارس الرسمية ، تدعى مادة « الوعي اليهودي »، وتهدف إلى « تعميق معرفة الطالب بالقيم اليهودية » وإلى « توسيع اهتمامه بشؤون الدياسبورا » . ويشتمل منهاجها على تلقين الطالب أمثولات في المعتقدات والشعائر والطقوس الدينية اليهودية ، وتعليمه التوراة والتلمود . بالاضافة إلى « الفكر اليهودي » ، والفولكلور الديني اليهودي . أي أن الغاية من إدخال مادة « الوعي اليهودي » في منهاج التدريس ليست سوى « تهويد » النشىء الجديد وتنشئته على « القيم التربوية اليهودية » ، وتعريفه بالأعياد اليهودية والصهيونية والمغزى الذي ينطوي عليه كل عيد من الأعياد اليهودية المعروفة [٦].

كان من نتيجة ذلك ، أن ٦٠ بالمائة من طلاب المدارس الابتدائية الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٤ سنة ، يؤيدون الافناء الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في داخل الأراضي المحتلة في حالة

---

(٦) عن « الدولة والدين في اسرائيل » ، ص ١٢٥-١٢٦ .

نشوب حرب مع الدول العربية [١].

وفي عام ١٩٦٦ انضم ثلاثة آلاف من طلاب المدارس الثانوية في اسرائيل ، إلى حلقات لدراسة تاريخ حرب ١٩٤٨ ، تحت إشراف قسم التربية بوزارة التربية والتعليم . ويلتقي هؤلاء الطلاب في هذه الحلقات بعد الدراسة العادية ، حيث ينقسمون إلى مجموعات حسب مناطق السكان ، ويقوم القادة العسكريون المتقاعدون للمناطق أثناء حرب ١٩٤٨ ، كل حسب منطقته ، بشرح تفاصيل المعارك التي دارت في المنطقة والمشاكل الدفاعية الخاصة بتلك المنطقة ، ثم يطلعون على قسم من وثائق تلك الحرب ، ويقومون بجولات في أماكن المعارك [٢] .

وقد حوكم ذات مرة كاتب اسرائيلي أمام محكمة تل أبيب يوم ١٩ نيسان ١٩٥١ ، بسبب انتقاده الاتجاه العسكري البحت في اسرائيل ، فقال هذا الكاتب في معرض دفاعه أمام المحكمة :

« إنني وجدت الغاية منصرفة في هذا البلد الى خلق شباب متعصب الى أقصى حدود التعصب ، فهو يربى تربية عسكرية ، ويوجه توجيهاً حربياً الى أهداف احتلالية ، ويتلقى تعليماً تعصبياً من النوع الضيق جداً ، كالذي يطبق في الدول العسكرية . إنهم جعلوا الجيش هنا قبلة الشباب ومنحوه مركزاً متميزاً ، كما كان اليابانيون والنازيون يؤلهون جيوشهم ، إنهم في هذا البلد ينشئون الأطفال هذه التنشئة العسكرية ، ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائل التي تملكها الدولة . إنهم يطبعون كل شيء في الدولة بطابع الروح العسكرية ، طابع الغزو

---

(١) عن مجلة « نظرة جديدة » الاسرائيلية الشهرية عدد كانون الأول ١٩٦٦ ، استناداً إلى استفتاء أجراه بعض علماء الاجتماع في اسرائيل .

(٢) عن « جيروسام بوست » الاسرائيلية ، ٢٩ كانون الأول ١٩٦٦ .

والاستعمار »[1].

لكن اليهود ، تناسوا ، كما يبدو ، حكمة العالم اليهودي الشهير البرت آينشتين ، التي جاءت كرد على دعوة بن غوريون له من أجل تنصيبه رئيساً لدولة اسرائيل عام ١٩٤٨ :

« ان الآفة القاتلة في زمننا الحاضر ، إنما هي القومية المتطرفة النابعة دوماً من مشاعر البغضاء والكراهية العمياء .

وإني لأوثر التفاهم بين العرب واليهود ، والتعايش السلمي بينهما ، على أية دولة يسعى اليهود الصهاينة إلى خلقها .. فالديانة اليهودية ، كما أفهمها ، تتنافى وقيام الدولة اليهودية . والذي أخشاه هو الانحلال الداخلي الذي سيحل باليهودية،نتيجة للروح القومية الضيقة التي ستظهر وتتفشى في الدولة اليهودية إذا هي خرجت إلى حيز الوجود »[2].

---

(١) عن « العسكرية الاسرائيلية » للواء المتقاعد محمود شيت خطاب ، ص ٧١ .
(٢) ص ٢٦٣ من مذكرات اينشتين . « Out of My Later Years »

الفصل السابع

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته اخوانا . »

من سورة « آل عمران »

« لقد كان الحوار بين المسيحية والاسلام محتدماً على الدوام منذ القرون الوسطى ، بصورة أو بأخرى . ومنذ قرن ونصف ، خضع الاسلام لسيطرة الغرب ، أي خضعت الحضارة الاسلامية للحضارة الغربية ، والتراث الاسلامي للتراث المسيحي ! . . وتركت هذه السيطرة آثارها البعيدة في المجتمعات الاسلامية ، حتى بعد انتهاء أشكالها السياسية ، بحيث جعلت المواطن العربي يواجه معضلات ومشكلات هائلة وخطيرة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم ، لا يدري كيف يتفاعل معها في علاقاته الداخلية والخارجية على السواء .

لقد تحرر حقاً من سيطرة الغرب السياسية ، لكنه لم يستطع التحرر من سيطرة الغرب الحضارية !! .. ان ثروته البترولية ، تصنع وتسوق بالعقول الغربية والأساليب الغربية والآلة الغربية . ان الجيوش العربية التي هي مصدر غروره القومي ، تستعمل السلاح الغربي ، وترتدي البزة الغربية ، بل تسير على أنغام الموسيقى الغربية .. حتى ان ثورته على الغرب مستمدة من المبادىء والقيم والمفاهيم التي تعلمها من الغرب !! .. حتى ان معرفته بتاريخه وحضارته وتراثه تعزى إلى المثقفين الغربيين ! ..

ان غلبة الحضارة الغربية في الشرق ، وهي العدو القديم للحضارة الاسلامية ، قد أورثت العربي المسلم الشعور بالضعة والمهانة والصغار ، أمام طغيان تلك الحضارة التي يمقتها ويحترمها في نفس الوقت !! .. »

يوجين روستو[١]

---

(١) هو عضو اللجنة الاستشارية العليا الرئيس الأميركي السابق جونسون ، المختص بشؤون الشرق الأوسط . عن « المؤامرة ومعركة المصير » لسعد جمعة، ص ٨٧ .

ليس عقل كريستوف كولومبوس ، هو الذي قاده إلى اكتشاف العالم الجديد : أميركا .

إنما العقـل العربي المسلم هو من رسم له الطريق وحفّزه إلى تغيير مجرى التاريخ .

كولومبوس لم يكن أكثر من مغامر يبحث عن الذهب ، والمغامرة بحد ذاتها . انتظر طويلاً في ربوع الأندلس الاسلامية ، إلى أن تقلص الحكم الاسلامي عنها ، فكان في طليعـة الذين قابلوا الملكة ايزابيلا ، بعد تسلمها والملك فرناندو مفاتيح الحمراء من أبي عبد الله محمد ، ليبحر بعد سبعة أشهر بأسطوله ذي السفن الثلاث، والثمانية والثمانين بحاراً ، بحثاً عن العالم الجديد ، الذي أشار إلى وجوده ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، أعظم جغرافي عرفه الأندلس قبـل الإدريسي « ابن حوقل » ، بقوله : « وأوقيانس البحر المحيط، لا يدري ما وراءه غرباً إلى أقصى عمران الصين شرقاً ، والشمس إذا غـابت في أقصى الصين طلعت في الجزائر (الخالدات) ، وبالضد » ، وذلك في كتابـه المسمى « المسالك والممالك » .

كان كولومبوس في الاربعين من عمره يوم راح يراقب عن كثب انهيار الحكم الاسلامي في الاندلس بعد أن عاش سنوات مديدة متنقلا بين البندقية ولشبونة ، يدرس الفكر الحضاري المتألق هنـاك وينعم النظر عميقاً في أبحاث العلماء المسلمين في الأندلس .

ويجزم بعض المؤرخين القدامى بأن كولومبوس درس كتـاب شهاب الدين أحمد بن ماجد : « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » بترجمته البرتغالية التي حققهـا « فاسكوداجاما» ، الذي يؤكد لدى الحديث عن الجزائر الخالدات (كناريا س) ان خلف بحر الظلمات إلى الغرب ، ثمة أرضاً . .

ولا يستبعد أن يكون كولومبوس قد قرأ ودرس كتاباً آخر هو « مسالك الأبصار »، الذي يؤكد مؤلفه أن العلماء المسلمين كانوا يعرفون كروية الأرض ، حيث تدرك الهند من الشرق كما تدرك من الغرب .

من بين الأحداث التاريخية التي تساق للدلالة على أن كولومبوس قد اندفع إلى كشفه العظيم ، بتأثير ما انتفع به من علم البحاثة المسلمين ، لا سيما من كتاب أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري : « المسالك والممالك » . . :

١ – أبو عبيد البكري هو من مواطني بلدة (ولبة) المسماة اليوم (اويلبا) .

٢ – لجأ كولومبوس إلى دير (لارابيدا) الذي كان يسمى وقتذاك (الرابطة) ، وسعى إلى إقناع أحبار الدير بالتوسط له عند فرناندو وإيزابيلا ليقابلاه ويساعداه على تيسير مهمتـه الاستكشافية ، التي كانت ضرباً من الخرافة في عقل القرون الوسطى .

ودير (الرابطة) هذا ، لا يبعد موقعه عن موطن البكري (ولبة) بأكثر من بضعة كيلو مترات .

٣ - كتب أبو عبيد البكري بحثه الجغرافي المذكور في إشبيلية ، البلد الذي أقام فيه كولومبوس ردحاً من الزمن طويلاً ، استفاد خلاله الكثير من أهله وعلمائه وبحارته .

٤ - انطلق أسطول كولومبوس في رحلته الاستكشافية، من ميناء (سان لوفر) أقرب ميناء إلى (ولبة) ، إذ لا يتجاوز البعد بينهما عدد أصابع اليد الواحدة من الكيلومترات .

لا أريد بذلك إنكار فضل الجهود التي التي بذلها كولومبوس لاكتشاف العالم الجديد. لكن هذه الجهود يجب أن لا تؤدي إلى اغماط العقل المسلم فضله الأكبر ، باعتباره الأصل والأساس والدافع والمحرك، ولم يكن كولومبوس غير أداة ووسيلة ، واليد التي تكتب ما يمليه عليها العقل .

٢

لا قفزاً ولا طفرة ولا بالمصادفة ، استطاع العقل الاسلامي أن يكتشف ، أو يقود إلى اكتشاف ، العالم الجديد ، جغرافياً ، فقد سبق له قبل ذلك ، أن اكتشف للانسانية ، بدءاً من انبلاج فجر التوحيد الاسلامي في الجزيرة العربية وحتى الغروب في الأندلس ، عوالم أرحب وأكثر نفعاً وأهمية ، كان من الطبيعي أن تفلقه ، بعظمة الاحساس بالتفوق لأنه قائد حضارة ترسخت قواعدها بمبادىء

دستور وضعه الخالق لخلقه ، عن الحدس بأن ليس ما يعرف بالكوكب الأرضي ، آنذاك ، هو كل الأرض التي خلقها تعالى ، مما قـــاده إلى البحث والدرس ليخلص إلى القول : ان وراء بحر الظلمات غرباً ، ثمة أرضاً مجهولة بعد ، هي تتمة الكرة الأرضية الحقيقية .

ان الجنرال جون باجوت غلوب ، الشهير بغلوب باشا ، في كتابـه « امبراطورية العرب » ، ينبه المدنية الغربية ، التي تختال اليوم كبرياءاً على الدنيا ، بما وصلت إليه من رقي مادي قاس ، والمتبجحين بعظمتها ، أمثال يوجين روستو اليهودي ، فيقول :

« .. نحن نشأنا في الغرب في القرن العشرين ، وقد ألفنا رواية ما للحضارة العربية من تفوق . ولذا يميل الكثيرون منا إلى الظن بأن حضارة العرب الرفيعـــة في الأندلس ، كانت مستمدة من فرنسا أو ايطاليا ، لكن هذا الظن بعيد عن الحقيقة بعد الأرض عن السماء . فلم يكن جيران عرب الأندلس في الشمال إلا أجلافاً من أهل الأرياف إذا ما قورنوا بالسادة المتحضرين في بلاط قرطبة » ..

غوستاف لوبون ، المعروف باتجاهاتـــه المشبوهة ودسه الخفي على التاريخ الاسلامي ، لا يملك إلا أن يعترف هو الآخر :

« إن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلا بواسطة المسلمين . وقد عاشت أوروبا خمسمائة عام بكتب وأبحاث المفكرين والعلمـــاء المسلمين الذين مدّنوا أوروبا في المادة والعقل والخلق . ونحن نرى أن الشعوب التي دانت لسلطانها الأرض قد عفت الأيام آثارها ، ولم يبق سوى ذكريات ألسنتها وأديانها ، لكن أهم عناصر الحضارة الاسلامية ، وهي الدين واللسان والفنون ، لا تزال حية » .

ثمة اعتراف أخطر وأهم من كل ذلـــك ، يعمد لوبون إلى الاقتضاب في الحديث عنه ، حينما يقول : « لا شك أن المسلمين

هم أول من علّم العالم ، كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين».

ولقد بلغ التأثير الحضاري الاسلامي في الأندلس حداً دفع الفارو، أحد كبار رجال الدين المسيحي القرطبيين [1] إلى الصراخ شاكياً ، في حسرة وألم ومرارة ، من إخوانه في الدين ، الذين « يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلسفة المسلمين ، لا ليردوا عليها ، وإنما ليكتسبوا من ذلك أسلوباً عربياً جميلاً صحيحاً » .

ثم يتساءل الفارو : « وأين تجد الآن واحداً من غير رجال الدين يقر الشروح التي كتبت على الأناجيل المقدسة ؟.. ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابة الحواريين وآثار الأنبياء والرسل ؟.. يا للحسرة .. ان الموهوبين من شباب النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها ويؤمنون بها ، ويقبلون عليها في نهم . وهم ينفقون أموالاً طائلة في جمع كتبها ويفخرون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة جديرة بالاعجاب. فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم . يا للألم .. لقد أنسي النصارى حتى لغتهم ، فلا نكاد نجد في الألف منهم واحداً يستطيع أن يكتب إلى صاحبه كتاباً سليماً من الخطأ . فأما عن الكتابة بلغة العرب ، فإنك واجد منهم عدداً عظيماً يجيدونها في أسلوب منمق ،

---

(١) يقول تعالى « لا إكراه في الدين » . وفي حديث للنبي (ص) ، أخرجه أبو داوود ، انه قال : « .. وان الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوا الذي عليهم ..».

ويلاحظ المستشرق آدم متز أن بعض الخلفاء المسلمين كان يحضر موكب النصارى وأعيادهم ، ويأمر بصيانتها ، وان الحكومة في حال انقطاع المطر ، كانت تأمر بعمل مواكب « يسير فيها النصارى وعلى رأسهم الأسقف ، واليهود ومعهم النافخون في الأبواق » ، وان الأديرة كذلك ازدهرت وتكاثرت .

بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم .. »[1]

زملاء الفارو من رجال الدين المسيحي فسّروا شكواه بأنها وليدة التعصب والنظرة الضيقة إلى الأمور . وقد توفي الفارو قبل أن يقرأ في سجلات الفاتيكان أن أحد بابواته كان تلميذاً عند علماء وشيوخ الاسلام في جامعات قرطبة ، التي كانت العلوم الاسلامية التي تدرس فيها تشمل أيضاً الكيمياء والفيزياء والطب والجبر والهندسة وغيرها من العلوم، التي لم تسمع بها أوروبا إلا منذ نحو قرنين من الزمن .

ولم يكن الفارو يستطيع ، بتعصبه ونظرته الضيقة ، أن يدرك ، كما يعترف لوبون في العصر الحديث ، أن أحفاده — وأجداد لوبون وكل أوروبي وأميركي اليوم — سيصبحون تلامذة لأساتذة وعلماء مسلمين ، طيلة خمسة قرون من الزمن .

وإذا كان شارل مارتل قد حال دون نشر الزحوف الاسلامية المقدسة لرسالة التوحيد في القارة الأوروبية عند (تور — وبواتيه) ، برغم فشله الذريع في دحرها نهائياً وردها على أعقابها، « إذ استوطنت هذه الزحوف في ولايات الألب المسماة اليوم بالسويسرية ، تزرع بذور حضارتها لقرن من الزمن ، بدليل قنطرة (بونتريزينا) الموجودة في أقاصي جبال الألب السويسرية »[2] ، فإن مارتل قد أجرم بحق التقدم الانساني ، وبصورة خاصة بحق قضية التقدم في أوروبا ، وأساء إلى الانسان الفرنسي بالذات إساءة لو أدركها ، لاعتبره اليوم في عداد المجرمين ..

يقول الدكتور جرمانوس :

« إن أوروبا لم تعرف الأخوة بين الناس إلا بعد الثورة الفرنسية ،

---

(١) عن « تاريخ الفكر الاندلسي » ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس .

(٢) عن زيغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » .

بينما دعا الاسلام إليها وطبقها (إنما المؤمنون أخوة) قبل ثورة فرنسا بنحو ألف عام ، إذ كانت فكرة المساواة والديموقراطية من مبادىء القرآن ، عرفتها أوروبا في القرن السابع عشر ، بينما هي من حقائق الاسلام وأصوله منذ نشأته » .

والدكتور جرمانوس يتناسى ربما ، ان الثورة الفرنسية لم تقم ، مشيعة الفوضى والدمار ومزهقة الألوف من الأرواح ومريقة الأنهار من الدماء ، لهدفي الأخوة والديموقراطية فحسب ، إنما هي رفعت أيضاً شعاري الحرية والمساواة ، وهما كذلك من بين مبادىء الشريعة الاسلامية :

١ – « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً .. »

(لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي ورسول الله على أموالهم ، وأنفسهم ، وملتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته ..)

٢ – الناس سواسية كأسنان المشط . لا فضل لعربي على أعجمي ، إنما الفضل بالتقوى . » .

« إنما أهلك من كان قبلكم لأنهم كانوا إذا أذنب الضعيف فيهم عاقبوه ، وإذا أذنب الشريف تركوه . والله لو سرقت فاطمة بنت محمد ، لقطعت يدها !.. » .

قد كانت أوروبا ، إذن ، على قاب قوسين أو أدنى من الاخاء والمساواة والحرية قبل الثورة الفرنسية ، بنحو سبعمائة سنة ، لولا مارتل ، ولولا ظروف معينة اصطنعت في طبيعة القيادة الإسلامية إثر تكريس اللامبالاة بمركز الانبعاث الإسلامي الحضاري الأول في الجزيرة العربية .

٣

قبل أن يقود العقل المسلم كولومبوس إلى اكتشاف العالم الجديد ، كان هذا العقل قد اكتشف للإنسانية عوالم وعوالم يتقزم أمامها عالم أميركا صغيراً .. صغيرا :

في الأندلس ، في قرطبة بالذات ، عاش أبو الوليد بن رشد، أعظم فلاسفة العصور الوسطى على الإطلاق ، حيث صافح بيمينه أرسطو وبشماله ديكارت ورينان .. وترجمت شروحه لآثار أرسطو إلى اللاتينية ، فقرأتها أوروبا بهذه اللغة أكثر مما قرأها المسلمون بلغتها الأصلية ، لغتهم .

وإذا كان هناك اليوم من ينكر على ابن رشد تأثيره الأعمق والأعظم على الفكر الأوروبي من أرسطو نفسه ، فليس هناك حتماً من يجادل في أن تأثير أرسطو على الفكر الاوروبي كان نتيجة شروح ابن رشد لفكر أرسطو .

ولقد كان أبو مروان عبد الملك بن زهر ، أستاذ ابن رشد ، أول من فصل الطب عن الصيدلة في تاريخ الإنسانية .

والعجيب ان المسلمين اليوم يعرفون (بريسيفال بوت) الانكليزي على أساس شهرته بالاهتمام بمرض التهاب المفاصل والسل في العمود الفقري والمسمى « الداء البوتي » نسبة ، إلى «بوت» هذا .

.. لكنهم لا يعرفون أبا القاسم الزهراوي المسلم العربي ، الذي اكتشف هذا المرض واهتم به في دراسات تجريبية تعتبر علمية فتحاً عظيماً في تاريخ الطب حتى اليوم ، وذلك قبل « بوت » الانكليزي بما لا يقل عن سبعمائة عام .

أيّ عالم أو بحاثة في الطب البشري يستطيع أن يقول لك من هو

« أبو لكاسيس » : أبو القاسم الزهراوي ... فكتابه « التعريف لمن عجز عن التأليف » ، الذي ترجمه « جيرارد والكريموني» إلى اللاتينية ، هو موسوعة طبية ضخمة ، وضعت الزهراوي جنباً إلى جنب مع ابقراط وجالينوس ، بل اعتبره البعض متفوقاً عليهما لجعله الجراحة البشرية علماً قائماً بذاته ، وتطويره علم الطب النسائي إلى مستوى رفيع .

وعن رسوم الزهراوي ووصفه الحي الكامل للأدوات والآلات الجراحية التي تضمنها كتابه «التعريف لمن عجز عن التأليف » ، انطلق علم الجراحة يصنع هذه الأدوات والآلات إلى أن طوّرها إلى أشكالها الحديثة الراهنة .

ومن الأندلس أيضاً ظهرت رواية « حي بن يقظان » لأبي بكر ابن طفيل ، التي ترجمت إلى جميع لغات العالم ، وما تزال أروع رواية فلسفية كتبها انسان حتى الآن .

ويقول كارا دي فو في كتابه « التراث الاسلامي » ان المسلمين هم « ولا شك واضعو أسس علم المثلثات بنوعيه البسيط والمركب ، إذ ان الإغريق لم يعرفوا هذا العلم ، وان أبا عبدالله محمد سنان نقل العالم إلى نقطة أبعد بكثير من تلك التي وصل إليها الإغريق في علم الفلك ، فمهد السبيل أمام عصر العلم الحديث .

والمسلمون هم أول من فصل علم الجبر عن سائر العلوم الرياضية الأخرى ، وجعلوا منه علماً مستقلاً بذاته . ومن المؤكد أن اسمه في اللغات الأوروبية مشتق من اسمه العربي . كذلك فإن المسلمين هم واضعو أسس علم الهندسة التحليلية [١].

ورغم اختلاف المؤرخين في معرفة أول مخترع للصفر ، فإن الكل

(١) جون باجوت غلوب في كتابه « امبراطورية العرب » .

يجمع على أن المسلمين عرفوا الصفر واستعملوه قبل قرنين ونصف القرن، على الأقل، من وصوله إلى أوروبا.

٤

وقف مسلم عربي بمسجد قرطبة الكبير وكتب يصف انطباعاته ورفاقه، وهم وقوف بين يدي هذا الأثر الإسلامي الجليل:

«.. وقد تخيل الفكر أن حيطان المسجد وسواريه تسلِّم علينا، وتهش إلينا، من شدة مـــا وجدنا من الأسف، حتى صرنا نخاطب الجمادات، ونعانق كل سارية، ونقبل سواري المسجد وجدرانه»[1].

لكننا تركنا هذا الأثر العظيم وحيداً، ومضينا لا نخاطب الجمادات، وحدها إنما نقتات بكل خواء الدنيا. أقمناه وذوبنا في كل ركن من أركانه أصيل اناقات الدنيا، ثم أودعناه عبث الدهر. عشنا معه أيام الرخاء والسلام والإزدهار، وتخلينا عنه في ساعات النكبة والأزمات والفوضى والدمار.

هذا الأثر الإسلامي – الرمز، رمز وجودنا في الأندلس وعناقنـا القمة الحضارية، رمز خفقات الحيـــاة الحقيقية التي بدأت النبض في عروقنا منذ فجر البعث الإسلامي الأول في الجزيرة العربيـة، الذي شهد تطورنا هنـاك فوق هضاب الزيتون وربا المحبة والاخاء.. تحت سماء الأندلس، وعاش لحظات تدرجنا إلى العظمة في كل ميدان وعلى كل صعيد، ثم انتحب، عصي الدمع، يوم بدأنا نلهث سقوطـاً نحو الهاوية.. لم تركناه وهربنا؟.. ومن يومهـا التزمنا الهروبية وتطبعنا بالانهزامية وغفونا على مدارج الوهن والفراغ والهامشية.. وهـــو

---

(١) الدكتور حسين مؤنس في كتابه «رحلة الأندلس».

أبداً رافع الرأس ، سامق القد ، عال ، كبير ، قوي ، أو هو يتشبث بالسمو والقوة والعظمة ، ليبث فينا الأمـــل .. فها هي من الحجارة أعمدته الألف والمائتان باقيات تبكي تاريخنا ، فيبكينا التاريـخ ، ذلك التاريخ الذي منحناه ، مع الدنيا كلهـا ، الحياة والمجد والكرامة ، بدءاً من انطلاق الزحوف الاسلامية المقدسة وحتى الغروب في الأندلس.

من يومها :

يوم سار أبو عبد الله محمد على ظهر جواد .. يجره خجلاً ، كسير النفس ، منكس الرأس ، كما راكبه ، يسلم مفاتيـح الحمراء إلى الملكة إيزابيلا والملك فرناندو .. وانسلّ يدوس تاريخ أمة صنعت للإنسانية مفترق طريق ، بـــل طريقـاً كاملاً ، وهو يدير الرأس ، المنكس الذليل – والجواد عيناه إلى أمام لا يريد أن يتذكر صور نهـــاية المأساة !.. – نحو الحمراء.. نحو النقطة – المفترق التي تم فيها التسليم – الإستسلام ، وفي عينيه دموع متحجرة كأنها الصخرة التي وقف عليها طارق بن زياد ، يوم الفتح المبـــين يخطب في جنده البواسل ، جدود هذا المنتحب الباكي ، الذين لم يعرفوا النحيب ولا البكاء يقيناً منهم أن الدنيا ليست للباكي ، فملكوا الدنيا بشجاعتهم الإيمانية وعظمة الرسالة التي كانوا يؤمنون انهم مصطفون لإنقاذ البشر بواسطتها .

يومذاك ، وتلك حقيقة ما برحنا في غفلة عن فهمها رغم انها أسّ الكوارث التي ابتلينا بهـا منذ تيك اللحظة السوداء ، كان المسلمون ، أقصد جل المسلمين ومن بيدهم الزمام خاصة ، قد نسوا أن « ما من دين ذهب أبعـــد من الإسلام في تأكيد غلبة العلم على جميـع مظاهر الحياة » . وهي خلاصة الرأي الذي توصل إليـه ليوبولد فايس في

عصرنا الحديث بعد دراسته الطويلة للإسلام .. وغشيت أبصارهم ، وهم في غمرة الحقد والحسد والدس بعضهم على بعض ، عن أن بين الإسلام والعلم رابطاً عضوياً لا انفصام له ، كما يؤكد العلامة مسمر بقوله : « إن بين الاسلام والعلم رابطة قوية ، فالاسلام لم يزدهر إلا بانتشار العلوم وتقدمها .. »

وعندما أصيب المسلمون في أواخر أيامهم بالأندلس بانفصام فكري ونفساني وروحي بين الإسلام والعلم ، لم يعد لديهم ما يعطونه ، إذ أوردوا أنفسهم موارد الفقر الديني ، فجرهم هذا الفقر إلى شقيقه التوأم : الفقر العلمي . ويعترف إتيان دينيه ، وهو ما جهله جيل السقطة الأندلسية أيام أبي عبد الله محمد وما زال أحفاده في قرننا العشرين يتجاهلونه ببسالة العناد المراهق ، ان الإسلام رفع العلم « إلى أعظم المراتب وأعلى الدرجات ، وجعله من أولى واجبات المسلم ، مؤكداً انه في يوم القيامة يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء ، ويرفع فضل العلم على فضل العبادة » ..

و« هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟..

في أواخر أيامهم بالأندلس ، بات المسلمون لا يعلمون ، وما عادوا على استعداد ليكونوا من العالمين المتفهمين لعبر سقطاتهم المتدرجة التي أودت بهم إلى الموضع الذي يعرف اليوم باسم « حسرة العربي » : « ال سوسبيرو دل مورو » ، الموضع الذي خجل جواد أبي عبد الله محمد ان يلتفت إليه ، بعد أن تخطاه ..

إن الدكتور جرمانوس ، الضنين بطرح آرائه بمواهن الكلام ، يقول انه يستطيع أن يعلن « بمنتهى الجرأة ، بعد أن قرأت كتاب المسلمين المقدس وثقافة الإسلام ، بأنه لا يوجد في تعاليم الإسلام كلمة واحدة أو فريضة واحدة من شأنها أن تعيق تقدم المسلم أو تمنع

زيادة حظه من الثروة والمعرفة والقوة ».

لكنه حينما أصبح القرآن في الأندلس وغيرها من بلاد الإسلام، آيات ترتل للتلذذ بسماع نغماتها الموسيقية الدافئة المطمئنة .. لا أكثر، كما هي الحال عند أكثر مسلمي اليوم، كان من الطبيعي أن تضرب الملكة إيزابيلا والملك فرناندو أرجلهما في الأرض اختيالاً وكبرياءاً، وهما في موكبهما المهيب إلى سوسبيرودل مورو، لتسلم مفاتيح الحمراء من اليد التي فقدت، فقرت من حرارة الإيمان والثقة، وأمسى السيف الذي تمسكه يرفع أضعف وأوهن من السيف الذي تحمله اليد التي شجعتها اليد الأولى على سلب مفاتيح الحمراء ..

٥

ثمة افريز في محراب مسجد قرطبة نقش عليه نص الآيتين الكريمتين ١٠٢ و ١٠٣ من سورة « آل عمران » :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتنّ الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها. كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

إنذار إلهي نقشوه بالأيدي فوق محراب أضخم عمل فني موحد منسجم يشهد بأصالتهم، لكنهم لم يعوه بالقلوب ولا بالعقول، أو هي القلوب والعقول انصرفت طاقاتها إلى إفراز الحقد والحسد والتكالب على السلطة .. فما عادت تعي حتى معاني مبررات وجودها ورقيها

وازدهارها وسطوع شمس إيمانها على الدنيا كلها ، لا بالسيف وحده ، بل بالرسالة الإلهية ، بعقيدة التوحيد، التي انبثقت من صحرائهم المزمنة التخلف التي كانت ، منذ وعاها التاريخ، ظمأى إلى قطرة ماء لتستطيع الحياة ، ماديا على الأقل ، فأورد الله أهلها موارد الحياة الحقيقية من أوسع أبوابها .

نصيحة من الخالق تعالى الذي استطاعوا بالإيمان به وحده ، أن يوحّدوا شبه الجزيرة الاندلسية (اسبانيا وقسم من البرتغال) التي لم تعرف الوحدة أبداً ، ليجعلوا منها دولة ذات كيان ونفوذ يتخطيان قارات العالم القديم الى الانفتاح على قارة جديدة ، لم تعرفها البشرية إلا بعقولهم المؤمنة وعلومهم الاسلامية .

إنما هي تحذير وتنبيه من الواحد الأحد ، وردا بأسلوب الوعيد والتهديد ، بأن الفرقة والتباغض والحسد والحقد والأنانية، والاعتصام بحبال بشرية دنيوية ، هي الطريق الطبيعية للعودة إلى شفا حفرة من النار التي شاء الله ، بواسع رحمته ، أن ينقذ بالاسلام هذه الأمة ليؤلف بين القلوب المتنافرة ويربط بينها بالنعمة الاسلامية .

ولقد تحقق ما حذر منه تعالى ونبه ، نتيجة العبث الجاهلي الأحمق الذي تردى فيه المسلمون، الذين ليس في مقدور أية دراسة سريعة بعض الشيء تتناسب مع روح العصر ، أن تفي ما صنعته عقولهم ، يوم كان الإيمان يغمرها ويقودها ويهديها ، في الاندلس وفي غيرها من قبل، ومن بعد في الجزيرة العربية نفسها في القرن الثاني عشر على يد الإمام محمد ابن عبدالوهاب وآل سعود .

وبديهي أن تكون النهاية في الاندلس .. مهزلة ، لا تستحق أن تذرف من أجلها دمعة . لكن القلب لا يستطيع إلا أن يتفطّر بالأسى الدامي ، فيخيل إليك لهول المهزلة ، ولمهزلة النهاية في الاندلس هول

مرعب ، ان الدم أسود ، قـــاتم السواد ، كالأيام التي تعاقبت على المسلمين منذ تلك اللحظات ، كدمع التاريخ الذي أدمن بكاءنا ، إلى أن قيّض الله له من يعالج جوانب من أسباب بكائه ، وفي الجزيرة العربية ذاتها ، خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري . لكن أولئك الموحّدين لم يكونوا يملكون بمفردهم تحويـــل البكاء إلى ضحك ، والدموع إلى بسمات ..[1] .

بعض المؤرخين العرب للاسلام في الاندلس ، وهم قلة على أي حال للأسف ، عمد إلى إطلاق تفسيرات ضبابية ، أسها الانهزامية المشوبة بروح التعصب الأمي اللامجدي ، كالقول « اننـــا لم نخسر الاندلس عن تخاذل أو استنامة للترف ، وإنما فقدناه كما يفقد الجندي الباسل معركة وسلاحه في يده ، تضيع المعركة ويبقى شرف البطولة والاستشهاد .. »

يحتمل ذلك الصحة ، لو أن هذا الجندي عـــاد فكسب معركة أخرى ، ليس ضرورياً أن تكون على الأرض الاندلسية بالذات ، فيبقى لشرف البطولة والاستشهاد معناه ، ويفتدى من بعد بكل غال من أجل أن يبقى بأية طريقـــة ، وفوق أي من ساح المعركة التي

---

(١) قال لوثروب ستودارد في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » ، بعد أن أسهب في وصف حالة العالم الاسلامي المفجعة في القرن الثاني عشر للهجرة :

« .. وفيما العالم الاسلامي مستغرق في هجعته ، إذا بصوت يدوي من قلب صحراء الجزيرة العربية ، مهد الاسلام ، ويوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الاصلاح والرجوع إلى سواء السبيل . كان صاحب هذا الصوت الصارخ هو : المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب ، الذي أشعل نور الحقيقـــة الاسلامية واندلعت أضواؤها إلى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامي ، ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي التليد ، فتبدت تباشير فجر الاصلاح ، وبدأت اليقظة الكبرى في عالم الاسلام » .

خاضها ، وما زال ، المسلمون .

لكنه يتحول في غير هـــذه الحال ، إلى نوع من حقنات التخدير والتطمين، ليصبح شعاراً سوقياً من الشعارات الضخمة للتواكل والكسل والهروبية التي امتلأت بها شوارع بلادنا العربية والاسلامية منـــذ الاستسلام في الحمراء ..

انا فقدنا الاندلس عن تخاذل روحي عميق ، وارتداد عن كل أسس عقيدتنا التي حفظت لنا الوجود في كل مكان، وعلى مر العصور، وكانت القوة التي نعمنا بها ونحن نتقدم الى الأمام في زحوفاتنا المقدسة، خاصة في الأندلس. فقد كان « احتلال اسبانيا يمثل اقرب نقطة وصل اليها المسلمون للسيطرة على العالم » ، على حد تعبير نيكولسون في كتابه « تاريخ الأدب عند العرب » .

ونحن لو وعينا تطور تاريخنا في الاندلس ، لا سيما مرحلة الانحطاط والاحتضار ، بظروفها وطبيعة تركيباتها وإرهاصاتها الجاهلية ، لكان لنا في دنيا اليوم شأن آخر ، ولكانت مفاهيمنا للكون كله ، ومن ثم للسياسة وللاقتصاد والاجتماع على الأرض ، غير ما هي عليه الآن من تخلف وفقر وعقد ومركبات نقص .

لنأخذ ، مثلاً ، الفترة التي قامت فيها دولة بني الأحمر، التي لم يتبق لهـا من شبه الجزيرة الاندلسية ، التي أصبحت تحت الحكم الاسلامي — لأول مرة في التاريخ — دولة موحدة لنحو قرنين ونصف القرن ، أكثر من ثمن مساحة شبه الجزيرة هذه .

اعتقد بنو الأحمر أنهـــم لن يستطيعوا الاستمرار في الحكم ، لا استمرار حكم الاسلام ، على تلك الرقعة التافهـــة المتبقية للمسلمين في الاندلس ، إلا إذا هم تحالفوا مع بعض أعداء الإسلام الأقوياء ، لا بذاتيتهم ولكن بضعف المسلمين ، ضد أعداء آخرين هم في الوقت

نفسه أخوة لهم في الاسلام .

في عهد الإيمان ، عهد القوة والبأس والحب والأخوة التي فرضها المسلمون على الجزيرة الاندلسية كلها ، كان أول ما يقوم به أي حاكم مسلم جديد في الاندلس ،هو المبادرة إلى توسيع مسجد قرطبة الكبير ، حتى ان الحكم المستنصر بالله ،الذي بويع في الثالث من رمضان ٣٥٠هـ ، وهو في الثامنة والاربعين ، افتتح عهده صبيحة اليوم التالي لمبايعته ، الرابع من رمضان ، بتوقيع مرسوم توسيع مسجد قرطبة الكبير ، محققاً بذلك مطلباً شعبياً ملحاً ، بعد أن ضاق المصلون ، بجموعهم الغفيرة الحاشدة ، بضيق جنبات المسجد الذي كان واسع الأرجاء حقاً حتى من قبل الزيادة التي أضيفت في عهد الحكم ، فبلغت ضعف ما كانت عليه مساحة المسجد في عهد أبيه عبد الرحمن الناصر .

لكنه في عهود الاحتضار والانحطاط ، والقفز الإرادي اللاواعي إلى مواقع الضعف والجاهلية واللارجولة ، لم يعد هناك من يضيق بضيق فسحات المساجد ، كما لم يعد هناك بين الحكام ، إلا بالطفرات النادرة ، من يهتم بمطالب الشعب ، حيث الأنانية إلهاً والتكالب على السلطة وثناً مبجلاً لا أهمية للوسائل المتبعة للوصول إلى أعتابه والتمرغ تحت أقدامه .

تركز اهتمام بني الاحمر على حماية ملكهم (بعد أن صار حكم الاندلس ملكاً اقطاعياً مشتتاً ، لا للاسلام) الضيق الموشك على الانهيار ، من تهديدات مملكتين من أقوى الممالك الاوروبية وقتذاك : قشتالة وارغون ، بالاضافة إلى امارتين قويتين نسبياً ، هما : قطلونية والبرتغال . وإذا كان الاهتمام أنانياً مصلحياً ، فقد كان من الطبيعي أن يكون الوضع برمته وقتياً آنياً ، وكان طبيعياً -بالتالي- أن يذهب

ابن الاحمر إلى حد محالفة فرناندو الثالث، ملك قشتالة ، الذي ارتضى التحالف مقابل جزية يدفعها ابن الاحمر إليه قدرها ربع مليون قطعة ذهبية سنوياً !!!..

اواه يا دنيا .. فقد انقلبت الآية ، وامسى احفاد بناة أعظم حضارة عرفتها ، عبيداً يمتاشون بمساندة العدو ومؤازرته ضـــد اخوتهم ، ضد احفاد آخرين لأولئك البناة العظام !!!..

انك لو ألقيت نظرة إلى مصور العـــالم كما رسمه الجغرافي المسلم الإدريسي (ابن حوقل) ، الذي يعد عبقرية جغرافية فذة نبغت في عهود الإيمان بالاندلس ، لتأكد لك أن الدنيـــا تغيرت حقاً ، وان التغيّر الذي قـــام ضد وجودنا برمته لم يتغذ ويقو ويتعاظم قوة عبر الدهور بالقوى الذاتية لأعدائنا ، إنما بالضعف الذاتي الذي اصطنعناه غباءاً وتواكلا وإهمالاً ، في طبيعتنا .

إذ أن خارطة العالم التي وضعها الإدريسي ، تُريك البحر مقلوبـاً بالنسبة إلى مـا نراه على خرائط اليوم ، حيث بلاد المسلمين تسمو في الأعلى ، وأوروبا في قعر الخارطة تتعثر ..

٦

مع وفاة الحكم المستنصر بالله ، وتولي ابنه هشام مقاليد الحكم ، تنتهي واقعياً الخلافة الأموية في الاندلس، لتبدأ فيه حياة جديدة أشد إشراقاً ، وهذه المرحلة التي تسمى « مرحلة الدولة العامرية» نسبة إلى محمد بن أبي عامر الذي تسميه مختلف مدارس المؤرخين بأمير العسكريين وعبقري السياسيين، تكاد تعتبر آخر عهود الإيمان والحضارة والتألق الإسلامي في الاندلس .

كان ابن أبي عامر ، على ما يقول ابن خلدون : « ذا عقل ورأي وشجاعة ، وبصر بالحروب ، ودين متين »[1]. « وكان شجاعاً ، قوي النفس ، حسن التدبير »[2].

وليس المؤرخون والنقاد الغربيون بأقل حماسة للإشادة بمحمد ابن أبي عامر الذي لقب بالمنصور . فها هو ماسديه ، المؤرخ الاسباني اليسوعي ، يتحدث عنه ، فيقول :

« .. وكان سياسياً كبيراً ، وقائداً عظيماً ، فقد أخمد نار الثورات التي كانت تعصف بالمملكة ، واكتسب حب الشعب بجميع الطبقات ، وتفوق في شهرته وهيبته على أكبر القواد ، بما اجتمع في أحكامه من الصرامة واللين والقصاص والعفو . وكان يهدم المدن التي تقاوم جيوشه ويبيدها ، ولكنه لم يسمح قط لجنده ، بأن تسيء معاملة مدينة سلمت طوعاً » .

والمنصور ، في الحقيقة ، هو ظاهرة اسلامية بناءة ، ومنقذة في أكثر الاحيان ، عودتنا الجزيرة العربية ، بين الفينة والأخرى ، أن تمنحها قوة التألق والسيطرة والنفوذ والعطاء . وعندما اتحدث عنه كشخص ، فذلك لمقتضيات البحث لا أكثر . وليس أدل على صحة ما أراه من انه ظاهرة اسلامية نقطة انبعاثها وتطورها تتركز اولاً وآخراً في روح الايمان الصحيح ، من ان يقوم المرء بعملية مسح سريعة يستعرض خلالها طبيعة الحكم والحياة في عهود الخلافة الراشدة وعهد عمر بن عبد العزيز ، ابان فجر البعث الأول لعقيدة التوحيد ، ومن ثم عهود محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وعبد العزيز بن سعود وسعود الكبير ابن عبد العزيز ، حين انبلاج فجر البعث الثاني

(١) ابن خلدون ج ٤ - ص ١٤٧ .
(٢) ابن الأثير ج ٩ - ص ٦١ .

لعقيدة التوحيد الاسلامية في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة ..
وأخيراً ، عندما تكشفت كل مميزات هذه الظاهرة في عبد العزيز
ابن عبد الرحمن آل سعود ، ومن ثم في ابنه الفيصل اليوم .

كان المنصور يحمل أكفانه ، التي غزلتها له بناته ، معه في كل غزوة من غزواته المستمرة صيفاً وشتاءاً طوال ربع قرن من الزمن. وكان من أعز أمانيه أن تدركه المنية خلال الغزو ، مجاهداً في سبيل الله ، وقد استجاب الله دعاءه ، إذ مـــا كاد يحل بمدينته سالم ، عائداً من آخر غزواته « قلعة النسور » ، حتى أحس بالاعياء يفتت كيانـــه ، فأيقن دنو أجله ، فاستدعى ولده عبد الملك ، ليلقى وجه ربه ليلة السابع والعشرين من رمضان ٣٩٢ هـ ، عن عمر يناهز الرابعة والستين .

ولقد بلغ شغف المنصور بالجهاد في سبيل الله انه كان يتولى القيادة بنفسه في جميع غزواته الصائفة والشاتية ، ولم يقعده عن القيـــادة والاشتراك الفعلي في كل المعـــارك شيء قط ، حتى اننا نراه في آخر غزواته يتولى القيادة رغم مرضه الشديد، ويسير محمولاً على محفة، ليقضي نحبه عقب الغزو ، بين يدي جنده وفي معقل الثغر ، بعيداً عن قصوره ومهاد راحته .

كل قادة عهود الإيمان في الاندلس ، كما يلاحظ المؤرخـون ، لم تنسهم انتصاراتهم وأعمالهم الباهرة أمراً بات تقليداً إسلامياً رمزياً، هو توسيع مسجد قرطبة الجامـع . وكانت عمليات توسيع المسجد في عهد المنصور آخر التوسعات ، للأسف ، وبالتـالي آخر عهود الإيمان والحضارة والتألق الاسلامي في الاندلس ، حيث نرى ، من بعـــد ، التدهور وقـــد رسم لنفسه طريقاً واضحة تنبىء بانعطاف الحكم الاسلامي في الاندلس نحو النهـــاية ، وان كان هذا الانعطاف قد بدأ طويلاً وبطيئاً ، حتى وصل إلى المشهد الأخير للصراع حول غرناطة ،

التي تبقت وحدها وقتئذ تحت ما نستطيع أن نسميه تجاوزاً حكماً إسلامياً ، والذي استمر يتفاعل لثلاثين عاماً بكل عصارات الغباء الحاقد أو الحقد الغبي ، وتراكيب الجاهلية الجديدة التي بدأت تصنع لنفسها منذ ذاك الحين الصنم الذي كبر وكبر واتخذ أشكالاً وصوراً شتى ، مع مزيج من الضعف والتواكل والانهزامية .

ولكي نكوّن صورة عن مراحل طريق التدهور والانحلال تلك ، لا بأس من الإشارة إلى الموقف العجيب .. العجيب جداً الذي كرسه بنو الأحمر ، من النجدات المغربية الاسلامية التي كانت تزحف إليهم لإنقاذ بقايا حكم الاسلام ، ان صح التعبير ، في مملكة غرناطة ، أو بالأحرى لإطالة عمره بضع سنين أخر ، إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة النفسية التي كان بها بنو الأحمر يحكمون ويقيمون أسس سياستهم : فما يكاد عرشهم المتهاوي ينقذ بمساعدة تلك النجدات ، حتى يسارعوا إلى التحالف مع أعدائهم الأصليين ، ملوك قشتالة أو غيرهم ، توسلاً لنجدات مناقضة للأولى للتخلص من وجود النجدات الاسلامية وطردها ، وهي التي جاءت لغوثهم ، وبدافع الإيمان وحده .

في هذا الجو الجاهلي وذلك المناخ الأناني الغبي ، اللذان يشجعان أتفه طامع على استغلالهما ، استطاع فرناندو ، كما يقول المؤرخ الالماني يوسف اشباخ ، « بعد غزوات عديدة ومهاجمات لبعض المدن الصغرى ، أن يضم بالصلح والتراضي ولاية بأسرها هي مملكة مرسية ، التي اقتسمها ، منذ مقتل محمد بن هود ، رهط من الزعماء ، فأصبح لكل مدينة منها ، بل ولكل قلعة ، حاكم مستقل ، ينحصر نشاطه في منازعة جاره ملكية مدينته أو منطقته ، أو أن يدفع عدوانه عن أملاكه . وهكذا شملت الحرب الأهلية جميع الولاية ، وعانى الشعب أروع الآلام من عسف الطامعين المتطلعين إلى الحكم والسلطان.

ولما بدا أن أمير غرناطة محمد بن الأحمر يرمي إلى أن ينتهز فرصة تفرق الزعماء والاستيلاء على بلنسية، وهو ما كان يرجوه الشعب لكي يتخلص من نير الطغاة الأصاغر، آثر أولئك الزعمـــاء أن يحتفظوا بسلطانهم كأتباع لملك قشتالة، على أن ينزلوا عنه لابن الاحمر، أو أن يتحدوا جميعاً لمقاومته. ولما نمي إليهم أن الفونسو، أكبر أولاد الملك فرديناند، قدم إلى حدود الولاية على رأس قواته، أرسل كل منهم رسولاً للمفاوضة وتقرير الشروط التي يرى أن يخضع لملك قشتالة وفقاً لها».

ثلاثون عاماً، دون أن يظهر على الممثلين والمتفرجين معاً أي ملل أو شعور بالذنب- كما هي حال العرب والمسلمين منذ عقدين من السنين- وغرناطة تعيش مرحلة الاحتضار وتلفظ أنفاسها الأخيرة ببطء مميت، قاس، رفظيع. الكل طامع أناني، والكل حاقد أعمى البصيرة، والكل لا يهمه غير ذاته وبقائه ولتنتحر الدنيا من بعده. ولم يكن ثمة مفر من النهـــاية الطبيعية المحتومة، حتى وان تهيأ لغرناطة العبقري المخلص الذي يستطيع إنقاذها، لأنه سيحار من أين يبدأ وأنى ينتهي. ولتستكمل المهزلة فصولها، في مسارها الذي رسمه لهـا المسلمون الذين ضلوا سواء السبيل، لم يكن، كما بـــدا، بمقدور الطاقات الإيمانية المتبقية على الأرض الاندلسية خلق ذلك المنقذ..

قبل إسدال الستار على النهاية المفجعة، تتدخـــل النساء وتبرز مؤامرات الحريم، لكي تنسجم بداية النهاية مع نهايتها الختامية.

فكأن السلطان علي أبي الحسن الذي لقب نفسه بالغني بالله - ليزداد بكاء المتفرجين انفعالاً بالمسرحية!.. -، لم يكفه، بل لم يردعه، كل مـــا أصاب مملكة غرناطـــة من تمزق وموات قريب. لم تكفه الويلات والكوارث التي حلت بأهل غرناطة نتيجة منازعاته وحروبه

مع أخيه الثائر عليه عبدالله الزغل ، ولم تخجله نتائج استعانة كل منهما بملوك قشتالة . .

. . إنما رأى ، وبئس ما رأى ، أن يضيف المزيـــد من المتاعب والمشاكل التي قصمت ، كما تؤكد لنا عبر التاريخ، ظهر كبريات الدول والامبراطوريات ، وتركتها أشلاء ممزقة :

فقد كان للسلطان زوجة عربية نبيلة هي عائشة المعروفة بالحرة ، ابنة السلطان محمد الأيسر ، أنجبت له ولدين هما : أبو عبد الله محمد (١) وأبو الحجاج يوسف .

وفي قصر السلطان بالحمراء كانت تعيش أسيرة اسبانية شابة، فاتنة الجمال ، ومن أسرة نبيلة ، إذ ان أباها هو القـائد العسكري الاسباني سانشو خيمينيث دي سوليس . اسمهـــا الأصلي إيزابيلا – نفس اسم الملكة التي تسلمت مفاتيح الحمراء من ابن السلطان الأكبر ! . . – ، لكن السلطان اختار لها اسم ثريا ، ربما من قبيل التفاؤل على عـادة العرب الجاهليين ، بعد أن أحس بالظلام الدامس يزحف مدلهما على مصير حكمه . . ثم تزوجها ، فأنجبت له هي الأخرى ولدين هما : سعد ونصر . . ربما للتفاؤل أيضا ! . .

زُين لثريا الرومية أن تحصر وراثة عرش زوجها بابنيها ، فراحت تُخطط من البداية لتحقق هذا الهدف ، ساعية إلى إقصاء ابني السلطان من زوجته الأولى عن العرش بأية طريقة . وقد نجحت نجاحاً باهراً ، بفضل ما كانت تتمتع به من جمال ودهاء ، حينما سجن السلطان ابنيه مع أمهما عائشة في برج « قمارش » .

من هنا بدأت الدسائس تعم المملكة الصغيرة بمساحتها ، المتفجرة بمشاكلها ، فأهرقت دماء تكاد تغطي أرضها . فالملكة السجينة مـع

(١) هو نفسه بطل اللحظة المشؤومة عند تسليم مفاتيح الحمراء .

ولديها لم تسكت عما لحقها من الأذى والظلم ، فراحت بدورها تخطط سراً ، وهي سجينة ، للاطاحة بعرش زوجها ، حتى استطاعت في النهاية الفرار مع ولديها من أعلى البرج ، لتلجأ إلى بني سراج ، الطامعين هم أيضاً ، من بين الطامعين الكثر ، بعرش غرناطة ..

لكن النهاية المحتومة كانت تنتظر الجميع ، وشاء القدر أن يكون أبو عبدالله محمد هو بطل اللقطة الأخيرة من مشهد الاستسلام في الحمراء عند آل سوسبيرو دل مورو : حسرة العربي ..

والحقيقة ان أية دولة او أمة عظيمة ، شامخة البنيان ، تسقط صرعى نقائصها الذاتية واصطناعها الضعف من الداخل ، يجب ان لا تثير في النفس اي عطف او اشفاق ..

٧

ذلك كله مجرد وريقات ، منها الخريفي ومنها الربيعي ، من تاريخنا ، أنبشها على السطح ، علّني استثير غريزة — وأشدّد على غريزة - الوعي عند الانسان العربي خاصة ، والمسلم عامة ، أروم يقظة الإحساس الحضاري في ضمير أمة تبلّد عقل أبنائها عن فهم ماض لها معروف مشهود وبارز ، يعيشون اليوم حاضر حزيران الانهزامي المهزوم أرضاً وعلماً ووعياً ، بأعمق قصور مجروح نازف عن اكتناه مستقبل ما لهم ، أقل ما يُقال فيه إنه مستقبل مجهول .. مجهول جداً ! ..

عام ١٩٤٨ ، خاض أبناء هذه الأمة حرباً غادرة مع عدو لم يكونوا على مستواه عدة وإعداداً ، رغم تفوقهم العددي المذهل ، الذي لم يكن أكثر من تفوّق أمي جاهل متكاسل - بفعل عشرة

قرون من الغيبوبة والاستعمار والتجهيل الخارجي المفروض – حارب بسلاح بدائي من مخلفات مستعمريه ، وهو سلاح كريه بالنسبة إليه – حتماً – لأنه أشهر في وجهه وحكم بواسطته ..

كذلك كانت هذه الكتلة البشرية الضخمة .. الهائلة الضخامة .. قد أدمنت الاستكانة وكرهت العنف والارهاب ، اللذين عانت منهما الويلات..ثم انها لم تكن على استعداد لتجعل من نفسها شعباً محارباً.. كل خرافات التاريخ المريض الذي عاشته ، كان قد سحق في أنسجتها كل استعداد لحرب نظامية في وجه عدو لم ينقطع عن الاستعداد ، على مختلف الصعدان ، للهيمنة عليها طوال قرنين من الزمن ..

سُمّيت هذه الحرب الأولى بين العرب واليهود،بحرب «الرجعيين» مع اسرائيل :

الاتحاد السوفياتي ، وحكوماته العميلة في أوروبا الشرقية وغيرها بالاضافة إلى أحزابه في العالم،أعلن منذ البداية انها حرب«الحكومات الرجعية » ضد « حركة التحرير الوطني اليهودية » ..

الثوريون الاشتراكيون العرب ، لم يجرؤوا على عزف الاسطوانة كاملة ، إنما اكتفوا بالجزء الأول منها ، مع طبعها بعروبية مسطّحة .

خسر العرب حرب ١٩٤٨ ، لأن « الرجعيين » كانوا يحكمون العالم العربي !..

أنا واحد من الذين صدّقوا ، في البداية ، هذا الجزء من الاسطوانة الكاذبة ، وقد كنت في الخامسة عشر من عمري ، بعدما وعيت « تاريخ أمتي » المزيف من أجهزة اعلام عازفي الاسطوانة الناقصة ، متأثراً بالأحداث الدراماتيكية للحرب الثانية عام ١٩٥٦ ، حرب السويس ، التي أسفرت عن عقد اتفاق سري بين مصر الثورة

وهمرشولد والولايات المتحدة الاميركية ، يقضي بتجميد القضية الفلسطينية مدة عشر سنوات !..[1].

وعندما انتهت فترة هذا الاتفاق السري، الذي استطاعت اسرائيل خلاله ، بعمل دؤوب حثيث ومخطط، أن تجعل من نفسها قوة عسكرية هائلة الضخامة ، وتختلق للعرب ألف ألهية يتلهون بها ..

.. عندما انتهت هذه الفترة ، كان لا بد في حساب المهيمنين على مقدرات السياسة الدولية ، لا سيما في واشنطن وموسكو ، من فرض حل ما على العرب .. حل نهائي أبدي تغدو حياة المنطقة بنتيجته بأيدي نفس أولئك الذين خططوا لعسكرة العالم العربي وبلشفته ، فكانت الحرب العربية – اليهودية الثالثة في حزيران ١٩٦٧ ، هي حقاً حرب الاشتراكيين الثوريين العرب ضد اسرائيل ..

وكان ما كان .

والذين يتصورون ، بالتفاؤل وحده ، إمكان حدوث غير ما كان ، يتغابون عن حقائق الوضع العربي طوال سنوات تجميد القضية الفلسطينية العشر .. وما فرض على هذا الوضع :

الوحدة بين سورية ومصر وطبيعة الحكم فيها ، والفتنة المصطنعة في لبنان الطيب ، والإطاحة بالحكم الهاشمي العربي في العراق ، وانقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ في سورية ، والحرب الثورية الاشتراكية – العربية الاسلامية في اليمن [2] ، والاعلان عن إعدام الشهيد سيد

---

(١) عن « المؤامرة ومعركة المصير » لسعد جمعة ، ص ٥٦ .

(٢) نسبت مجلة «نيوزويك» الاميركية في عددها الصادر يوم ٣ شباط ١٩٦٩ (راجع « النهار » رقم ١٠٢٣٧ ، ٤ شباط ١٩٦٩) ، إلى الرئيس المصري قوله في مقابلة مع أحد كبار محرريها السيد أرنودو بورتشغريف : « اننا لم نكن أبداً نخطط لمهاجمة اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، وأؤكد لكم انه لم تكن لدينا خطط لذلك .=

قطب ورفاقه من على منابر موسكو، واصطناع العداء والفرقة والتوتر بين العرب، المائة مليون، وبين إخوتهم المسلمين، الخمسمائة مليون ..

وقد كشفت الأحداث والوقائع عن أن ذاك الاتفاق السري بين مصر الثورة وهمرشولد وواشنطن، كان يقضي بوجوب تجميد القضية الفلسطينية لعقد من الزمن، من طرف واحـــد .. هو الطرف العربي فقط !..

السؤال الآن، هو :

كيف الخلاص، إذن، من حزيران .. من الحياة الحزيرانية المخيفة التي نحياها، قلقاً وخوفاً وتشرداً وفرقة .. ؟..

المسألة ليست وصفة طبية .. إذ يجدر بنـا قبل التفكير بالخلاص من حزيران، أن نفكر بالخلاص من صانعي حزيران.. من الذين جعلوا مصير العالم العربي، خلال أكثر من عشر سنوات من جهود التخريب والتقتيل والتجهيل [1] والافقار والتجويع وسلب الأوطان، مصيراً مجهولاً !..

وبرغم الأمـــل الذي ردّ إلينا شيئاً من كرامتنا وسمعتنا وثقتنا بأنفسنا، بفضل بطولات أولئك الفدائيين الشرفاء الذين آمنوا « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يُقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون .. » ..

= وفي الحقيقة فإن ثلاثة من أفضل فرقنا كانت في اليمن عند ذلك ..».

(١) تقول الاحصاءات الرسمية عن منظمة اليونسكو لعام ١٩٦٨، أن نسبة الأمية في العالم كله تتراوح بين ٤٠ و ٤٥ بالمائة، بينما تتجاوز نسبة الأمية في العالم العربي ٦٥ بالمائة !..

رغم ذلك .. فمن مصلحة المصير العربي والاسلامي ، والمسيحي أيضاً،أن نفكر كيف نكون لو كان لنا عالم إسلامي متضامن ومتحد، بعد أن فشلنا عروبيين.. وفشلنا اشتراكيين ثوريين. وفشلنا أصحاب شعارات وكلام ..

فهلاّ نجرب حربنا الرابعة مسلمين حقيقيين.. بالعودة الى أصولنا وحقيقتنا وعقائدنا ؟..

الفصل الثامن

« اننا ، بحول الله وقوته واستناداً الى عقيدة المسلمين وايمانهم بربهم ، ماضون في طريقنا في التضامن والتكاتف مع اخواننا المسلمين في كل بقاع الأرض لتحقيق العدالة الاجتماعية التي يحضّ عليها الاسلام ، وفي محاولة لتحقيق السلم والحرية. واننا بهذا انما نؤدي واجباً علينا ، يفرضه علينا ايماننا بالله وتمسكنا بشريعتنا السمحاء . واننا في هذا السبيل لا نبتغي مطامع ولا نريد عدواناً وانما نُريد سلاماً وأمناً للمسلمين وللبشرية جمعاء » .

فيصل بن عبد العزيز آل سعود

مساحة دول العالم الاسلامي تبلغ ١٢ مليون ميل مربع ، أي انه أكبر مساحة من قارة افريقيا ، ومن قارتي أوروبا واميركا الجنوبية مجتمعتين ، وأصغر بقليل من مساحة القارة الآسيوية . ومن المهم أن نعرف أن حوالي ١١ مليون ميل مربع من المساحة الكلية للعالم الاسلامي تشكل جغرافياً كتلة موحدة متصلة البنيان ، تمتد في قلب العالم القديم من المحيط الاطلسي غرباً ، أي خط الطول ١٨ درجة غرباً ، إلى باكستان الغربية وإقليم سيانكيانغ شرقاً ، أي خط الطول ٩٠ درجة شرقاً . وبذلك يصبح امتداد هذا الجزء الأكبر من الأرض الاسلامية من الغرب إلى الشرق ١٠٨ درجة طويلة ، ويمتد ٥٠ درجة عرضية ، أي من خط العرض ٥٠ درجة شمالا إلى خط الاستواء جنوباً.

الجزء الأصغر ، الثاني ، من الأرض الاسلامية يشمل أندونيسيا واتحاد ماليزيا ، في جنوب شرقي آسيا ، الذي تبلغ مساحته ٨٥٨ ألف ميل مربع. وبين الجزئين الأكبر والأصغر من العالم الاسلامي ثمة جيب إسلامي ضخم هو باكستان الشرقية التي تشغل مساحة ٥٥ ألف ميل مربع.

جيب إسلامي آخر مهم ليس في افريقيا ولا في آسيا، إنما في القارة الثالثة من العالم القديم: أوروبا ، وأعني به البانيا التي تبلغ مساحتها احدى عشر الف ميل مربع .

في آسيا ٢٢ بلداً اسلامياً ، تشغل مساحة قدرها خمسة ملايين و ٧٠٦ آلاف و ٢٥ ميلا مربعاً ، عدد سكانها حوالي ٢٥٠ مليوناً . يضاف إليها تسع جمهوريات إسلامية في الاتحاد السوفياتي: (آذربيجان، قازاقستان ، تركمانستان ، ازبكستان ، طاجكستان ، قرغيزيا ، تترستان ، باشكيرستان ، داغستان ، تقدر مساحتها بحوالي مليون و ٧٣١ الف ميل مربع ، يعيش فيها نحو ٢٥ مليوناً و ٧٤٠ الف مسلم.

ثمة أقليات اسلامية لا يستهان بها في بلدان آسيا ، ترجع أسباب تسميتها بالأقليات إلى اكتظاظ البلدان التي تعيش فيها بالسكان على نحو ضخم ، إذ ان سبعين مليون مسلم يقطنون الصين الشيوعية والهند وتايلاند وبورما وسيلان والفيليبين ، تتراوح نسبتهم إلى عدد السكان الاجمالي لهذه البلدان الستة بين ٣ و ١٠ بالمائة ، كما تعيش أقليات صغيرة تعدادها نحو الربع مليون نسمة في كل من الصين الوطنية (فرموزا) واليابان وكمبوديا وفيتنام .

وعلى هذا ، يبلغ عدد المسلمين في آسيا ٣٤٣ مليونا ، اي انهم يشكلون ٢٠ بالمائة من مجموع سكان القارة الآسيوية البالغ عددهم ١٧٠٠ مليون ، بمعنى ان المسلمين في آسيا يشكلون حوالي ثلاثة ارباع مسلمي العالم .

في افريقيا ١٧ بلداً اسلامياً ، يبلغ مجموع مساحتها خمسة ملايين و ٨١٢ الفاً و ٣٠٠ ميل مربع ، عدد سكانها حوالي ٩٣ مليوناً ، حسب احصائيات الامم المتحدة لعام ١٩٥١ .

تبدأ حدود دول افريقيا الاسلامية هذه ، من المحيط الاطلسي غرباً حتى البحر الاحمر شرقاً ، ومن البحر الابيض المتوسط شمالاً حتى الحدود الشمالية للدول الآتية من الغرب إلى الشرق (سيراليون ، ليبيريا ، ساحل العاج ، فولتا العليا ، وداهومي) ، ثم الحدود الجنوبية لنيجيريا الشمالية ، والحدود الشمالية لجمهورية الكاميرون وافريقيا الوسطى والكونغو (ليوبولدفيل) وأوغندا وكينيا من ناحية الجنوب .

هذه الحدود تبدأ غرباً مع خط العرض ١٠ درجات شمال خط الاستواء .

في أقصى الشرق تنتهي الحدود الى الجنوب من خط الاستواء ، أي مع نهاية حدود الصومال الجنوبية ، بمعنى أن الحدود الجنوبية تميل نحو الشرق الى الجنوب من خط الاستواء .

وفي القارة الافريقية ٢٧ دولة أخرى تعيش فيها أقليات اسلامية يبلغ تعدادها حوالي ١٧ مليون مسلم .

بذلك يبلغ عدد المسلمين الذين يعيشون في افريقيا حوالي ١١٠ ملايين ، اي ما يقرب من نصف سكان القارة الافريقية .

يعيش في أوروبا نحو خمسة ملايين مسلم ، تعتبر البانيا – الواقعة على مدخل بحر ادريا – البلد الاسلامي البحت الوحيد هناك ، ذلك أن نسبة المسلمين فيها تتجاوز السبعين بالمائة من مجموع سكانها الكلي ، بينما تبلغ هذه النسبة ١٨ بالمائة في قبرص ، و١٢ بالمائة في بلغاريا، و١١ بالمائة في يوغوسلافيا ، و٣ بالمائة في رومانيا ، و٢ بالمائة في اليونان ، وهناك حوالي ربع المليون من المسلمين يعيشون في بولونيا وفنلندا وفرنسا .

ومعروف أن الاسلام انتشر في أوروبا عن طريقين :

الأول : مضيقا البوسفور والدردنيل ، حيث شمل الحكم العثماني شبه جزيرة البلقان ، واستوطن الكثيرون من الأتراك في دول شبه الجزيرة البلقانية فنشروا الاسلام في بعض مناطقها .

الثاني : مضيق جبل طارق الذي دخل المسلمون عن طريقه إلى الاندلس ، وحكموه أقل من ثمانية قرون، ونشروا الاسلام بين ربوعه.

عجزت تماماً عن التوصل إلى احصائيات دقيقة لعدد المسلمين في أميركا الشمالية ، فالبعض يقدر العدد بمائة وخمسين الفاً ، وبعض آخر يتحدث عن بضعة ملايين .. غير أن ما هو مؤكد أن انتشار الاسلام في أميركا الشمالية تم عن طريق الهجرة من شتى أنحاء العالم الاسلامي والعربي كالهند والباكستان وأندونيسيا وتركيا والبانيا ويوغوسلافيا

والمغرب وسورية ولبنان وفلسطين والسودان والصومال. ومن الملاحظ أن الجالية الروسية التي نزحت عن بلادها في أعقاب الثورة البلشفية منذ أكثر من نصف قرن إلى أميركا الشمالية، تعتبر من أكبر وأنشط الجاليات الاسلامية هناك.

وفي الولايات المتحدة الاميركية يعيش نحو ربع مليون مسلم، موزعون في مختلف أنحاء ولاياتها، لكنهم يرتكزون بصورة خاصة في ولايات نيويورك وديترويت وشيكاغو وسان فرانسيسكو وأوهايو وفلادلفيا. ويقطن في كندا نحو عشرة آلاف مسلم.

أما أميركا الجنوبية (اللاتينية)، فتضم نحو ٣٨٠ الف مسلم، يعيش منهم في البرازيل وحدها ١٥٠ الفاً، و ٨٠ الفاً في الارجنتين، والبقية موزعة بين عشر من دول أميركا اللاتينية.

وفي أميركا الوسطى وجزر الهند الغربية يقطن حوالي خمسين الف مسلم، ينتظمون نسبياً في جزيرة ترنداد، إحدى جزر الهند الغربية، التي تستأثر بخمسة وثلاثين الفاً منهم، معظمهم من السود الافريقيين المهاجرين، ومن الهند والباكستان.

وفي اوستراليا يعيش تسعة آلاف مسلم، كما تضم جزر المحيط الهادي الكثير من المسلمين، لا سيا في جزيرة فيجي التي تضم وحدها نحو عشرة آلاف.

العالم الاسلامي: استراتيجيا واقتصاديا

العالم الاسلامي هو قلب الجسم الآسيوي - الافريقي - الاوروبي، وهو الرئة التي تتنفس بها قارات العالم القديم الثلاث. فبحار العالم الاسلامي تسيطر على كل خطوط الملاحة العالمية، وإذا لم يكن من

المستحيل أن يتصل غرب العالم بشرقه ، وبالعكس ، دون استخدامها البحار والشرايين الاسلامية ، فإن ذلك الاتصال يصبح صعباً للغاية في معظم الأحيان .

أشرع بترجمة هذا الكلام إلى الارقام ، فأقول :

أ – مدخلا المحيط الهندي ، هما أرض اسلامية :

١ – المدخل الشرقي : هو مضيق ملقا بين شبه جزيرة الملايا وجزيرة سومطرة (إحدى الجزر الاندونيسية) ، حيث يتصل المحيط الهادي بالمحيط الهندي .

٢ – المدخل الغربي : مضيق باب المندب ، حيث يتصل المحيط الهندي بالبحر الاحمر .

وليس ثمة حاجة إلى القول ، ان هذين المدخلين يتحكمان بالملاحة العالمية وطرق التجارة الدولية بين الغرب والشرق .

ب – بالاضافة إلى أن الساحلين الشرقي والجنوبي للبحر الابيض المتوسط هما من الأرض الاسلامية ، فإن مدخليه كذلك :

١ – المدخل الغربي : مضيق جبل طارق ، الذي يصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الاطلسي الشمالي ، وتتركز فيه ثلثا التجارة العالمية .

٢ – المدخل الشرقي : قناة السويس ، وهي الشريان الحيوي الذي تتوقف علية رفاهية أوروبا وأميركا .

ج – البحر الاحمر الذي يصل بين المحيط الهندي والبحر الابيض المتوسط ، إنما هو عبارة عن بحيرة اسلامية .

د – للمسطحات المائية الكبرى المذكورة، أذرع تتغلغل في داخل الاراضي الاسلامية :

١ – المحيط الهندي الذي يتصل به خليج البنغال والبحر العربي وخليج عُمان والخليج العربي وخليج عدن .

٢ – البحر الاحمر الذي يتصل به خليجا السويس والعقبة .

٣ – البحر الابيض المتوسط الذي تتصل به بحور ايجه ومرمرة والاسود، ومضيقا البوسفور والدردنيل ، اللذان يتحكمان بالملاحة بين البحرين الاسود والابيض المتوسط .

لذلك كله ، فإن لموقع العالم الاسلامي أكثر مما يسمى عادة بالأهمية الاستراتيجية والاقتصادية ، تكسبه ، حتى في الظروف الراهنة ، قوة سياسية وطاقات اقتصادية هائلة ، لها خطورتها في ميزان القوى الانسانية .. فكيف إذا رأت دعوة التضامن الاسلامي النور ؟..

الفاعلية الاقتصادية :

اقتصاد العالم الاسلامي اقتصاد متكامل ، ليس يستطيع ، موضوعياً ، تحقيق نظرية الاكتفاء الذاتي فحسب ، وهي النظرية التي عجزت عن تحقيقها كل كتل ومحاور الدنيا ، إنما هو بإمكانه كذلك أن يتلاعب بحل اقتصاديات العالم ، عن طريق أكثر من مادة خام وصناعة ، هذا بالاضافة إلى الدور الخطير الذي يستطيع أن يلعبه تكوينه الاستراتيجي :

البترول :

محور الزيت في الكرة الارضية هو عبارة عن الصخور الرسوبية

التي يتجمع فيها الزيت ، وتؤلف منطقتين رئيسيتين .

الطرف الشرقي للمحور يقع في العالم الاسلامي: حول الخليج العربي والبحر الاحمر وبحر قزوين ، حيث تتركز حقول الزيت في إيران والعراق والكويت والمملكة العربيـــة السعودية وإمارات الخليج والجمهوريات الاسلامية الخاضعة للحكم الشيوعي السوفياتي ومصر .

أما الطرف الغربي لمحور الزيت العالمي ، فيقـــع في منطقة البحر الكاريبي ، حيث تتركز حقول البترول في فنزويلا والمكسيك وكولومبيا ومنطقة خليج المكسيك في الولايات المتحدة الاميركية .

وعلى طول المحور العالمي للزيت ، توجـــد حقول للبترول في ليبيا والجزائر والمغرب .

يحتل العالم الاسلامي مركز الصدارة في الانتاج العالمي للبترول ، إذ ينتج ، حسب إحصائيات عام ١٩٦٢ ، ما نسبته ٣٠،٦ بالمائـة إلى جملة الانتاج العالمي . ومن المؤكد أن هذه النسبة قد ارتفعت وترتفع باطراد ، خاصة بعد اكتشاف حقول بترولية جديدة في كل من ليبيـا وسورية ، وزيادة الانتاج في كل من المملكة العربية السعودية وإيران .

ولست أملك ، للأسف ، أية احصائيات رسمية أو غير رسمية عن إنتـــاج البترول في الجمهوريات الاسلامية الخاضعة للحـكم الشيوعي السوفياتي ، وهي التي يعتبر انتاجهـــا من البترول الركيزة الأساسية للبترول « السوفياتي » ، لكنه يكفي أن نعرف أن حقول البترول في باكو بأذربيجان الاسلامية تنتج وحدها ثلث كامـــل إنتاج الاتحاد السوفياتي من البترول .

حسب احصائيات ١٩٦٢ نفسها ، تأتي الولايات المتحدة الاميركية

في المرتبة الثانية إنتاجاً للبترول في العالم ، بعد العالم الاسلامي ، إذ انها تنتج ٢٩,٦ بالمائة من الانتاج العالمي .

ومستقبل البترول في العالم كله بأيدي المسلمين، إذ ان ٦٩,٣ بالمائة من احتياطي البترول في العالم مخزون في باطن الارض الاسلامية .

ان ثلث الانتاج العالمي من البترول فقط يدخل في التجارة الدولية، يسهم العالم الاسلامي بمقدار سبعين بالمائة من حجم هذه التجارة ، مما يدل على خطورة الدور الذي يلعبه العالم الاسلامي في تجارة الزيت الدولية. هذا بالطبع، إذا استثنينا احتياطي المخزون في باطن الارض الاسلامية التي يهيمن عليها الحكم الشيوعي السوفياتي .

الغاز الطبيعي :

أنتج العالم الاسلامي عام ١٩٥٨ حوالي ١٥٠ مليون طن متري من الغاز الطبيعي (الطن المتري من الغاز يساوي ٧٧٥ متراً مكعباً). وهي كمية تعادل ٢٨ بالمائة من جملة الانتاج العالمي من الغاز البالغ ٥٠٥ مليون طن متري .

القصدير :

ينتج العالم الاسلامي ٥١ بالمائة من جملة الانتاج العالمي للقصدير ، تحتل ماليزيا المركز الأول بين الدول الاسلامية المنتجة للقصدير ، إذ تنتج ٧١ بالمائة من انتاج الدول الاسلامية ، تليها اندونيسيا التي تنتج ٢٢ بالمائة من جملة الانتاج الاسلامي للقصدير .

الزنك والرصاص :

المغرب والجزائر وتونس وتركيا ، على التوالي ، هي من أهم

الدول المنتجة للزنك ، وهي نفسها التي تنتج الرصاص أيضاً من مناجم الزنك ذاتها ، إلا أن إيران وحدها تنتج الرصاص دون الزنك، وتحتل المركز الثاني بعد المغرب .

الكروم :

تنتج تركيا وحدها ٢٠ بالمائة من الانتاج العالمي للكروم ، محتلة بذلك المركز الأول في العالم انتاجاً لهذا المعدن ، فيما تنتج إيران ٦٨ الف طن متري ، أي مـــا يعادل عشر انتاج تركيا ، أي ٢ بالمائة من انتاج العالم للكروم ، وتأتي الباكستان في المرتبة الثالثة ، حيث تنتج ثلث انتاج ايران من هذا المعدن .

المنغنيز :

يبلغ انتاج العالم الاسلامي ٥و٢ بالمائة من جملة الانتاج العــــالمي للمنغنيز . المملكة المغربية تنتج وحدها ٩٠ بالمائة من الانتاج الاسلامي أو ٤و٧ بالمائة من الانتاج العالمي ، وقد صدّرت عام ١٩٥٩ بما قيمته ٧و١٧ مليون دولار من المنغنيز .

النحاس :

إنتاج الدول الاسلامية من النحاس ضئيل جـــداً ، تأتي تركيا في المرتبــة الأولى ، حيث تنتج عشرين الف طن متري فقط ، ثم المغرب التي تنتج ثلث هذه الكمية .

الحديد :

ينتج العالم الاسلامي٥و٧ مليون طن من الحديد سنوياً،أي ما يعادل

٣,٢ بالمائة من الانتاج العالمي ، ويقدر احتياطي الدول الاسلامية من الحديد بنحو ٢,٥ بليون طن ، وهي نسبة بسيطة إذا مـــا قورنت باحتياطي العالم البالغ ٢٢٢,٨ بليون طن .

الصلب :

لا يتعدى إنتاج الدول الاسلامية من الصلب ١,٥ بالمائة من جملة الانتاج العالمي .

الفوسفات :

وفقاً لاحصائيات ١٩٦١ ، بلغ إنتاج العالم الاسلامي ١٢ مليون طن متري ، أي ما يعادل ٢٣ بالمائة من جملة الانتاج العالمي البالـــغ ٣٥,٦ مليون طن متري .

الطاقة الذرية :

تشير المعلومات المستقاة من مصادر مؤتمرات الطاقة الذرية للامم المتحدة ، أن اليورانيوم والثوريوم موجودان بكميات لا بأس بها في العالم الاسلامي .

ويجدر بنا هنا أن نشير ، بالتشديد الكبير ، إلى نقطة مهمة للغاية ، وهي أن معظم الدول الاسلامية لم تقم بعد بأية أبحـــاث أو دراسات علمية دقيقة للوقوف على ما تحتويه القشرة الأرضية الاسلامية من ثروات معدنية دفينة .

ومن أحرى بغير مؤتمر ذروة اسلامي ، يشكل لجانـــاً فنية مشتركة للقيام بهذه الأبحاث والدراسات ، ليقرر في ضوئها ما يجب

اتخاذه من الخطوات الفعالة الموحدة للاستفادة الاسلامية الشاملة من الثروات الدفينة في شتى انحاء العالم الاسلامي ؟..

صيد السمك :

يبلغ انتاج العالم الاسلامي ٤ بالمائة من الانتاج العالمي لصيد الأسماك البالغ ٤١ مليوناً و ١٦٠ الف طن متري .

الخشب :

أنتج العالم الاسلامي في عام ١٩٦١ مقدار ١١٤ مليون متر مكعب من الخشب ، أي ما يعادل ٦,٤ بالمائة من جملة الانتاج العالمي .

القطـــن :

ينتج العالم الاسلامي ١٢ بالمائة من جملة الانتاج العالمي للقطن ، عدا ما تنتجه جمهوريتا اذربيجان وداغستان الاسلاميتان في الاتحـاد السوفياتي ، حيث يتركز معظم الانتاج الروسي من القطن .

المطـــاط :

ينتج العالم الاسلامي نحو ٧٥ بالمائة من جملة الانتاج العالمي للمطاط الطبيعي ، ويتركز هذا الانتاج في الدول الاسلامية الواقعة في جنوب شرقي آسيا .

القمح :

يمثل انتاج الدول الاسلامية من القمح ٩ بالمائة من جملة الانتـــاج العالمي .

الشعير :

ينتج العالم الاسلامي ١٠ بالمائة من جملة الانتاج العالمي من الشعير ، أي ثمانية ملايين ونصف المليون طن . يتركز ٨٢٫٣ بالمائة من هـذا الانتاج في دول البحر الابيض المتوسط .

الزيتون :

بلغ انتاج العالم الاسلامي ، وفق احصاء ١٩٦١ ، من زيت الزيتون ٣٥٣ الف طن متري .

الفول السوداني :

انتج العالم عام ١٩٦١ حوالي ١٧٫٨ مليون طن متري من الفول السوداني ، أسهم العالم الاسلامي بنسبة ١٨ بالمائة منه ، أي بحوالي ٣٫٢ طن متري .

السكر :

لا يتعدى انتاج العالم الاسلامي ٢ بالمائة من جملة انتاج العالم من السكر .

الذرة :

ينتج العالم الاسلامي ٤٫٦ بالمائة من جملة الانتاج العالمي للذرة .

الطباق :

ينتج العالم الاسلامي ٩ بالمائة فقط من جملة انتاج العالم من الطباق .

الماعز :

ثروة العالم كله من الماعز تبلغ ٣٣٨ مليون رأس، حسب احصائيات الامم المتحدة لعام ١٩٦٠ ، يمتلك العالم الاسلامي ٣٢ بالمائة ، أي حوالي ١١٠ ملايين رأس .

الأغنام :

يملك العالم الاسلامي وحده ما نسبته ١٨,٦ بالمائة من جملة الثروة العالمية من الأغنام البالغ عددها ٩٨٨ مليون رأس ، حسب احصائية عام ١٩٦١ .

الأبقار :

عشرة بالمائة هي نسبة انتاج العالم الاسلامي من الابقار إلى جملة ثروة العالم منها .

الخيل والابل:

تربى في العالم الاسلامي ثروة حيوانية جيدة من الخيل والإبل والحمير والبغال . نذكر، على سبيل المثال، أنه تربى في العالم الاسلامي ستة ملايين و ٦٠٠ الف رأس من الابل ومليونان و ٣٠٠ الف رأس من الخيل .

الصوف :

سبعة بالمائة هي نسبة انتاج العالم الاسلامي من الصوف إلى جملة الانتاج العالمي ، يدخل منه خمسون بالمائة فقط في التجارة الدولية .

مُلحق

وقفت ، بعيد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، على كثير من الوثائق ، كما ظهر غير قليل منها ، وكلها يؤيد ويدعم صحة ما ذهبت إليه وثائق كتابي هذا في طبعته الأولى، رأيت أن أضع ما توافر لدي منها أمام القارىء ، مراعياً التقسيم الفصلي للكتاب في سردها، ليسهل على قارىء الطبعة الثانية هذه، وبدون عناء ، الاستمرار في فهم تسلسل الأحداث داخل الصورة الشرق – أوسطية مع كل خلفياتها الدولية .

الفصل الأول

أولاً : بالنسبة لسياسة الولايات المتحدة الاميركية من أنظمة الحكم العربية التي تسلمت المسؤولية في أعقاب الاستقلال ، فعاصرت الحركة الصهيونية في مراحلها التنفيذية (١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ،

١٩٤٩)، قال مايلز كوبلاند ، أحد كبار موظفي الاستخبارات المركزية الاميركية، على الصفحة ٣٦ من كتابه « The Game of Nations » ، الطبعة الرابعة الصادرة في شباط ١٩٧٠ ، ما ترجمته بالحرف الواحد :

« ... كنا نعتقد (في أعوام ٤٧، ٤٨ ، ١٩٤٩) أن العرب يجب أن يحذروا روسيا لا الولايات المتحدة ، وأن يرحبوا بما نقدمه إليهم من عروض الحماية، وما توفره لهم شركاتنا البترولية من الثراء ، عدا عن أنهم سيكونون أول المستفيدين من تسوية ودية في فلسطين .. ولكن رفض قادتهم (في ذلك التاريخ) أن ينظروا إلى الأمور من هذه الزاوية، اعتبره رجالنا ومخططونا مبرراً قوياً يخولنا حق الاطاحة بهم ، أو تحريض شعوبهم على القيام بهذه المهمة .. »

ثانياً : اعترف مايلز كوبلاند ، على الصفحة ٤٢ من كتابه المشار إليه ، بدور أميركا الرئيسي في تحريض حسني الزعيم على القيام بانقلابه في سورية ، فقال :

« .. وكانت العمليـــة هي انقلاب حسني الزعيم في ٣٠ آذار ١٩٤٩ ، إذ قام (فريق عمل سياسي) برئاسة الميجر ستيفن ميد بتطوير صداقة مع الزعيم ، الذي كان رئيساً لأركان الجيش السوري، ثم اقترح (فريق العمل) هذا على حسني الزعيم فكرة القيام بانقلاب ، وقدم له المشورة اللازمة للتنفيذ، وقـاد خطاه خلال جميع عمليات التحضير المعقدة. وقد أثارت هذه النسبة من الاسهام الاميركي في انقلاب حسني الزعيم، ارتياب القادة السوريين،

إلا أن الصحافيين الغربيين، والطلاب، حوّلوا ذلك إلى صورة نموذجية من صور الارتياب السورية، رغم ما عرف فيما بعد، على وجه العموم، أن حسني الزعيم لم يكن سوى صبي أميركي .. »

ثالثاً: خابت آمال الولايات المتحدة في الاعتماد على « قائد مبصر »، على الطريقة الاميركية، أو « لاعب » كما يسميه كوبلاند، في سورية، فاتجهت أنظارها إلى البحث عن بغيتها في مصر. ولنتابع حديث كوبلاند عن نتائج البحث الاميركي في مصر:

أ - « علمت حكومتنا (الاميركية) بوقوع الانقلاب عندما قرأ الوزراء أحداثه يوم ٢٣ تموز ١٩٥٢، وذلك بعد موجة من تقارير المخابرات المركزية، التي أشارت إلى أن شيئاً ما سيحدث. لكن هذه التقارير عجزت عن تحديد الوقت وتعيين التحركات. وكان جميع الصحف مؤيداً للانقلاب الابيض الذي كان مقبولاً من الشعب المصري، ولم يكن هناك من أسف على نهاية الملك الخليع، كما لم تكن هناك بلاغات مثيرة كالتي تعقب عادة الانقلابات السورية، بل ظهرت الوعود بتطهير البلاد من الفساد، وإقامة حكم قوي وفعال، وإصلاح الأحزاب السياسية، وغير ذلك .. لكن لا شيء قيل آنذاك عن اسرائيل » ص ٦١-٦٢ .

ب - « .. كل ما كنا نريده هو أن يتسم اللاعب الذي أردنا بالميزات التي حددنا . لذلك، فما كان يفعله ناصر على الصعيد الداخلي، هو من شأنه وحده، طالما كانت « لعبته الشعبية » لا تعرض مصالحنا للخطر. وأياً كانت أهداف ناصر الحقيقية،

بونابرتيـة أو من أي نوع آخر ، فبالإمكان تقديم دفاع واحد عنه : خلال الفترة التي كان يوطد فيها مركزه ، كان موقفه من أصدقائه الأميركيين هو : (إذا كنتم لا تحبون الطريقة التي أعمل بموجبها ، أرشدوني إلى طريقة أفضل ، فإني سأصغي إليكم ، على الأقل ..) . ونحن من جهتنا ، لم نحـاول أبداً اختبار إخلاصه لنا ،لأننا لم نعثر على ما هو أفضل من تصرفاته . » (ص ٧٥) .

ج - « بصدد موقف الاميركيين من استعمال الجيش كأداة للقمع ، لا بد من تسجيل التالي :

حينما طلب عبد الناصر ، في أيام حكمه الأولى ، مساعدات عسكرية ، لم يذكر أن هـــذه المساعدات ستستخدم لمحاربة الاسرائيليين ، أو اليمنيين ، أو أياً من الآخرين ، كما لم يكن ثمة اهتمام بكميات كبيرة من السلاح . وقد حددت أهداف التسلح بالحفاظ على الأمن الداخلي ، فأكد ناصر ، بوضوح ، لجميع سفرائنا ، أن نظامه يعتمد على العسكريين لضمان بقائه ، وأنه يعتبر الجيش الضعيف جيشاً معادياً . وقد بلغت قيمـــة المساعدات التي طالب بهـــا عبد الناصر في أيام عهده الأولى أربعين مليون دولار ، انخفضت إلى النصف ، من ثم تدنت إلى المليون أو المليونين ، لشراء أجهزة وأدوات استعراضية ، من خوذ ومحافظ جلدية للمسدسات ، وقطع لماعة أخرى ، كفيلة بإظهار الجيش بمظهر حسن ، إذا ما قـــام باستعراضات في شوارع القاهرة ، بحيث تنعكس على الضباط والجنود مشاعر الافتخار .. » (ص ٨٥).

د – د .. في منتصف أيلول (١٩٥٥) تلقى كيرميت روزفلت رسالة شخصية من عبد الناصر ، قال فيها أنه على وشك توقيع اتفاقية للتسلح مع السوفيات ، وأنه إذا كان يريد أن يثنيه عن عقد هذه الاتفاقية ، فهو – أي عبد الناصر – يرحب بـــه في القاهرة . وعلى هذا الأساس ، توجهت مع روزفلت إلى القاهرة، في صباح اليوم التالي .

كان أحد أعوان عبد الناصر في استقبالنا بالمطار، فقادنا إلى غرفة ناصر في الطابق الأعلى من مبنى مجلس قيادة الثورة . وبدا عبدالناصر على غاية السرور،إذ كان يتوقع أن يرتج على روزفلت حين يتقدم إليه بحججه الدامغة،لكن ما حصل أن روزفلت هو الذي أذهل عبدالناصر،فبدل أن يثنيه – كما كان يتوقع – عن قبول صفقة السلاح السوفياتية ، قال له : إن الصفقة ، إذا كانت بهذه الضخامة،فقد تزعج بعض الناس ، غير أنهـا ستجعل منك بطلاً عظيماً ، فلماذا لا تستفيد من هذه الشعبية المفاجئة لتؤدي أعمالاً على مستوى رجل دولة؟ ولن يقلل من أرباحك أن تقول، على سبيل المثال ، أننا قد حصلنا على الأسلحة لأهداف دفاعية فقط ، وإن شاء الاسرائيليون الانضمام إلينا في جهد مشترك لإقامة سلم دائم في المنطقة ، فسيجدونني على استعداد لذلك. أو أي شيء يماثل هذا الكلام .

ابتهج عبد الناصر بهذا الاقتراح إلى درجة أنه قفز قائلاً: إنها فكرة حسنة. وتابعنا مناقشة الفكرة حتى منتصف الليل، واتفقنا على أن يدرج ناصر إعلانه نبأ الأسلحة السوفياتية في بيان ضخم، فيهتف له لا التقدميون في مصر فقط ، بل المحافظين أيضاً ، ثم

يتبع ذلك بحملة حياد دولية ، يرضى عنها جميع الأطراف، بينما يستمر في إصلاحاته الداخلية ، اجتماعياً واقتصادياً ، عن طريق المساعدات الاميركية . وهكذا ، فقد كان هناك احتمالات من أنواع شتى، وكان على عبد الناصر إلقاء خطاب بعد يومين في متخرجي مدرسة الطيران،ومن الممكن أن يتضمن خطابه إعلان النبأ. وانتهى الاتفاق بيننا على أن أكتب مسودة الكلمة أو المقطع من خطاب عبد الناصر ، الذي سيتضمن هذا الإعلان ، على أن يقوم هو وروزفلت بإنشاء هذا المقطع وتركيزه في الليلة التالية ». (ص ١٣٣–١٣٤) .

هـ - « اعترف ناصر لروزفلت ، صراحة ، أنه وضباطه ، رغم شعورهم بمرارة الهزيمة حيال اسرائيل،تنصب نقمتهم الرئيسية على الضباط الكبار في الجيش المصري،ثم على العرب الآخرين، ثم على الانكليز ، وأخيراً على الاسرائيليين. »!..(ص ٥٦).

و - « .. لدى قيامه بثورته ، كمصري ، استطاع الاقتراب ، بيسر وسرعة ، من مركز الزعامة العربية ، حيث بوشر باستعمال كلمة « العرب » ..! ولم يعرف عبد الناصر الكثير عن العرب قبل الانقلاب ، ولا كان هو نفسه عربياً ، ولم يزر بلداً عربياً ولا التقى شعباً عربياً. والقليل الذي عرفه عن العرب لم يحرّك فيه محبته لهم . وفي ١٩٥٢ ، زار عدداً من البلدان العربية ،في ظروف لم تكن جديرة بأن تعلمه الشيء الكثير عن هذه البلدان ، إلا أن هذه الزيارات أكدت في نفسه شكوكه السابقة بالعرب . فالعراقيون ، في نظره ، متوحشون

(كذا ...) ، واللبنانيون مرتشون ومنحلون (كذا ..) ، والسعوديون قذرون (كذا..) ، واليمنيون أغبياء متخلفون (كذا..) والسوريون غشاشون، لا يوثق بهم ولا هم بالمسؤولية يشعرون (كذا..) ». (ص ٥٦-٥٧).

ز - « .. كلما وقعت في مصر مشاكل داخلية ، تحوّل عبد الناصر أكثر تعصباً لمصريته ، وأقل حماسة لعروبته. وعندما يدخل في مباحثات سرية استراتيجية مع أقرب مستشاريه ، يتحدث عما هو في صالح مصر ، معتبراً ما ينفع العرب عامة ، أمراً صغيراً ، أو ثانوياً ». (ص ٥٧) .

ح - « .. تمكنت ، مع مضي السنين ، من أن أرى عبد الناصر ، كما لم يتمكن أي رجل غربي من أن يراه . وحتى الآن، رغم أنه لم يعد أمراً محتملاً أن أباغته بزيارة، وبدون سابق إنذار، لأتناول معه طعام الغداء ، فإنني لا أزال أدخل معه في نقاش طويل كل شهر أو شهرين، في ظروف من الارتياح يغدو معها أقرب ما يكون إلى نفسه . كنت أستهدف ، في أحيان ، من مناقشتي ، مجرد توطيد صلة الصداقة التي كانت تجمعنا ، إلا أنني ، في أحيان أخرى ، كنت أنجز مهمة كلفني بها أحد رفاقي، حتى أني كنت أزود طبيب الأسنان بنقاط للبحث والدراسة يفرضها عليّ طبيب الاستخبارات المركزية . وإذا كان عليّ أن أصدر حكماً ما على وضع عبد الناصر ومظهره الراهنين، بعيداً عن موضوع « لعبتنا»، فإنني أميل إلى القول ان قواه العقلية لا تزال في المستوى الذي كانت عليه في أي

يوم مضى. بشأن أهداف « اللعبة »، فأنا أفترض أن الذي حدث ويحدث، على المدى القريب والبعيد، لقادة من طراز عبد الناصر، قد حدث أيضاً لعبد الناصر. فمهما بلغت طاقاته الشخصية على احتمال وطأة التملق الذليل والتعبد الأعمى، والولاء المجرد من كل نقد واعتراض ورهبة عادية، فإن الحواجز بينه وبين العالم الخارجي، أضحت من الاتساع بحيث انقطع كل شيء عنه. وحتى لو أن عبد الناصر كان العبقري الأكبر، والأقوى شخصية، والأكثر متانة، والأحدّ ذهناً، فإنه يستحيل على رجل مثله متابعة سيره في طريق « لعبة الشعوب »، فيما هو يكابد الظروف التي يكابدها أمثاله من القادة. ويفترض بخصوم عبد الناصر في « لعبة الشعوب »، أن يتوقعوا بأنه يقوم بتحركاته على نحو ذكي، نابع من فهمه لأصول اللعبة، غير أن هذا الفهم مغلف، كما هي تحركاته، بالغموض. وقد لا يلاحظ عبد الناصر نفسه مفارق الطرق – أما بقاء شخصه وتحطم البلد، أو الاستغناء عنه وإنقاذ البلد – حين يصل إليها ». (ص ٧٧).

ط – «إلى أين نذهب بعد الآن في علاقاتنا مع جمال عبد الناصر ؟.. لقد توصلت من خلال هذه الدراسة، إلى الاعتقاد بأن سلوك ناصر، كان طبيعياً ومتوقعاً، بالنسبة للظروف التي أحاطت به. واعتقد أنه تصرف كما يتصرف أي شخص آخر، بعقليته وإمكاناته الثقافية. انني أحبه، شخصياً، وأكاد لا أعرف أحداً غيره يسرني أن أمضي ليلاً طويلاً عنده، في الحديث والمرح. فهو من أشجع الرجال، غير قابل للتغير، ومجرد من المبادىء، كما أنه بانسانيته – وعلى طريقته – من أعظم القادة الذين سبق لي

شرف التعرف بهم . وهو يتحلى بإحساس مرهف في دعابته ، ولا يتصرف ، كما يخيل للكثيرين، من خلال حقده وكبريائه ولا من خلال نزواته ، ولا بدافـــع نوازع أخرى صغيرة أو تافهة .

لقد رسمنا لعبد الناصر طريقاً ، فسلكها ، ولو اننا وضعنا له برنامجاً مختلفاً ، لانتهت الأمور على شكل آخر ، ودوره في مستقبلنا يعتمد على نوع المستقبل الذي سنحدده لأنفسنا . »

(ص ٢٣٩) .

في يقيني أنه لا الفقرات المنقولة آنفاً فقط من كتاب مايلز كوبلاند وحدها التي تحتاج إلى محاكمة القارىء العربي ووعيه ، بل الكتاب كله ، للوقوف على أسباب وصدور كتاب « لعبة الشعوب » في آب ١٩٦٩ – الطبعة الأولى –، أي بعد نحو العامين والشهرين من حرب حزيران، لتلمس مدى صحة المعلومات والآراء التي يتضمنها الكتاب !!..

رابعاً : بالاضافة إلى اعتراف كوبلاند بأن الولايات المتحدة هي التي حرضت على نسف ميثاق (أو ما عرف باسم حلف) بغداد ، ثمة ثلاث وثائق تتحدث عن الموقف الحقيقي لاسرائيل من هذا الميثاق :

أ – « طلب بن غوريون من بريطانيا، بعيد انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، العودة إلى التعاون فيما بين البلدين وتنسيق سياستهما في الشرق الاوسط » ..! [١].

(١) عن كتاب « دافيد بن غوريون » لتهاني هلسه، ص ١٤٣، « دراسات فلسطينية ٤٤ » ، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ب – « .. وقال لي كبير في السفارة الاميركية أنه من السخف ، على جانب عظيم ، الاعتقاد بأن اسرائيل ترحب بالاتفاق العراقي التركي . وكيف ترحب به – كما قال – وهو يحتمل أن يحوّل تركيا شيئاً فشيئاً إلى تأييد الدول العربية ، وجعل علائقها الاقتصادية مع اسرائيل تتقلص وتتناقص . »[1] .

ج – « قالت السيدة ماير أن حلف بغداد موجه فقط ضد مصالح اسرائيل . »[2] .

الفصل الثاني

اولاً : قال بن غوريون ، رداً على سؤال حول طبيعة علاقات اسرائيل بالماركسية – اللينينية :

« إنني أحمل أسمى التقدير والاحترام لكارل ماركس ، لأنه كان رجلاً عظيماً . »

وأضاف ، وقد خذله تحفظه في الكشف عن ارتباط « تقديره واحترامه » لكارل ماركس بالثلاثة ملايين « من أخوتنا » الذين يعيشون في الاتحاد السوفياتي ، فقال :

---

(١) نجيب الأرمنازي في « عشر سنوات في الدبلوماسية » ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ، « دار الكتاب الجديد » .

(٢) ابراهيم عزت في « أنا عائد من اسرائيل » ، ص ٦٩ .

« لم نتوصل بعد إلى الهدف الذي وضعناه نصب أعيننا. فبعد الجهود التي بذلناها، والتي تفوق قدرة البشر، لم ننجح في إعادة تجميع غير ١٨ بالمائة من الشعب اليهودي. ولا يزال في الاتحاد السوفياتي أكثر من ثلاثة ملايين من إخواننا. ولا بد لنا، مهما يكن من أمر، من إلحاق أربعة، أو خمسة، ملايين يهودي بدولة اسرائيل. »[١]

ثانياً: وجاء في مذكرة للهيئة العربية العليا لفلسطين، أذيعت في الأمم المتحدة بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٧٠:

« يسمح الاتحاد السوفياتي الآن بهجرة بضعة مئات من اليهود إلى اسرائيل، إلا أن معلومات موثوقاً بها تقول ان لديه خطة مدروسة جيداً تقضي بتخفيف القيود المفروضة على الهجرة اليهودية من الدول الشيوعية إلى اسرائيل. ويقدر أن أكثر من مليوني مهاجر من الاتحاد السوفياتي ودول شيوعية أخرى، سيرسلون إلى اسرائيل خلال السنين العشر المقبلة. وسيكون هؤلاء المهاجرون اليهود من الشيوعيين المتعصبين وطابوراً خامساً سوفياتياً. وبواسطة تدفق الهجرة اليهودية من الدول الشيوعية، يعتزم الاتحاد السوفياتي السيطرة على اسرائيل كدولة شيوعية أخرى، وبذلك يقيم تعايشاً سلمياً بين جميع الدول في الشرق الأوسط. »[٢].

ثالثاً: أكد أحد اليساريين العرب، الذي اشتهر في أعقاب حرب حزيران، أنه يؤمن بأنه عن طريق انتشار الشيوعية في المنطقة،

---

(١) « لوموند »، ٧٥٤٦، ١٦ نيسان ١٩٦٩.

(٢) « النهار »، ٢٧ نيسان ١٩٧٠.

يمكن تأسيس دولة فلسطينية اشتراكية .[1] .

رابعاً : ذكر تقرير دبلوماسي سري ، رفعـــه إلى الحكومة اللبنانية وزيرها المفوض إلى الولايات المتحدة الاميركية ، عام ١٩٥٠ ، ما يلي :

« .. من الحقائق البعيدة الأهمية .. أن كل الجواسيس الذين ألقي القبض عليهم (في الولايات المتحدة) هذا العام (١٩٥٠)، بتهمة سرقة الأسرار الذرية وإيصالها إلى الروس ، كانوا، ودون استثناء، يهوداً، وكذلك كان بعض الذين اعتقلوا بتهمة الجاسوسية في حقول أخرى هامة » .

« إن المؤسسات والمنظمات التي تقدم أقوى المعارضة (في الولايات المتحدة) ضد سن قانون حل الحزب الشيوعي وتجريم الانتساب إليه هي ، في معظمها ، مؤسسات يهودية . » [2]

خامساً : « .. إذا كان اليهود في روسيا يمتازون بنشاطهم بـــين القوى الثورية الجديدة التي ظهرت في أعقاب ثورة اكتوبر الشيوعيـة ، فإنهم كانوا يذهبون ، بأعداد كبيرة ، ضحايا الاضطهادات التي تقوم بها القوى المعادية . » [3] .

---

(١) « افريكاسيا » ، العدد ٧ ، ١٩ كانون الثاني ١٩٧٠ .

(٢) الدكتور شارل مالك ، عن « القضايا المعاصرة » ، الجزء الثالث ، المجلد الأول، ١٩٧٠ ، ص ٦٥ .

(٣) ماير ياري ، السكرتير العام لحزب « مابام » الاشتراكي الاسرائيلي، عن مقالته « نحو التعايش السلمي والتقدمي بين اسرائيل والدول العربية » . راجع « من الفكر الصهيوني المعاصر » ، ص ٢٩٧ - ٣٢٥ . مركز الأبحاث .

سادساً : « قبل عشرة أعوام من نجـــاح اليهود في القضاء على روسيا القيصرية – الارثوذكسية، أي في عام ١٩٠٧ ، وفي خريف ذلك العام بالذات ، عقد حزب « عمال صهيون » مؤتمره الثـاني في فلسطين ، فانتخب بن غوريون مع لجنة لوضع برنامج للحزب . وقد تم وضع هذا البرنامج في الرملة، فجاء تعديلاً بسيطاً للاعلان الشيوعي . »[١]

سابعاً : « في أيار ١٩٤٨ ، كان الاتحـــاد السوفياتي أول من اعترف باسرائيل «قانونياً » – إذ لم يكن اعتراف واشنطن الذي سبق اعتراف موسكو إلا اعترافاً « واقعياً ». كذلك دعم الاتحـــاد السوفياتي اسرائيل دعماً فعالاً في حربها ضد العرب ، ولو أن هـــذا الدعم كان في بعض الأحيان غير مباشر . فلقـد قدمت تشيكوسلوفاكيا، بتأييد من موسكو طبعاً ، أسلحة لاسرائيل، بينها أول طائرات مطاردة، وسمحت بولونيا وتشيكوسلوفاكيا بهجرة اليهود وشجعتاهـا ، وبخاصة هجرة الشبان الذين كانوا ينضمون فور نزولهم من الباخرة، إلى جيش اسرائيل المناضل في سبيل وجودها ، وفضح هجوم الدول العربيـــة ، في المنشورات الشيوعية ، على أنه عدوان امبريالي .. »[٢]

ثامناً : « أعلنت اللجنـة الهولندية – الاسكنديناڤية ، التي اجتمعت في عام ١٩١٧ ، لإصدار « بيان السلام » ، انها « تعترف بالطابع

---

(١) ص ٢١ من « بن غوريون » لتهاني هلسه ، « دراسات فلسطينية ٤٤ ».
(٢) اليازر بيري ، المدير السابق للشعبة العربية في حزب « مابام » ، ومدير إدارة العمال العرب في وزارة العمل ، وأستاذ في معهـد « جيفات هافيفا » للدراسات العربية . راجع « من الفكر الصهيوني المعاصر » ، ص ٤٣٠-٤٣١ .

الأممي للمسألة اليهودية ، وضرورة طرح هذه المسألة في المعاهدة – أي معاهدة الصلح – وأنـــه يجب دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين بواسطة ضمانات دولية ...» [1]

تاسعاً : « اجتمعت الأحزاب الشيوعية في الدول الحليفـــة في شباط ١٩١٨ ،واتخذت قراراً يدعو إلى وجوب تحرير حكومة فلسطين من الطغيان التركي لتصبح هذه البلاد دولة حرة ، تضمن حريتها الدول الكبرى ، من أجل أن يتمكن أكبر عدد ممكن من اليهود الرجوع إليها ، ليعملوا على خلاص أنفسهم بدون تدخل أشخاص من دين أو عنصر مختلف ..» [2]

عاشراً : « ..اعترف مؤتمر الشيوعية الأممية الثانية المنعقد في نيسان ١٩١٩ بمدينة امستردام « بالطابع الأممي المشكلة اليهودية » ، وطالب بمعالجتها عالمياً بواسطة « الحقوق المدنية والمساواة التامة لليهود في كل بلد » ، و « بالحماية الدولية لليهودية ، كما للأقليات القومية الأخرى ، من كل أنواع الاضطهاد » . وطـالب المؤتمر بالاعتراف « بحق اليهود في بناء مركز قومي في فلسطين ، ضمن قوانين عصبة الأمم ،التي ستكون مسؤولة عن حقوق السكان غير اليهود » ، كما طـالب المؤتمر باعتراف عصبـــة الأمم باليهود كأمة .» [3] وجاء في مقررات (مؤتمر اشتراكيي البلدان المختلفة) ، الذي عقد في التاسع من آب ١٩٢٩ بمدينة بروكسل ،ما يلي بالحرف الواحد :

---

(١) عن س. لفنبرغ في كتابه « اليهود وفلسطين » ، ص ١١٥ .

(٢) عن المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٣) عن المصدر السابق ، ص ١١٦ .

« ان مؤتمر اشتراكيي البلدان المختلفة الذي اجتمع في بروكسل في ٩ آب ١٩٢٩، بفضل مبادرة (حزب) عمال صهيون، واستجابة لدعوة السادة برنشتاين، بلوم هندرسن، وفاندرفيل (جميعهم من اليهود)، وبعد الاستماع إلى خطابات السيدين كابلانسكي وفاندرفيل ...

... يعلن بأن جهود الحركة العمالية الصهيونية في فلسطين، في سبيل بناء وطن قومي يهودي على أسس العمل والحياة الاشتراكية، مشبعة بروح التضامن العالمي، يجب أن تناصر وتدعم من قبل جميع الاشتراكيين في جميع البلدان .. »(١)

الفصل الرابع

أولاً : « إنني لا أعتقد أن ثمة دولة من الدول الكبرى تريد لاسرائيل الدمار.. ويعتقد الكثيرون في اسرائيل أن الاتحاد السوفياتي يبغي لاسرائيل الدمار، إلا أنني لم أجد بين الدبلوماسيين، شرقيين وغربيين، من يأخذ هذا الاعتقاد مأخذ الجد. إن بين الدبلوماسيين الشرقيين الذين يرفضون هذا الاعتقاد، من ينتقد سياسة الاتحاد السوفياتي في نقاط عديدة وهامة .

بالاضافة إلى هذا، ومن وجهة نظر السياسة العملية للاتحاد السوفياتي، يعتبر الكيان الاسرائيلي هدية من السماء. وقد

---

(١) عن المصدر السابق، ص ١١٩ .

قال لي دبلوماسي أميركي ان الاتحاد السوفياتي لن يدخر جهداً ، ولن يضن بثمن ، للمحافظة على بقاء اسرائيل . فالاتحاد السوفياتي ظل حتى الآن يجني الفائدة من قيام اسرائيل ومعارضة الدول العربية . ومنذ أن توجه الرئيس المصري إلى الاتحـاد السوفياتي بطلب تزويده بالأسلحة بدأ التغلغل السوفياتي في المنطقة يتخذ شكلاً جدياً ، وأصبح الاتحاد السوفياتي ، على ما يبدو ، صاحب النفوذ الأول في المنطقة . وبذلك نجح ، بدون التورط في حرب ، بما لم تنجح به روسيا القيصرية خلال مئات السنين . لقد مرت فترة كانت فيها الدول الغربية صاحبة الشأن والنفوذ في هذه المنطقة ، بدون منازع . واليوم لن تتجرأ دولة من هذه الدول على تحدي الدولة التي ضربت جذوراً عميقة في معظم دول الشرق الاوسط . والأداة الأساسية لهذا التغلغل كانت ، ولا تزال ، استغلال الاتحاد السوفياتي للنزاع العربي – الاسرائيلي ... وفي بقاء الوضع مـا يضمن له ورقة رابحة يلعب بها لخدمة أهدافه . » [1]

ثانياً : « يعتقد الفرنسيون ، أن الذي يضمن بقـاء اسرائيل ليس ميثاق الامم المتحدة ، ولا صداقة الولايات المتحدة ، بل مساندة ودعم الاتحاد السوفياتي . وإن كان هناك من يصف هذا الاعتقاد بأنه على شيء من الخداع ، فإن الاعتقاد الفرنسي قـائم على أساس أن الاتحاد السوفياتي لا يستطيع البتة أن يرى اسرائيل متلاشية من الوجود ، لأن الوجود الاسرائيلي وحده هو الذي يزود السوفيات بالمبرر الوحيد الذي يتسترون به للابقاء على نفوذهم في الأرض

(١) الدكتور ناحوم غولدمان ، عن مجلة « القضايا الخارجية » الاميركية ، عدد شهر أيار ١٩٧٠ .

العربية التي تفاقمت فوقها الخصومات والمشاحنات .. ولكن بمجرد أن يشعر العرب بزوال أي قوة تهددهم - أي اسرائيل - فإنهم سوف يستغنوا فوراً عن اعتمادهم على الاتحادالسوفياتي.»[1]

ثالثاً : « مما يثير القلق والانزعـــاج » في أوساط أميركا الدبلوماسية، أن اسرائيل قامت بالدور الأساسي الشامل فيتقسيم العالم العربي إلى دول ثورية وأخرى رجعية ، مما أفسح في المجال أمام الاتحاد السوفياتيلاستغلال ذلك إلى أبعد حد ، طوال الخمسة عشر عاماً الأخيرة ، حيث بادر إلى تغذية هذا الجزء من العـالم بسيل من السلاح ، بلغت قيمته ، بالاضافة إلى المعونات الاقتصادية، ستة مليـارات دولار . وهكذا جنت موسكو من المنافع والمكاسب ما يتجاوز قيمة المبلـغ المذكور ، وباتت اليوم أوسع العواصم الأجنبية نفوذاً في المنطقة . »[2]

رابعاً : « .. ظلت أبواق الاستعمار وعملاؤه تثبّت في رأينا العـام مشاعر الكراهية والتعصب وسوء الظن ضد اسرائيل ، وتفعل في اسرائيل مثل ذلك ضدنا ، لإبقاء حالة التوتر قائمة .. بحيث منعت كل تفكير في إمكان تحقيق سلام عادل وحل هذه المشكلة بالطرق السلمية .

.. فالاستعمار يضع كل عراقيل ممكنة في طريق أي حل سلمي ، لأن إقرار السلام بينالدول العربية واسرائيـــل سوف

---

(١) سالز برغر ، مراسل « الهيرالد تريبيون » الاميركية في باريس ، ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٠ .

(٢) مجلة « نيوزويك » الاميركية ، ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ .

يحطم رأس الحربة المصوبة إلى ظهورنا وإلى قلب سياسة الاستقلال الوطني .

ولكن ، ماذا بعد ذلك ؟ هـــل هذا يكفي ؟ إن جعبة الاستعمار لن تخلو من الحيل والمكائد، فلماذا لا نقطع رأس الأفعى ونلتهي ؟..

أما كيف نقطعها .. فتلك هي المسألة ، كما يقول هملت .

سيقول بعضهم ، وهم موجودون في معسكرك وحولك .. نلقي باسرائيل إلى البحر .

ولا شك في أنك معي في أن أقل ما يستحقه قائل هذا الهذر أن يموت ضرباً بالنعال لا بشيء آخر . إن اسرائيل قـد وجدت وستوجد، وسيستحيل إلقاءها في البحر .

وإذن ؟

وهنا يقتضي الموقف بعض الايضاح .

ينبغي أن نفرق تفريقاً دقيقاً بين حكومة اسرائيل والعناصر الاستفزازية فيها، وبين جموع الشعب الذي يستوطن هذه الدولة، والذي يحمل وحده أعباء الحرب ومهالكها، والذي يسقط رغماً عنه فريسة الدعاية المسمومة المسلطة عليه ليل نهار .

والآن كيف السبيل إلى التنفيذ ؟

أرأيت إلى الاتحاد السوفياتي كيف يرفع شعارات السلام إلى أعلى مكان في سياسته الداخلية والخارجية ؟

.. أرأيت كيف تنتصر سياسة السلام هذه، وكيف تتراجع سياسة الحرب ؟..

لماذا لا تفعلون مثل ذلك ؟ لماذا ترفضون دعوة بن غوريون؟

.. لماذا لا تخاطبون شعب اسرائيل بكل اللغات شارحين له قضية السلام الحقيقية ؟

لماذا لا تقولون له انقضى عهد الحكومات الملكية الخاضعة للاستعمار ، والتي كان من مصلحتها المشتركة مع الاستعمار إبقاء حالة التوتر وإشاعة الكراهية والبغض والحذر بين العرب واليهود، وبأن البلاد العربية دخلت في طور استقلالي جديـد لا ينكر حقوق الشعب الاسرائيلي، ولا يريد سوى حقوق الشعب العربي ، ومصالح الشعبين لا تتناقض ؟.. » (١)

الفصل الخامس

أولاً : « من الخير لنا، في سورية، البحث عن مجموعة من الرجال، بدل الاعتماد على قائد بعينه . والحقيقة أن سورية لم تكن في حاجة إلى قائـــد منعزل مغمور ، أو رئيس لأركان الجيش مجرد من المبادىء، للقيام بثورة حقيقية، بل إلى فئة مختارة ترتبط بدورها بنخبة ذات جذور شعبية .. » (٢)

ثانياً : بالنسبة إلى سورية ، وبالرغم من كل دعايتها ضدنا ، وبالرغم من أحوالها الداخلية المتأزمة، فإني أشك أن وجودنا حيث نحن يؤلم

(١) عن نداء يوسف حلمي ، رئيس حركة أنصار السلام في مصر ، الذي وجهه في ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٥ ، إلى الرئيس عبد الناصر . عن كتاب الحكم دروزة « الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية » ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) مايلز كوبلاند في كتابه « لعبة الشعوب » ، الطبعة الرابعة من الأصل الانكليزي، ص ٤٥ .

حكامها فعلاً . ليس الأمر ، من وجهة نظرهم ، قضية استئصال مرض خبيث ومؤلم . . إذ يبدو أنهم قانعون بالاستمرار في الحديث عن (تحرير فلسطين المغتصبة) . . » [١]

ثالثاً : « في تلك الأيام ، وبالتحديد قبل حوالي ثلاثـــة أسابيع من الحرب ، أصدرت قيادة الجبهة (السورية) أمراً بسحب جميع أطعمة الطوارىء ، بحجة استبدالها بأطعمة جديدة ، وهذا وضع انفردت به قيادة البعث بين جميع القيادات المتعاقبة . . ومرت الأيام تشعر بقرب الصدام ، وأطعمة الطوارىء الجديدة – التي ادعت قيادة البعثيين أنها ستقدمها بدل الأطعمة السابقـــة المسحوبة – لم تصل إلى الوحدات ، حتى وقعت الواقعة ، وحصل الصدام ، وقام الطيران الاسرائيلي بقصفه المركز المنهك على قوات الجبهة ، مستهدفاً من جملة أعمـــاله المستودعات ومراكز التموين وأماكن الطبخ وآليات التموين المتحركة على الطرقات ، فانقطع بذلك مورد الطعام الوحيد عن القوات ، وبقيت طيلة أيام ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ حزيران (١٩٦٧) بلا طعام ولا مـــاء . . وعندها حصل الانهيار الرهيب . » [٢]

---

(١) عن موشى دايان في تصريح له لمجلة « اسرائيلي ايكونوميست » الاسرائيلية ، الصادرة باللغة الانكليزية ، العدد الصادر في شهر أيار ١٩٦٨ . نقلاً عن مجلة « الحرية » اللبنانية ، ٤٣٦ ، ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٨ .

(٢) عن كتاب « سقوط الجولان » للضابط السوري المتقاعد خليل مصطفى .

الفصل السابع

لعل أبرز حدث ، يحمل في رحمه سمات جنين حضاري سليم ، عاشه العرب في هذا العصر ، هو مؤتمر القمة الاسلامي الذي انعقد في الرباط (١٢ رجب ١٣٨٩ هـ – ٢٢ ايلول ١٩٦٩ م) . ولولا زخم الحضارية حتى في النبضات الأولى للدعوة إليه ، لما تمكن هذا المؤتمر من جمع ممثلي ثلث سكان العالم من المسلمين (وهذا هو الحدث الأول من نوعه في التاريخ الاسلامي الحديث) ، وإن كان الهدف مجرد الاجتماع فقط ، على سبيل الافتراض.. ولما استطاع مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الذي انعقد في جدة (١٧ محرم ١٣٩٠ هـ – ٢٣ آذار ١٩٧٠ م) أن يكفّن إرث الف عام من الشعوبية والباطنية .. الخ (بانتظار مراسم الدفن ..) لينشىء أمانة عامة للمسلمين ، هي مسؤولة عن جميع قضاياهم ، ولو من قبيل الرمزية ، ان أسأنا الظن ، أو بالغنا في التشاؤم .

ومن المهم للعرب ، طالما أنهم المنوط بهم – طبيعياً – أمر قيادة هذا الحدث الحضاري ، أن يتمددوا ، بدءاً ، روحياً وعقلياً ، نحو الابعاد الحقيقية ، طولاً وعرضاً وعمقاً ، لهذا الحدث الخطير ، الذي بدأت الحركة الصهيونية تستشف مداه ومعناه ، بدليل التنبيه المقتضب الذي أورده الدكتور ناحوم غولدمان ، بعد أقل من شهرين من إنشاء الأمانة العامة للمسلمين ، ضمن مقالات مطولة ، في نطـــاق تسفيهه للخوف الاسرائيلي من ازدياد خطر «الكم» العربي فقط ، على اعتبار أن اسرائيل ، رسمياً ، واثقة من سقوط «الكيف» العربي في مستنقع التخلف.. !!..

تنبيه غولدمان المقتضب يقول بالحرف :

« .. علينا ألا ننسى أن للعرب فصولاً تاريخية مشرقة وجذوراً عميقة في التاريخ . إنهم لم ينتجوا فقط ثقافات كبرى ، ويحملوا عبء نشر دين من أهم الأديان في العالم ، وإنما مروا بمراحل تفوق عسكري وفتوحات إقليمية »[1]

وغولدمان، الذي يبدو الآن أنه أكثر الزعماء اليهود « إخلاصاً » للحل السلمي للقضية الفلسطينية، لا يريد أن يعترف صراحة بالارتباط الوثيق بين «حمل عبء نشر دين من أهم الأديان في العالم » وبين «مرور» حملة نشر هذا الدين «بمراحل تفوق عسكري وفتوحات اقليمية».. !! غير أن ما جاء في تقرير كان لورانس قد قدمه إلى الحكومة البريطانية في شهر تشرين الاول ١٩١٧ (عـام ثورة اكتوبر الشيوعية في روسيا ووعد بلفور البريطاني لليهود .. !!) يكشف ، بوضوح ، عن مـدى الاهتمام الجزع لكل القوى العالمية ، من صهيونية وغربية وشيوعية، من وجود عالم إسلامي متضامن ، متحد .

جاء في التقرير اللورانسي :

« من أهم واجباتنا في الوقت الحاضر العمـل على تحريض العرب لانتزاع حقوقهم من تركيا بواسطة العنف ، لأننا بهذا نستطيع القضاء على خطر الاسلام ، ونرغمه على إعلان الحرب على نفسه ، فنمزقه من القلب . وفي مثل هذا الجو من الصراع ، من الطبيعي أن يقوم في تركيا خليفة للمسلمين وآخر في العالم العربي ، ليخوضا حرباً دينية فيما بينهما،

---

(١) عن « القضايا الخارجية » الاميركية ، أيار ١٩٧٠ .

مما يؤدي إلى القضاء التام ، وبصورة نهائيـة ، على خطر الخلافـة الاسلامية . . »[1]

ثمة ، أخيراً ، تصريح لآبا إيبان ، يعترف فيه بأن « الملامة » في عدم تقدم اسرائيل إلى الأمام في تسللها نحو آسيا ، تقـع على التأثير الاسلامي الشديد ، في بلدان تلك القارة :

« إن اسرائيل لم تتقدم إلى الأمـام ، ولا عادت إلى الوراء ، في آسيا ، والملامة في ذلك تقع على (التأثير الاسلامي الشديد) . . »[2]

المهم في أمر هذا التصريح ، أن تاريخ إطلاقه يعود الى الأيام الأولى من انطلاقة الدعوة الى التضامن الاسلامي .

---

(1) عن « الأحداث السرية في حياة لورانس العرب » ، فيليب نايتلي وكولون سمبسون .

(2) عن « جويش اوبزرفر » البريطانية ، ٢ تموز ١٩٦٥ .

محتويات الكتاب

٧٠/٣٣٠٠/١٩٦٦

« ... حينما يأتي الوقت المناسب ، فسيلعب الاتحاد السوفياتي أكبر دور في تصفية المسألة الفلسطينية ، التي تتاجر بها الرجعية العربية. ونحن وموسكو على يقين بأنه لن يكون هناك أي خلاف أو صدام بيننا وبين السوفيات في المشاريع المرسومة والمفهومة سلفاً على السلام والتعايش السلمي في الشرق الاوسط » .

دافيد هاكوهين

زعيم الهستدروت وأحد زعماء حزب « ماباي » الحاكم في

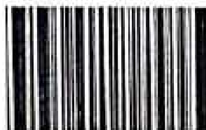
« .. نحن مستعدون لحظر السلاح عن المنطقة العر حركات التحرر اليسارية في العالم العربي تحتاج الى الس الرجعية العربية وتقضي عليها وعلى من يساعدها من قوى الاستعمار. وان القضاء على الرجعية العربية سيزيل خطر العدوان العربي على اسرائيل .. »

المستشار الأول للسفارة السوفياتية بتل أبيب

« .. كان بن غوريون شديد الايمان بالقضاء على رجال الاقطاع والسياسيين القدامى والمشايخ ، حينما دعا الكنيست ، في عام ١٩٥١ ، الى التحلي بالصبر ، لأن السلام لن يكتب لاسرائيل ما دام العالم العربي تحت حكم الرجعيين . وان الخطوة التي يجب ان تسبق الصلح مع اسرائيل هي اقامة ديموقراطيات اشتراكية محل الحكومات الرجعية في الدول العربية .. » .

المؤرخ الصهيوني ايرل برغر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقياً: تريف



الثمن : ٥٠٠ فلس